

إن نفسي ليس ترضى: أي نفس

تقبل العيش كسكان القبور؟



1966 - 1906

الأعمال الكاملة الشعرية



في سنة 1966
توفي سيد قطب



الشاعر
www.books4all.net

﴿فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾



جميع الحقوق محفوظة
لمركز الناقد

الناقد الثقافي
الدرامية لا الروائية
2008

مركز الناقد الثقافي

مؤسسة ثقافية فنية مستقلة

دمشق - ساحة عربوس - بناء واحة عربوس - بجانب السفارة البلغارية الدور الرابع -

مكتب رقم ١ - ص ب : ٣١٤٩٠

أسس عام ٢٠٠٧ بمدينة دمشق .

- رسالة المركز :

أن يكون عربياً، مسلماً، إنسانياً، عالمياً، يشع بجروفه الفاهمة حواراً، وتلاقياً، وتعارفاً، وحكمة ..

محاولة جادة للخروج من القوالب الجاهزة والأفكار المعتادة والقناعات المحنطة .

الناقد الثقافي لن يكون حبيس منظومة دائرية أو حلقة فكرية مفرغة بل هو إسعاف وإنعاش للفكر والوجدان .

تم التحويلات المالية باسم مركز الناقد على الحساب التالي :

IN USD (\$) :

Correspondent bank :

SWIFT:COBADEFF

Beneficiary bank :

SWIFT : BBSFSYDA

Name of the final beneficiary :

Account number of the final beneficiary :

COMMERZBANK / FRANKFUR

BANQUE BEMP SAUDI FRANSI

(MARKAZ AL NAKED/BBSF)

(0125719/BBSF)

IN SAUDI ARAB RIYAL (SAR)

Correspondent bank :

SWIFT : BSFRSARI

Beneficiary bank :

SWIFT: BBSFSYDA

Name of the final beneficiary :

BANQUE SAUDI FRANSI

BANQUE BEMP SAUDI FRANSI BBSF

(MARKAZ AL NAKED/BSF)

(0125719/BSF)

تحذير وإنذار

• من يقوم بتزوير هذا الكتاب ويشارك بطبعه أو تغليفه أو بيع النسخ المزورة يلاحق بأقصى العقوبة المنصوص عليها في القوانين ويتحمل كل ضرر ناجم عن ذلك .

• قرار مجمع الفقه الإسلامي لمنظمة المؤتمر الإسلامي رقم (5) د 1988/9/8 م بشأن الحقوق المعنوية أسقط الفناوى التي يتدرج بها لصوص الكتاب لتفطية كتبهم الحرام فقد جاء في مادته الثالثة :

((حقوق التأليف والاختراع أو الابتكار مصنوعة شرعاً، ولأصحابها حق التصرف

فيها، ولا يجوز الاعتداء عليها))

• صدر في سوريا قانون حماية حقوق المؤلف رقم ١٢ بتاريخ ٢٠٠١/٢/٢٧ ويقضي القانون بحماية حقوق المبدعين والمفكرين في شتى ميادين الأدب والعلم والفنون من مختلف أشكال البعث سواء بالانتحال أو التشويه أو التلمس أو بأي مسء . . . شأنه أن يرسى إلى المؤلف .

الطبعة الأولى 2008م

ديوان الأعمال الشعرية الكاملة

مع دراسة في أشعار سيد قطب.

المؤلف سيد قطب.

تقدم د. حسن حنفي.

فُصح في الجمهورية العربية السورية

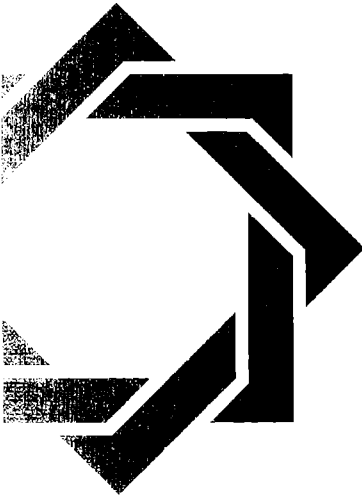
من قبل وزارة الإعلام برقم 96927

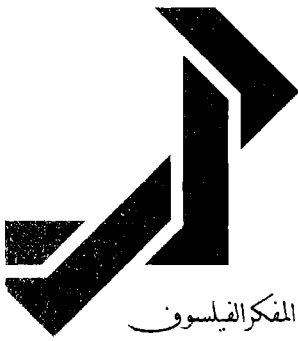
بتاريخ 2008/3/4م

سيد قطب

الأعمال الشعرية الكاملة

دراسة في أشعار سيد قطب
تقديم الدكتور حسن حنفي





الشاعر الرومانسي سيد قطب

بقلم . المفكر الفيلسوف

الدكتور حسن حنفي

سيد قطب هو الإمام الشهيد عند الإسلاميين . وهو المفكر الشهيد عند مجموع المفكرين . وهو الناقد الأدبي عند جماهير النقاد ، وهو الشاعر الرومانسي المنتسب إلى مدرسة (أبوللو).

والحقيقة أن سيد قطب له جوانب متعددة طبقاً لمرحل حياته . فهو الشاعر الرومانسي في العشرينيات (١٩٢٥-١٩٤٥) ، و كاتب قصص الأطفال .

وهو الناقد الأدبي في الأربعينيات (١٩٤٥-١٩٥٠) في (النقد الأدبي ، أصوله ومناهجه) ، (التصوير الفني في القرآن) ، (مشاهد القيامة في القرآن) .

وهو المفكر الإسلامي في الخمسينيات (١٩٥٠-١٩٥٤) ابتداء من (العدالة الاجتماعية في الإسلام) (١٩٤٩) ، (معركة الإسلام والرأسمالية) (١٩٥٠) ، (السلام العالمي والإسلام) (١٩٥١) ، (المستقبل لهذا الدين) (١٩٥٣) ، و(في ظلال القرآن) على مدى عشرين عاماً .

والمرحلة السياسية (١٩٥٤-١٩٦٥) وفيها أسوأ ما كتب (معالم على الطريق) الذي كتب وهو في السجن تحت آلام التعذيب الذي يكفر فيه المجتمع ويقسمه إلى إسلام وجاهلية ، نور وظلام ، إله وطاغوت ، إيمان وكفر . ولا حوار بين الحق والباطل إلا أن يقضى الحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(١)

١ - حسن حنفي: الدين والثورة في مصر ١٩٥٢-١٩٨١ / الحركات الإسلامية المعاصرة ، القاهرة ، مدبولي ١٩٨٨ ، ص ١٦٧-٣٠٠

كان الشعر مرحلة من العشرينيات حتى الأربعينيات لم تستمر. كانت أول قصيدة (وردة ذابلة) عام ١٩٢٥ وآخر قصيدة (أخي) عام ١٩٣٤ وهو في السجن. وكانت الذروة في الثلاثينيات خاصة عام ١٩٣٤ .

❁ كان يمكن تصنيف قصائده طبقاً لموضوعاتها، ولكن كان من الأفضل بيان خصائصها الشعرية وموضوعاتها. ويتضح سيد قطب شاعر الغزل ثم التأمل ثم الحنين ثم الوصف ثم الرثاء. ولا يأتي شاعر التمرد والوطنيات إلا في النهاية.

❁ هو شعر تقليدي عمودي وليس شعراً حديثاً. يستعمل الألفاظ العربية غير المتداولة كما هو الحال في الشعر الجاهلي. يحتاج إلى شرح اللغويين والنحاة. يغلف الروح الرومانسية بغلاف لغوي وغطاء لفظي يمنع من الإحساس الجمالي المباشر بالمضمون الشعري. قد يرى النقاد فيه بعض الصنعة والتكلف في الصياغة. ومع ذلك يبدو المضمون الرومانسي واضحاً. لم يدخل معارك الشعر الحديث كما فعل العقاد، وطه حسين، وصلاح عبد الصبور، بل دخلها في الرواية في عرضه لثلاثية نجيب محفوظ، وانتصاره للحديد ضد القديم، للعقاد على طه حسين. له قصته مثل (الأيام) لطه حسين وهي (طفل من القرية) و(يوميات نائف في الأرياف) لتوفيق الحكيم.

❁ وهو شعر عاطفي وجداني رومانسي. ينبع من أعماق النفس (حبيبة نفسي). فالشاعر غريب في العالم يدعو في (دعاء الغريب). يخطو الزمن به وثباً. يتوه في الصحراء، وتغوص أقدامه في (أقدام في الرمال).

١- له في عام ١٩٣٤ -٤١- قصيدة.

يحن إلى الماضي وإلى أيام الصبا وتذرف الدموع (الحنين والدموع). ويشعر بالحرمان في (ريحانتي الأولى أو الحرمان)، والحاجة إلى الإشباع الروحي وإلى (هتاف الروح)، ينبع شعره من أعماق القلب (هدأت يا قلبي). يمجّد الإبداع في الفن والحياة وكما كتب في ١٩٣١م في محاضرة قدمها مهدي علام: (مهمة الشاعر في الحياة). وظل كذلك حتى في مرحلته الإسلامية عندما كتب (الإسلام حركة إبداعية في الفن والحياة). ويتردد لفظ (الحياة) عشرات المرات في قصائده: (خريف الحياة)، (عودة الحياة)، (رسول الحياة)، (سر انتصار الحياة)، (داعي الحياة)، (تحية الحياة)، (حلم الحياة).

❁ وهو شعر واقعي يصف الجوانب السلبية في الإنسان، وفي الحياة كما يصفها القرآن، ووصف الإنسان بالجدل والتسرع والغرور والجهل والظلم. لديه إحساس بالاضطراب والحنق في (اضطراب حائق). والأقدار تسخر من الإنسان في (سخرية الأقدار). والدنيا خراب في (خراب). والنفس ضائعة في (النفس الضائعة). والصديق مفقود في (الصديق المفقود). والغد مجهول في (الغد المجهول). وهو غريب في العالم في (غريب) و(دعاء الغريب). يرثي عهداً ولّى في (رثاء عهد) و(عهد ذاهب). والشعاع خاب في (الشعاع الخابي). والشاطئ مجهول في (إلى الشاطئ المجهول). والشاعر في وادي الموتى في (السر... أو الشاعر في وادي الموتى). والخيطنة تغمر وجود الإنسان في (الخيطنة). وللقصيدة مصرع في (مصرع قصيدة).

والخلود خدعة في (خدعة الخلود). والنظرة موحشة في (نظرة موحشة). والناس في خصام في (خصام). والأفواه ظامئة في (الظامئة). واللحن حزين في (اللحن الحزين).

والحب في مصرع في (مصرع حب). والحب مكروه في (الحب المكروه)،
 والبكاء على أطلال الحب في (على أطلال الحب). والسلوان أكذوبة في
 (أكذوبة السلوان). والكأس مسمومة في (الكأس المسمومة). والوردة
 ذابلة في (وردة ذابلة). والجمال عبث في (عبث الجمال)، واليوم خريف
 في (يوم خريف). والجبار عاجز في (العاجز الجبار)، والجمال حزين
 في (جمال حزين). والهرة سوسو ماتت في (موت سوسو). وللفاجعة
 صدى في (صدى الفاجعة). والبدارى مأساة في (مأساة البدارى). والحنين
 يذرف الدمع في (الحنين والدموع). والحياة نكسة في (نكسة).

❁ وفي الوقت نفسه هو شعر مثالي يعبر عن حضور المثل الأعلى
 في الإنسان، كما هو الحال عند الرومانسيين الألمان فختة وشلنج. يعبر
 عن الجوانب الإيجابية في الإنسان كما يفعل القرآن في بر الإنسان بالديه.
 يريد الصعود إلى القمة في (على القمة). يعيش المحال في (عاشق المحال).
 يحقق الحلم القديم في (حلم قديم) و(جولة في أعماق الماضي). الشعراء
 فيه سعادة في (سعادة الشعراء) و(السعادة حديث الأشقياء). والروح
 تهتف في (هتاف الروح). والابتسامة على الوجوه في (ابتسامة)، والبسمة
 بعد العبوس في (بسمة بعد العبوس)، والوجوه طريفة في (وجوه طريفة).
 وهناك بعث بعد الموت في (بعث). والحب حقيقة وتعبير في (أحبك)
 و(لماذا أحبك؟) والقبلة نتيجة طبيعية للحب في (قبلة). والحب رقية في
 (رقية الحب)، والحب لا يخطئ في (عصمة الحب). والخواطر تتوارد في
 (توارد خواطر).

❁ وهو شعر إنساني عام، لا يفرق بين شرق وغرب. إذ لم يبدأ
 العداء للغرب إلا بعد ١٩٥٠ بعد الصدمة الحضارية إثر زيارته للولايات
 المتحدة في بعثة تربوية، والتي كان يكتب في أثنائها الرسائل لشقيقته
 (حميدة) يصف فيها انطباعاته عن العالم الجديد، والتي جُمعت بعد ذلك
 في (أمريكا التي رأيت).

كل أشعاره تجارب إنسانية عامة يمر بها كل إنسان بصرف النظر عن لغته وثقافته ودينه ووطنه وقومه، الموت والحياة، المحبة والعشق، الواقع والحلم، الماضي والحاضر والمستقبل، الزمان والخلود، أطوار العمر، الربيع والخريف، الألفة والغربة، السعادة والشقاء، البسمة والعبوس، الفرح والحزن.

❁ وهو شاعر طبيعة مثل شعراء الطبيعة القدماء والمحدثين، ذي الرمة وشعراء المهجر. ففي الطبيعة جمال، كما أن في الروح جمال. وللحياة خريفها وربيعها. سقوط أوراقها ونموها في (نداء الخريف) و(في ليلة من ليالي الربيع). وما أجمل الليل في الريف في (ليلات في الريف) و(العودة إلى الريف) في ظلال الأشجار في (بين الظلال). وما أجمل الطيف وصوت حفيف الأشجار في (طيف) و(صوت). والصبح يتنفس في (الصبح يتنفس). والحيوان جزء من الطبيعة مثل النبات. ويبدو ذلك في قصيدتي (سوسو) و(نوسة)، اسمين لقطتين.

❁ وهو شعر اجتماعي يعبر عن المفارقة بين الريف والمدينة. بالرغم من أن الريف مصدر الإلهام ووحى الرومانسية في (العودة إلى الريف) و(ليلات في الريف) إلا أنه أيضا موطن الفقر والبؤس واستغلال الفلاح. فالحرمان هي الريحانة الأولى في (ريحانتي الأولى أو الحرمان). الناس في (قافلة الرقيق) يسعون نحو التحرر. السلوان أكلذوبة في (أكلذوبة السلوان) و(مخلاها عيشة الفلاح، منتهى القلب ومرتاح). وهو ما عبر عنه نثرا فيما بعد في (العدالة الاجتماعية في الإسلام) و(معركة الإسلام والرأسمالية) و(السلام العالمي والإسلام)، الشاعر الوطني الاشتراكي مع (اشتراكية الإسلام) لمصطفى السباعي في سوريا. ويشعر بضرورة الثورة والخروج من العزلة في (عزلة في ثورة). وهو ما تحول عنه أحد تلاميذه إلى «اليسار الإسلامي» عام ١٩٨٠ بعد خمسة عشر عاما من استشهاده.

هو شعر وطنى يعبر عن الأمانى الوطنية للشعوب العربية، استقلال مصر، ثورة ١٩١٩، سعد العظيم، وحدة مصر والسودان، الجهاد فى فلسطين، انتماء مصر العربى. لذلك أعجب به عبد الناصر فى أوائل الثورة. وأراده رئيسا لهيئة التحرير، أول تنظيم سياسى للثورة. وطلب منه إعطاء أحاديث وطنية فى الإذاعة المصرية. وهو الذى كتب برنامجه الدعوي (دعوتنا) عندما طلب عبد الناصر كتابة الأحزاب لبرامجها السياسية. وسعد العظيم ذكره خالدة فى (الذكرى الخالدة لسعد العظيم). وهو البطل فى ذكره فى (البطل) و(ذكرى سعد). وهو (صوت الوطنية). و(مأساة البدارى) تضحية بالمواطنين فى حكومة الظلم. ومصر نبض العروبة فى (إلى البلاد الشقيقة). إنما العيب فى مدح الملك فاروق فى (المهرجان) مهجران العرش والشعب معا (عاش فاروق ودام المهرجان).

هو شعر يعبر عن الرغبة فى الخلود، وامتداد الإنسان أفقيا بين الماضى والحاضر والمستقبل، ورأسيا بين الزمان والخلود. الزمان يمر فى (مر يوم). ويخطو وثبا فى (خطا الزمن الوثاب). ويصل إلى نهايته فى (نهاية المطاف). وهى محطات أهمها فى سن الثلاثين فى (إلى الثلاثين). ولحظة الانتظار هى لحظة خالدة ينكشف فيها الخلود فى الزمان فى (الانتظار الخالد). ويعود إلى الماضى فى (جولة فى أعماق الماضى) و(الماضى) و(عهد الصغر) و(رثاء عهد) و(عهد ذاهب) و(الذكرى الخالدة لسعد العظيم) و(ذكرى سعد). فالغد مجهول فى (الغد المجهول).

ولا يوجد دين مباشر فى المرحلة الشعرية. كان الدين مجرد صور فنية، معانى علمانية للمعجزة واليقين والحب والشكر والصلاة والوحي والجنة. لا عقائد ولا شعائر ولا إلهيات، بل أخلاقيات وعمليات وإنسانيات. تذوق الجمال عبادة جديدة، والتسيب لعينى الحبيب. يرفع الروح إلى السماء. وتهتف الروح. والدعاء للغريب. وهبل رمز الجهل فى (هبل... هبل)، استدعاء للجاهلية. والبعث للوجدان والضمير والحياة كما هو الحال

في رواية تولستوى (البعث)، بعث أمة لطرد المحتل. والحياة لها رسول (رسول الحياة) والإلهام (وحي جديد)، ولقاء الحبيبين (وحي لقاء) و(وحي الخلود). للأقدار سخرية في (سخرية الأقدار)، وليست موضوعاً للإيمان كما هو الحال في عقيدة القضاء والقدر. والمعجزة هي الفعل البطول في (المعجزة أو السهم الأخير). و(الجبار عاجز) أمام دفعة الحياة. و(الوادي المقدس) في الأرض وليس في السماء.

✪ إنما قسوة التاريخ وظلم الشاعر والناقد والمفكر هو رده إلى مرحلة واحدة بعد ١٩٥٤ ونسيان ربع قرن من الإبداع الشعري والنقدي والفكري ورده إلى كتاب واحد (معالم على الطريق) الذي هو حرقه سجين مظلوم ومعذب بريء. وقد نسيت جماعته أيضاً المراحل الثلاث الأولى، ولم تتذكر إلا المرحلة الرابعة، باستثناء المخلصين له الذين تعلموا على يديه، وعرفوه مفكراً وثائراً ووطنياً باسم الإسلام. ولولا دخوله السجن في ١٩٥٤ وتعذيبه لما كَفَّر المجتمع في (معالم على الطريق)، ولولا سفرى إلى فرنسا وعودتى بعد عشر سنوات وعيشى في جو طبيعي لما كتبت (من العقيدة إلى الثورة)، ولا (من النقل إلى الإبداع)، ولا (من النص إلى الواقع)، ولا (من الفناء إلى البقاء)، ولا (من النقل إلى العقل). ولولا الصدمة الحضارية التي تلقاها من بعثته إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٠ لما كتب (خصائص التصور الإسلامى ومقوماته) رداً على (الإنسان ذلك المجهول) لألكس كاريل. وهو ما تطور بعد ذلك في (مقدمة في علم الاستغراب). ويتم استئناف (في ظلال القرآن) آخر ما وصل إليه علم التفسير من تطور في (الموقف من الواقع) أو نظرية التفسير، الجبهة الثالثة من مشروع (التراث والتحديد) بجهته الأولى موقفنا من التراث القديم، وجهته الثانية (موقفنا من التراث الغربى).

واليوم يرد - مركز الناقد الثقافي - الاعتبار لسيد قطب شاعرا
عسى أن يُرد إليه نفس الاعتبار ناقدا ثم مفكرا ثم سياسيا وتنتهى
أسطورة (معالم على الطريق). ف نفسية السجين استثناء في حياة الشاعر
الرومانسى، والناقد الأدبي، والمفكر الحر^(١).

حفظى صور الأديبة
www.books4all.net

١ - ما أرى هذه المرحلة إلا نيحة طبيعية للسقوط في وهدة المؤامرة، والانزلاق إلى مهاوي
الفتنة، ومن ثم الاحتراق بأتون الحقد. من طر في الأمة وحناحيها آنذاك، اللذين كان عليها المعول
لو تابعا مسيرتهما معاً، كما بدأها، التيار الإسلامي والتيار القومي المعتدل وما وصلت إليه أمتنا
اليوم يؤكد أن المؤامرة يومذاك كانت كبيرة ومحكمة، نجتز عذاباتها وتناجها المرة، والمأمول اليوم
أن يدوم هذا التصالح وهذا الوعي، بل وهذا الانسجام بين التيارين في وجه العدو المشترك
الذي لم يتغير . (الناشر)



المقدمة بقلم الناقد سيد قطب

أعرفُ مؤلّفَ هذا الديوان؛ معرفةً وثيقةً عميقة، قد لا يتأتى لأيّ
سواى أن يعرفها! ولقد صاحبتُه زهاءَ سنواتٍ عشرٍ أو أكثرَ قليلاً،
ورأيتُ خواجهه^(١) وسرّائره وخبرّتُ اتجاهاته وميوله، وكونتُ لي رأياً
عنه، أقربَ ما يكون إلى حقيقته.

ولقد كان يشجُرُ بيننا الخلافُ على كثيرٍ من الخواجج والقصائد، ولكننا
كُنّا نلتقي عن قريبٍ أو بعيدٍ، إلاّ أمراً واحداً، لا نزال مختلفين فيه أشدَّ
الاختلاف.

ذلك أنه راضٍ عن مجموعة هذا الديوان، أمّا أنا فلستُ راضياً عنها إلاّ
بمقدارٍ وما أزال أتطلعُ إلى مثلِ عُلَيّا، كما آخذُ عليه بعضَ أنواعِ الضعف
والخطأ. وما يشبه الضعفَ والخطأ في بعضِ الأفكارِ وبعضِ الألفاظِ!
وفي هذه المقدمة؛ سأستعرض آراءَ الشاعرِ واتجاهاته، ثم أذكر ماآخذه
وعيوبه، محاولاً ألاّ تؤثر صحبتي الطويلةُ له، والصدّاقَةُ العميقةُ بيننا؛ في
تحليلي لديوانه!!

الشعر والنظريات العلمية والفلسفية

في الفصل الأول من هذا الديوان، وفي كثيرٍ من قصائد الفصول
الأخرى، تُطالَعُ للقارئ، نظرياتٌ علميةٌ وفلسفيةٌ كثيرة، ولكنها لم
تُحفظ بِسَمَتِها^(٢) العلمي وشخصيتها المحددة، بل استحالت صورةً من
صور الشعر، فيها موسيقيته وعليها مسحّته؛ ولها سحنته^(٣).

١ - خواجه: خواطره ونزعاته.

٢ - السَمْتُ: الطريقة

٣ - السحنة: الهيئة واللون.

وليس هناك عداً بين الشعر وبين الفلسفة والعلم، فليس الثلاثة أنداداً^(١) حتى يشجرَ بينها العداً!

إنما الشعرُ أوسعُ مجالاً من العلم؛ ومن الفلسفة أيضاً، ولن يعسر عليه، حين يبلغ حدّاً مناسباً من النضوج؛ أن يلتهمهما جميعاً، ويعتصرهما دماً، ويمثلهما غذاءً، يُقوى من بنيته؛ إن لم يُحسّ بوجوده!

ولن ننكر على الشعر إلمامه بالحقائق العلمية والفلسفية فيما يُلمُّ به من حقائقٍ أخرى تناسب طبيعته؛ إلا إذا قصرنا طرق المعرفة على القوى الواعية في الإنسان، وهذا مبدأ لم يسلم من المآخذ، حتى في أكثر العصور مادية، وكثير من مدارس السيكلوجية^(٢) الحديثة، تحسب للقوى المجهولة في النفس الإنسانية حساباً كبيراً، وفي مقدمتها ((مدرسة التحليل النفسي)).

وهأنذا أخصُّ بعض هذه المسائل، التي تعرض للقارئ في هذا الديوان، والتي أدركها الشاعر بالإحساس والتأمل تارة، وبالاستغراق والتجرد تارة؛ فالتقت بعد ذلك بنظريات علمية وفلسفية مقررة، واتفقت معها؛ أو اختلفت، لأنها لم تنقيد بها، ولم تأت عن طريقها وحده.

الجسم والعقل والروح:

القول بالتباين بين الجسم والروح، قدم متداول في الفلسفة القديمة، والشاعر ميال إلى الأخذ بالروح العامة لهذه الفلسفة القديمة، وإن لم يأخذ بنصوصها في الفصل بين هذين العنصرين، لاعتقاده بوحدة الوجود. وبالتحديد يرى أن هناك شيئين متميزين جسماً وروحاً ولكن بينهما اتصالاً...

أما ما يستحق الالتفات فهو أنه يُفرد بعد ذلك بين القوى العقلية؛ والقوى الروحية في الإنسان، وتعبير أدق بين القوى الواعية، والقوى الملهمة - وليسست هي الغرائز - القوى المجهولة الكنه والوظيفة، والتي تعمل دون شعور بها؛ للسمو بالإنسانية.

١- الندُّ: المثلُّ والنظير.

٢- السيكلوجية: علم النفس

ويرى أن العقل يستطيع أن يكفل للإنسانية حياتها اليومية وما يقرب منها، ولكنه يقصر عن اتصالها بالمثل العليا الغامضة، وبالعوالم المجهولة، كما يقصر عن إدماجها في الوحدة الكونية الكبرى، والحقيقة الثابتة المتصلة، التي تبعد عن الفواصل من أمثال ((قبل وبعد. ماض وحاضر ومستقبل أنا وغير)).. إلخ.

وفي قصيدة الشاطيء المجهول؛ وهي أولى قصائد الديوان تفصيل لهذا البحث، كما أن فيها ظاهرة أخرى؛ وهي عدم ثقة الشاعر بالقوى الواعية؛ وشدة إيمانه بالروح وما يتصل بها من بداهة^(١) واستغراق، وتجرد؛ وصفية.

لقد حَجَبَ العقلُ الذي نستشيرُه حقائقَ جَلَّتْ عن حقائقنا الصُّغرى
هنا عالم الأرواح فلنخلع الحجا^(٢) فنغنم فيه الخلدَ والحبَّ والسحرا

الجسم والزمن والوحدة:

القوى الروحية - عند الشاعر - هي التي تربطه بالوحدة الكونية الكبرى كما تقدم، في حين تقصر القوى العقلية عن ذلك، وهو يرى أن الشعور بالزمن؛ نتيجة لوجود الجسم والقوى الواعية؛ وأن الروح تحس بالوجود المطلق؛ لا بقيده الزمن؛ وبالبداهة لا بقيده المكان.

ولذلك فهو حينما خلع الجسم وخلع الحجا في الشاطيء المجهول رأى أن ليس هناك (حيث) ولا (أمس) ولا (اليوم) ولا (الغد) ولا (غير) ولا (أنا)... إلخ.

ولكنه رأى الأزمان كالحلقة الكبرى ورأى (الوحدة التي احتجبت سرأ). وكذلك في قصيدة الليلات المبعوثه حين تجرد لم ير للزمان معلماً ولا رسماً ورأى كل شيء كرمز الدوام.

١ - البداهة: أول شيء، وما يُفجأ منه

٢ - الحجا: العقل

وقد يكون لهذا الإحساس علاقة بنظرية النسبية لأنشتين، كما قد يكون له علاقة بنظريات التصوف الإسلامي، ولكنه الإحساس المستقل للشاعر؛ الذي يشعر به، ويكرره في كثير من قصائده.

ويبدو شعوره بالوحدة الكونية بشكل واضح في (قصيدة الإنسان الأخير)؛ حين يستيقظ والكون قد خلا من الأحياء.

ففي نفسه ما يشبه الموت سكرةً ومن حوله موتٌ نَمَتْهُ المقابر

وفي نفسه من مثلها كلُّ ذرَّةٍ فهاتيك أشلاءً وهذى خواطر^(١)

وفي قصيدة (خبينة نفسي)^(٢) إذ يقول:

خبينة نفسي في ثناياك معرضٌ لما لقيته الأرض في الجولانِ

وإنك طلسمُ الحياة جميعها وصورتها الصغرى بكلِّ مكان^(٣).

ويبدو شعوره بوحدة الإنسانية؛ في مواضع كثيرة منها أن يجعل الإنسان الأخير يحاول كشف أسرار الغيب إكمالاً للجهاد الإنساني لهذه الغاية:

فياليت يدرى بما خلف سِتره فيختم سفر الناس في الكون ظافر^(٤)

وفي قصيدة (التجارب) يبدو إيمانه بوحدة الشعور، فقد صور شقياً وهب ماضياً سعيداً؛ فلم يطق عليه صبراً، وعاد ماضيه الشقى توحيداً لشعوره!

الإحساس بالزمن، ومحاولة الخلود

تبدو ظاهرة؛ تستحق الالتفات في شعر هذا الديوان، فكثير منه، يدل على إحساس متيقظ بالزمن ومروره والأسف على انقضائه؛ والتنبه إلى قصر الحياة؛ ومحاولة خلودها أو امتدادها على الأقل.

١- أشلاء: مفردتها شلُو، والأشلاء: أجزاء الجسم بعد الموت والبلَى.

٢- خبينة: المخبوء

٣- الطلسم (في علم السحر): الشيء الغامض.

٤- السفر: الكتاب

وعملاً للإحساس بالزمن كثيراً من فصول الديوان المختلفة؛ ففي فصل (الظلال والرموز) يبدو هذا الإحساس على أشده في قصيدة (البعث).

هكذا عشتُ كسكّانِ القبورِ في ربيعِ العمر؛ في العهدِ النَّصْرُ
آه لو أَسْطِيعُ لِلْمَاضِي الحَسِيرِ رجعةً، من بعد ما جاءَ وَمَرٌّ^(١)
كنتُ أحييه كما يُحْيَا الشُّبَابُ نابضاً بالحَبِّ؛ جيشَ الأُماني
ممسكاً أهدأبه خوفَ الذَّهابِ! مُسْتَعْرَافاً فِيهِ حَتَّى بِالثَّوَانِي^(٢)

وفي فصل (الصور والتأملات) تجده جازعاً أسفاً على أنه مر يوم من حياته.

لم تكن فيه حياةٌ أو أمل
وهو محسوبٌ علينا في الأجلِ
أو تمتّع
فهو أضيّع

وكذلك تجده ينادي ليلاات الريف في لفة ((إيه ليلااتنا، اخلدي، لا
تغيبي))!

وفي فصل الغزل والمناجاة تجده يتحدث عن الحياة الغالية فيقول.
واليومَ آسفٌ للدَّقَائِقِ تنطوي من عمري الغالي الثمينِ الطيبِ
واليومَ أرقبُها وأرقبُ حَطْوَهَا فأعيشها مثلين بعد ترقّي!
وفي مواضع أخرى كثيرة.

وليس غريباً؛ أن تلمح اعتزازه بالماضي وأسفه عليه متفشياً في معظم
فصول الديوان، فهو تمة لهذا الإحساس الغريب بالزمن.

١ - الحسير: المنصرم

٢ - أهدأبه: أطرافه

وهو لهذا يحاول الخلود، ويسلك إليه طرائق شتى فتارة يعتصم بالحب:

وغناءً عن الخلودِ غرامٌ هو رمزٌ ووَصْلَةٌ للبقاءِ
وتارة يلجأ إلى الريف؛ لأن مظاهر الدوام والاستقرار فيه؛ تخفف حدة الشعور بمرور الزمن:

يا ريفُ فيك من الخلودِ أثارةٌ تنسابُ في خَلْدِ وفي أوْهامي^(١)
فإذا أعياه ذلك؛ وأعياء طبيعة الخلق، فهو يتعزى بأخيه؛ ويهدي إليه الديوان لأنه امتداده في الحياة:

تميّت ما أعياء المقاديرِ إنّما وجدْتك رمزاً للأمانِ الصّوادفِ
فأنت عزائي في حياةٍ قصيرةٍ وأنت امتدادي في الحياةِ وخالفي

المجهول:

يملاً الشغف بكشف (المجهول) والحديث عن (السر) حيزاً كبيراً من الديوان؛ ويمد جناحيه على حيز آخر، ومن هنا جاء اسمه. ولعلها محاولة من محاولات الخلود، أو تعميق الحياة وتمديدها؛ بمعرفة عوالم ومصائر مجهولة، يضيق الجهل بها أفق الحياة.

أم لعلها نتيجة للفصل بين أجزاء الكون والحياة، بهذا الجسم الذي لا بد له من الفواصل والحدود مع شوق القوى الروحية، إلى العوالم المجهولة، التي حجبها الجسم والقوى الواعية.

وعلى أي حال فالحديث عن المجهول يأخذ صوراً متعددة، ويشغل مكاناً كبيراً من اهتمام الشاعر، حتى لقد يلح عليه في فصل (الغزل والمناجاة) في قصائد كثيرة.

١- الأثارة: البقية

ملكة التصوير وروح القصص:

يتبين للناقد، أن الشاعر في هذا الديوان؛ يقف موقف المصور في كثير من القصائد؛ حتى لا تكاد تخلو قصيدة من تصوير.

وقد يزيد على الصورة الصامتة في كثير من الأحيان حركة نابضة؛ والأمثلة على ذلك في (الشعاع الخابي. وخراب. والصحراء. والإنسان الأجير. وخريف الحياة. والجبار العاجز. وناحت الصخر) لا بل الأمثلة هي هذا الديوان كله، فهو متحف صور، قبل أن يكون قصائد شعر!

ولكن أي تصوير؟

إنه التصوير الهادي؛ الغامض. فالهدوء والغموض هما اللذان يثيران في الشاعر خاطر التصوير، بل خاطر التعبير، وهو يهرب من الضجة كما يهرب من الوضوح، فإذا اضطرب لملاستهما، فهو يعيش فيهما، ولكن لا يعبر عنهما.

ولقد لاحظت أن ألوان ملابسه جميعاً تتفق مع هذا الميل، وكذلك ألوان الأزهار التي يألفها؛ والمناظر التي يفضلها.

وهو مصور حسّي في بعض الأحيان. كما قد يصور الحركات الفكرية ويجسمها، أو الخواطر النفسية؛ ومنها ما يجول في نفسه هو؛ فتعجب لهذا (الوعي الفني) الذي يستطيع مع تصوير حلجات نفسه تصوير (المتبهِ) لها في حركتها الداخلية المستمرة كما في (خبينة نفسي، والنفس الضائعة، والغد المجهول، وغريب) وسواها.

وكذلك تجد روح القصص واضحة ومتفشية في كثير من المواضع، وهو يرمز للفكرة بقصة صغيرة، أو حوار كما في (التجارب) وفي (الصحراء) أو يجعل بعض القصيدة قصصاً، لتصوير موقف من المواقف.

موسيقية الديوان:

منذ عهد قريب جداً، كشفت عن ظاهرة تستحق التسجيل، ذلك أن لوناً من ألوان الموسيقى؛ يتفشى في هذا الديوان كله؛ على اختلاف أوزانه وموضوعاته.

ويجب قبل الحديث في هذا، أن أذكر أن موسيقا القصيدة؛ غير وزنها. فالوزن يتحقق بأيّ الألفاظ؛ ولكن الموسيقى؛ كما تعتمد على الوزن؛ تعتمد على الألفاظ والتراكيب الخاصة.

هذه هي الموسيقى السمعية، ولكن هناك موسيقا أخرى أرقى، وهي الموسيقى الفكرية؛ ثم الموسيقى الروحية.

وتتحقق الأولى بالوزن والألفاظ، والثانية بتسلسل الفكرة وتلاؤم أجزائها، والثالثة بالجو العام الذي يحس به القارئ للقصيدة. وما من شك في أن جواً نفسياً خاصاً يحف بالقارئ دون أن يحدد أسبابه.

وهذه الموسيقى الروحية هي التي أعنى أنها واحدة في الديوان، وهي من لون واحد. لون الموسيقى الصعيدية! موسيقا أولئك (الصعايدة) الغرباء؛ وهم يرتلوها في نغم رتيب، فيه شجو^(١). وفيه ألم، وفيه حنين. ولكن فيه كذلك رجولة وخشونة وروعة.

وتعليل هذا من الوجهة العلمية سهل. ونظرية (العقل الباطن) تفسره فقد اندست^(٢) هذه الألحان في نفس الشاعر وهو طفل في (موشا) وهي قرية من قرى أسبوط وهو يقول عن هذا الريف:

إني فقدتُك في الطفولة غافلاً عمّا حوت من الوجود السّامي

لكن وجدْتُك إذ كبرتُ بخاطري رمزاً أحيطُ بغمرة الإهمام

١- الشجو: الحزن

٢- اندست: دخلت في خفاء واستتار

التعبير:

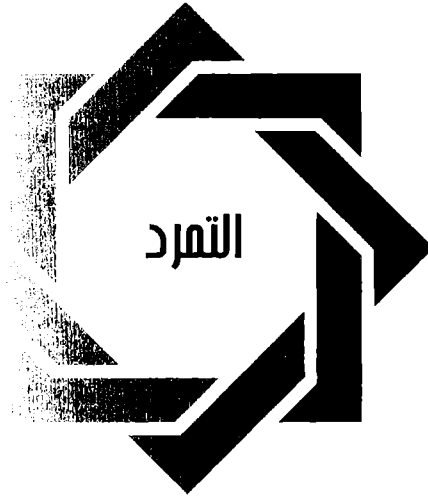
تبدو في هذا الديوان صورة واضحة للتعبير الدقيق المصور للأفكار؛ وأضرب مثلاً لذلك بقصيدة (في الصحراء) فهناك نخلة ملت الحياة التي لا تعرف سرها (يرمز بها إلى الأحياء جميعاً) فهذه النخلة تقول لأختها:
مُنْذُ مَا أَطْلَعْتُ فِي هَذَا الْخَرَابِ وَأَنَا أَسْأَلُ: مَا شَأْنِي هُنَا؟

ولو قال: ((منذ ما طلعت)) لذهبت قيمة التعبير المصور لحالة هذه النخلة التي أرغمت على الحياة ((فأطلعت)) دون إرادتها؛ ولم ((تطلع)) هي بمشيئتها.

ومثل هذه الدقة كثير في الديوان إلا أن هذا لا ينفى أن هناك ضعفاً في بعض التراكيب؛ وخطأ في بعض الألفاظ وإن تكن معدودة. والذي يستحق التنبيه أن هناك جرأة في الاشتقاق، قد تؤدي إلى الفوضى، وقد يستغلها العاجزون في اللغة استغلالاً...!
خاتمة:

وبعد: فهناك مباحث طويلة عن بقية فصول الديوان لا تتسع لها المقدمة ولا سيما فصل سيد (الغزل) وفصل (الوطنيات) أتركها للقراء.^(١)

١- اعتمدنا في طبعتنا هذه على نسخة مصرية قام بإعدادها الأستاذ عبد الباقي محمد حسين تلامي، والنسخة تستحق التقدير فقد بذل جهداً ملحوظاً استفدنا منه في طبعتنا هذه بالشكر الجزيل له.



إن نفسي ليس تَرْضَى : أيُّ نفسٍ

تقبل العيش كسكان القبور؟

عزلة ضي ثورة!!!*

حَدِيثِي أَنْتِ يَا نَفْسِي فَمَا أَفْهَمُ الْعَالَمُ أَوْ يَفْهَمُنِي
إِنِّي أَنْكَرْتُهُ الْيَوْمَ كَمَا أَنَّهُ بِالْأَمْسِ قَدْ أَنْكَرَنِي
لَمْ أَجِدْ فِي الْكُونَ إِلَّا أَلْمَا إِنَّمَا الْوَحْدَةُ أَصْلُ الشَّجَنِ

* * *

وَحْدَةُ الْأَرْوَاحِ أَنْكَى الْوَحْدَاتِ وَحْدَةُ الْأَجْسَامِ تُنْسَى وَتَهُونُ^١
أَيُّ بُؤْسِي تَسْتَحُثُّ الذِّكْرِيَّاتِ كَانْفِرَادِ الرُّوحِ فِي وَادِي الشُّجُونِ
إِنَّ رُوحِي قَدْ تَنَاسَتْ ((خُذْ وَهَاتِ)) وَانزوت في عالمِ جَمِّ الشُّكُونِ^٢

* * *

لَمْ أَجِدْ قَلْباً إِذَا ارْتَعَتْ خَفَقَ خَفَقَةَ الْحُبِّ بُوْحَى صَادِقِ^٣
وَإِذَا شَدَّ فِؤَادٌ فَصَدَقَ أَتْبَعَ الْحُبِّ بَغْدِرٍ مَاحِقِ
وَفِؤَادِي يَتُنَزَّى فِي حَرَقِ وَاجِفَاءٍ مِنْ كُلِّ حَدْسِ طَارِقِ^٤

* * *

وَحَبِيبٍ قَدْ سَمَتْ رُوحِي إِلَيْهِ وَعَبَدْتُ الطُّهْرَ فِيهِ وَالْجَمَالَ
وَوَقَفْتُ النَّفْسَ وَالْفِكْرَ عَلَيْهِ وَالْأَمَانِيَّ وَأَطْيَافَ الْخِيَالَ
وَرَأَى مِنِّي أَسِيراً فِي يَدَيْهِ فَتَوَلَّى لَاهِيّاً عَنِّي وَمَالَ

* * *

لم أجد في الكون ما أنشده مثلاً أعلى فأزوي ظمئي
وإذا صورت ما أقصده بهت الناس لهذا النبأ
وتولى بعضهم ينقده جاهداً والبعض يروى خطي

* **

وتقاليد وأسرى يعبدون هذه الأصنام مغلوب الفکر
وإذا ثرت عليها يسخطون ويقولون تمادى وكفر!
ويحهم ماذا تراهم يتغنون؟ أترى نحا شخوصاً من حجر؟!

* **

إن ذكرت الحب قدسياً نقياً حسبه من خيال الشعراء
إني أدركه روحاً خفياً يهبط الأرض ومأواه السماء
وهم يغونته إثمًا فرياً يرتدى في أثواب البغاء!

* **

أترى أحياءُ بروح لا تحس وفؤاد ليس يدرى ما الشعور؟
أكنتم الأنفاس إن جالت بحس ثم أبقى صخرة بين الصخور؟
إن نفسي ليس ترضى: أي نفس تقبل العيش كسكان القبور؟
حدثيني أنت يا نفس إذن واتركي العالم في الكون يموج

واعشقي كلَّ جمالٍ يُفتتنُ واضحِ الطَّلعةِ بَسَامٍ بهيجِ
وُخْذِي مَا شِئْتَهُ مِنْ كُلِّ فَنٍّ وَدَعِي مَنْ هَاجَ فِي الْأَرْضِ يَهِيحُ!
* * *

حَلِّقِي يَا نَفْسُ فِي كُلِّ فِضَاءٍ وَاهْبِطِي بَيْنَ الْأَقَاحِي وَالزُّهُورِ
وَاسْمَعِي مَا شِئْتَ مِنْ عَذْبِ الْغِنَاءِ حِينَمَا تَهْتَفُ بِاللَّحْنِ الطُّيُورِ
إِنَّمَا الْكُونُ وَمَنْ فِيهِ هَبَاءٌ بَعْدَمَا يَرْضَى عَنِ النَّفْسِ الضَّمِيرُ
* * *

حَدَّثِي يَا نَفْسُ إِنِّي لَسَمِيعٌ إِنَّ لَهَا النَّاسُ وَلَمْ يَسْتَمِعُوا^(١)
وَصِفِي إِحْسَاسَكَ السَّامِيَّ الْبَدِيعُ وَدَعِيهِمْ حَيْثُ هُمْ قَدْ وَدَّعُوا
وَإِذَا الْأَلْفَاظُ أَعِيَتْ، فَالْدَمُوعُ فَإِذَا جَفَّتْ، فَخَفَقَ يُسْمَعُ
* * *

أَقْفِرِ الْعَالَمَ مِنْ كُلِّ سَمِيرٍ يُعِدُّ الْوَحْشَةَ عَنِّي غَيْرَ نَفْسِي
فَلِيْفِضْ مَا جَاشَ فِيهَا مِنْ شَعُورٍ وَلِتَكُنْ إِلْفِي وَمَنْ أَرْجُو لِأَنْسِي
وَخُدَّةً فِيهَا هُدُوءٌ وَسُرُورٌ وَمَنَاجَاةً، فَيَا نَفْسِي لِتَأْسِي
* * *

١- لها الناسُ: تشاغلوا

إضطراب فاتقا*

أحياة أم نار الجحيم بظاها الهائج المُستعر؟^(١)
لا. ففي نفسي من الشجوة الأليم من حياتي فوق ما في سقر!
* * *

آه. لا شكوى ولا بث شجن لا أريد الضعف. كلا. لا أريد
سوف لا يظهر مني ما كمن فليشد الخطب إنني لشديد^(٢)
* * *

ولن أشكو إذا شئت الشكاه؟ ولمن أسطيع إيضاح شعوري؟
أين من ينظر مني ما أراه في شعوري، غير نفسي وضميري؟!
* * *

أغربي عني بعيداً يا حياتي قد كرهت العيش في جو قدر!
أغربي محفوفةً باللعنات أبعدني عن ساخط جهم صجر!^(٣)
* * *

لا فراراً من جهاد كالجبان لا. فما كنت جباناً أحتذر!
إنما أنت سبيل للهوان لست أرضاه ونفسي تشعُر
* * *

* نشرت في نيسان (إبريل) ١٩٢٩ م

١- المستعر: المتوقد، المشتعل

٢- كمن: احتفي

٣- الجهم: عابس الوجه، ضجر ضاق وتبرم

أَنَاسِيًّا أَرَى أَم حَشَرَاتٍ شَوَّهَتْ مِنْ طَلَعَةِ الْكُونِ الْجَمِيلِ؟
يُشْبِهُونَ النَّاسَ فِي تِلْكَ السَّمَاتِ بَيْنَمَا أَنْفُسُهُمْ رِجْسٌ يَسِيلُ!
* * *

حَقَرُوا الْكُونِ وَأَغْرَضَ الْحَيَاةَ حَسْبُهَا دَنَسًا فِي دَنَسٍ
وَصَغَارًا لَيْسَ يَرِضَاهُ إِلَهُ وَهَبَ الْأَرْوَاحَ نُورَ الْقَبَسِ!^(١)
* * *

إِنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا مَعْنَى الْجَمَالِ إِنَّهُمْ قَدْ جَهَلُوا سِرَّ الْوُجُودِ
وَإِذَا طَالَعَهُمْ طَيْفُ الْكَمَالِ لَانْحَاءً يَهْفُؤُ، تَوَلَّوْا فِي جُمُودٍ
* * *

فَهَمُّوا الْعَيْشَ طَعَامًا وَشَرَابًا وَرَوَاحًا حَيْثُ شَاؤُوا وَغَدَّوْا
أَنْفُسَ كَالْكَهْفِ مَا زَالَتْ خَرَابًا مِنْ شَعُورٍ يُلْهِمُ النَّفْسَ السَّمَوَا
* * *

فَإِذَا حَدَّثَ عَنْ طُهِرٍ بَدِيعٍ وَشَعُورٍ يَغْمُرُ النَّفْسَ بَرَاءً^(٢)
أَدْرَكَهُ سَافِلُ الشَّانِ وَضِيعٍ وَهُوَ أَسْمَى مَا اسْتَطَاعَتْهُ السَّمَاءُ!
* * *

١- القبس: النار أو الشعلة

٢- براء: خالص (بعيد عن الشبهات)

حَقَرُوا الْعِفَّةَ وَالْحِسَّ الْبِرَاءَ حَقَرُوا الرُّوحَ وَهَامُوا بِالْجُسُومِ
حَقَرُوا الْإِخْلَاصَ مُحْضاً وَالْوَفَاءَ وَرَأَوْا فِي النَّفْسِ مَحْيَاهَا الدَّمِيمَ
* * *

أَيْدِي مَا أَخْلَصَ الْوَدَّ فُؤَادٍ لِفُؤَادٍ مُخْلِصٍ، فَاتْلَفَا
لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ إِلَّا لِفَسَادٍ يَتْلَمُ الْعِرْضَ وَيُؤْذِي الشَّرْفَا؟^(٣)
* * *

لا. فما أَقْفَرَ هَاتِيكَ الْنَفُوسَ لا. فما أَجْمَدَ ذِيكَ الشُّعُورَ
إِنَّ وَجْهَ الْكُونِ مُعْبَرٌ عَبُوسٌ بِهِمُومٌ. فَلْيَغْرُبُوا عَنْهُ يُنِيرًا!

* * *

^١ - يتلم: يجرح، يحدث فيه نُدْبَةً

زفرات جامعة مكبوتة *

اذهبُ وخَلَّفني هنا متألماً لا تلقني سحاً ولا مُتجهماً
 اذهبُ وخَلَّفني تذوُبُ حُشاشَتِي وَيُبْضُ قَلبي من قَرارِته دَمَا^(١)
 اذهبُ فلن أشكو إليك عَواطِفي يوماً ولن أَلقَاكَ إلا أَبَكَمَا
 أرخصتَ حُجبي إِذِ بَشَّتَكَ بعِضه فليَبِقْ مَكبُوحاً إِذَنْ فَتَكْتَمَا
 إِن كَانَ بَسْتُ الحَبِّ عِنْدَكَ مَأْتَمَا فَكذلك عِنْدِي سَوف يَغدُو مَأْتَمَا
 * * *

اذهبُ وفي نَفسي لِبُعْدِكَ حَسْرَةٌ والعيشُ بَعْدَكَ صَارَ صُلْباً عَلَمًا
 سَأَنَامُ مَهْموماً وَأَصْحُو حَائِراً وَأَهيمُ في وادِي الأَسَى مُتألماً
 وَيُخيم البؤسُ المِضُّ فلا أرى إِلا شَقَاءً في الحِياة مُخيمًا^(٢)
 لكن سَأَكْتُمُ ما تُكِنُّ جِوانِحِي وَأعيشُ مَكبُوحَ الجوى مُستَسَلِمًا^(٣)
 * * *

واوليتاه لقد أهنتُ عَواطِفي وحسبُها عبثاً يُمَجُّ مُذَمَّما^(٤)
 وأراك تَأبي أن أكون مُتابعاً لك في الغدو وفي الرّواحِ مُيمِّما

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٢٩م

١- يبض: يرشح، يتر.

٢- الميض: المؤلم من أمضه الألم

٣- الجوى: جُرقة الشوق

٤- يُمَجُّ: يُلفظ

لَكَ مَا تَشَاءُ، فَمَا أَطِيقُ تَبْدُلًا مَنِي وَلَسْتُ أَطِيقُ مِنْكَ تَبْرُمًا
لَكَ مَا تَشَاءُ، فَلَنْ أَرَى مَتْنَائِيَا عَنِي فَارْجُو عَطْفَهُ مُسْتَرْحِمًا
وَإِذَا شَكُوتُ فَلِلسَّمَاءِ سَأَشْتِكِي أَلْمِي وَأَبْدُو صَابِرًا مُتَبَسِّمًا

سَأَعِيشُ عَيْشَ الزَّاهِدِينَ وَكَانَ لِي أَمَلٌ حَطَمْتُ قِوَامَهُ فَتَحَطَّمَا
أَمَلِي الَّذِي قَدْ كَانَ لِي هُوَ أَنْ يَعِيشَ شَ الْحُبِّ فِينَا طَاهِرًا وَمُكْرَمًا
أَمَّا وَقَدْ أَرْحَصْتُهُ وَأَهْنَيْتُهُ وَرَأَيْتُهُ إِثْمًا لَدَيْكَ مُحْرَمًا
فَلِيذْهَبِ الْأَمَلِ الَّذِي أَمَلْتُهُ حِينَا وَعِشْتُ بِظِلِّهِ مُتَنَعِّمًا
سَأُصُونَ عَهْدَ الْحُبِّ عَفَا طَاهِرًا حَتَّى أَمُوتَ بِهِ شَهِيدًا مُعْرَمًا

* * *

عاشقها الممال*

صِغَتَ بِالْقَيْدِ فَانْطَلِقُ أَيُّهَا الْآبِقُ الشَّرُودُ^(١)
قَدْ تَحَرَّرْتَ فَاسْتَيْقُ لِلصَّرَاعَاتِ مِنْ جَدِيدٍ

انْطَلِقُ تَصْعَدُ الرُّبَاهُ ثُمَّ تَهْوِي إِلَى السُّفُوحِ
شَارِدًا تَقْطَعُ الْحِيَاهُ فِي التَّعَلَّاتِ وَالطُّمُوحِ^(٢)

انْطَلِقُ تَفْجَأُ الْخَطَرُ كَالَّذِي يَفْجَأُ الرَّجَاءُ
لُغْبَةً فِي يَدِ الْقَدَرِ تَزْرَعُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ

جَمْرَةٌ أَنْتَ تَتَّقِدُ خَلْفَ سِتْرِ مِنَ الرَّمَادِ
وَهِيَ تَذُكُو بِلا مَدَدٍ ثُمَّ تَعُدُّو إِلَى نَفَادِ

أَنْتَ مِنْ طَيْفِ الْقَلْقِ صَاغَكَ اللَّهُ وَالْجُمُوحُ
تَعَشِقُ الْأَيْنَ وَالْحَرْقَ وَالْعَقَائِلَ وَالْجُرُوحُ^(٣)

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٤٢

١- الآبي: الهارب، الشروود: المطارد

٢- التعلات: جمع التعلة: ما يُتَعَلَّلُ أو ما يُتَلَهَى به.

٣- الأين: التعب والإعياء، العقائيل: ما يخلفه المرض من آثار

أَنْتَ تَرُنُّو إِلَى الْمَحَالِّ عَاشِقًا بَعْدَهُ السَّحِيقُ
فَإِذَا شَارَفَ الْمَنَالَ خَلَّتْهُ مِنْ لُقْيِ الطَّرِيقِ^(٢)

ضِقَّتْ بِالْقَيْدِ مِنْ ذَهَبٍ ضِقَّتْ بِالْأَمْنِ وَالْقَرَارِ
فَانْطَلَقَ ثُمَّ لَا تَثْبُ عِشْتِ لِلْخَوْفِ وَالْعَثَارِ^(٣)

مكتبة سوره الأريكة
www.books4all.net

١- اللقي: ما طرح وترك لهوانه على الطريق

٢- العثار: السقوط

علم قديم*

طَافَ بِي مُسْتَطَلِعاً حُلْمِي الْقَدِيمَ
فَتَطَلَّعْتُ إِلَيْهِ فِي وُجُومِ
قَلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَغْضَى خَجَلاً
قَالَ لِي: حُلْمُكَ فِي الْعَهْدِ الْوَسِيمِ!^(١)
قَلْتُ! يَا حُلْمُ. مَتَى عَهْدِي ذَاكَ؟
مَنْذُكُمْ يَا حُلْمُ قَدْ طَافَتْ رُؤَاكَ
قَالَ: لَمْ يَبْعُدْ بِأَطْيَافِي الْمَدَى
قَلْتُ: مَا أَبْعَدَ مَا مَرَّتْ خُطَاكَ
شَدَّ يَا حُلْمِي مَا قَدْ حَالَ حِسِّي؟
شَدَّ يَا حُلْمِي مَا أَنْكَرْتُ نَفْسِي!
أُتْرَى ذَاكَ الَّذِي نَعْرِفُهُ؟
قَالَ: مَا تُبْصِرُ عَيْنِي غَيْرَ رَمَسٍ!^(٢)

* نشرت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٥

١- الوسيم: الحسن الجميل

٢- الرمس: القمر مستويًا مع وجه الأرض.

وَمَضَى عَنِّي فِي يَأْسٍ عَقِيمٍ
سَادَرَ الْخَطْوَةَ فِي الْأَرْضِ يَهِيمٌ^(١)
قلت: يَا حُلْمِي تَمْضِي مُفْرَدًا
ليس في الرَّمْسِ سِوَى قَلْبِ رَمِيمٍ!^(٢)

* * *

مكتبة سواد الأريكة
www.books4all.net

١- يهيم: لا يدري أين يتوجه
٢- الرميم: البالي (فان)

بعد الأوان*

الآن والأيام مُدْبِرَةٌ، تُؤَلِّوُلُ بِالرَّوَاخِ
والأفُقُ مَحْضُوبُ الأَدِيمِ، وَقَدْ تَأَذَّنَ بِالرَّوَاخِ^(١)
أَقْبَلْتِ وَيَحِكُ تَبْسِمِينَ، فَأَيْنَ كُنْتِ لَدَى الصَّبَاحِ؟
وَجْهَ الحَرِيفِ، يُطَلُّ فَاسْتَمِعِي لِأَعْوَالِ الرِّيَاخِ!

* * *

بَعَثَرِ أَيَّامِ الشَّبَابِ، فَوِيحِ أَيَّامِ الشَّبَابِ!
لَا نَسْتَقِي إِلَّا عَلَى رَنْقٍ وَأَنْفُسُنَا غِضَابٌ^(٢)
لَمْ تَصْفُ كَأْسُ حَيَاتِنَا يَوْمًا وَلَا لَذَّ الشَّرَابِ
وَالآنَ تَنْطَلِقِينَ فِي لَهْفٍ إِلَيَّ وَفِي ارْتِقَابِ

* * *

عَيْنَاكَ وَالهَتَانِ لَاهِفَتَانِ كُلُّهُمَا دُعَاءٌ^(٣)
وَحَيْنٌ مُلْهَوْفٍ تَطَّلَعُ فِي قُنُوتٍ^(٤) لِلسَّمَاءِ

* نشرت عام ١٩٤٧م

١- الأديم: بياض النهار.

٢- الرنق: كدر (الماء المتعكر)

٣- الهتان: متحيرتان من شدة الوجد. لاهفتان: مشتاقتان

٤- قنوت: خضوع وحشوع.

ويحي فأين أنا وأين حينُ أيامي الظَّماء؟!
صَمْتُ الحَرِيفِ يُلْفَنِي وعليه شاراتُ المَسَاءِ!

* * *

ذَهَبَ الزمانُ هُناكَ، فامضي أنت عَنِّي
ما عادَ يُوقِظني نِداؤُكَ خِلْسَةً مِن بَعدِ وَهِنِ
ماتتْ مُنايَ جَمِيعُها، فَعِلامَ يَخُدُّعني التَّمَنِّي؟
فَرَقَ الزمانُ طَريقَنا، فامضي وَحَسْبُكَ ذاكَ مِنِّي!

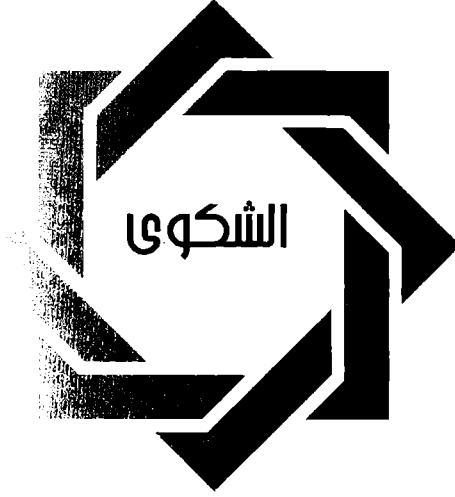
* * *

هَذي خُطايَ على الطَريقِ وتلكَ واجِفَةٌ خُطاكُ^(١)
الريحَ تَطْمِسُها فلا خَطو ولا أثرٌ هُناكَ
شَبَحانِ قد عَبَرا فلم تَشعُرِ بِهَذا أو بِذاكِ
تَتَلوهُما الأَشباحُ والأيامُ ماضيةً دَراكُ!^(٢)

* * *

١- واجفة: مضطربة

٢- دَرراك: متتابعة



لكنها نفسٌ سميتُ قتالتُ

والماءُ لا يصفو الحياةَ لشارب

سعادة الشعراء*

دَعْنِي وَلَا تَنْفُسْ عَلَيَّ مَوَاهِي خُذْهَا وَخُذْ أَلْمِي بِهَا وَمَتَاعِي^(١)
 دَعْنِي فَلَسْتُ كَمَا حَسِبْتَ مُنْعَمًا بِمَوَاهِبِ مَلَكَتْ عَلَيَّ مَذَاهِي
 أَنْتَ الْخَلِّيُّ فَخَلِّنِي وَعَوَاطِفِي أَلْمَتْ وَجْدَانِي فَلَسْتُ بِصَاحِبِي
 دَعْنِي أَعِيشُ كَمَا يَشَاءُ لِي الْأَسَى لَا كُنْتُ مِثْلِي. لَا دَهْتَكَ نَوَائِي
 إِنْ شَقِيٍّ لَوْ عَلِمْتَ دَخَائِلِي فَدَعِ الْمَظَاهِرَ لَا تَرْعَكَ جَوَائِي^(٢)

* * *

الشَّعْرُ مِنْ نِعَمِ الْحَيَاةِ عَرَفْتُهُ وَعَرَفْتُ فِيهِ الْبُؤْسَ ضَرْبَةً لِأَرْبِ^(٣)
 الشَّعْرُ ذُوبُ حُشَاشَةٍ مَسْفُوكَةٍ أَلْمَأُ وَوَجْدَاءُ فِي حَنِينٍ ذَاهِبِ^(٤)
 مَا ضَرَّ قَوْمًا لَا تُذَابُ قَلُوبُهُمْ شِعْرًا وَدَمْعًا مِثْلَ قَلْبِي الذَّائِبِ

* * *

النَّاسُ تَقْنَعُ بِالْحَيَاةِ وَتَرْتَضِي مِنْهَا مَحَاسِنَ سُوءَتْ بِمِثَالِ
 وَالشَّاعِرُونَ تَوَزَّهَمُ أَدْرَانُهَا يَبْغُونَهَا لَمْ تَمْتَزِجْ بِشَوَائِبِ^(١)

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٢٨

١- لا تنفس: لا تحسد

٢- لا ترعك: لا يثير إعجابك.

٣- لا زب: ثابت، لاصق.

٤- الحشاشة: بقية الروح في الجسد

حَسَّ أَرْقُ مِنَ الْأَثْرِ يُهَيِّجُهُ مَا قَد تَمَرُّ عَلَيْهِ مَرَّ اللَّاعِبِ^(٣)
وهي الحياة لِمَنْ يَرِقُّ شُعُورُهُ أَلَمْ وَأَنْ يُكْتَفَ ° فَلَذَةَ رَاغِبِ^(٣)

* * *

مَنْ لِي إِذَا جَنَّ الظَّلامُ بِهَدَاةٍ كَالهَادِثِينَ وَمَنْ يَطْمئنُ جَانِبِي
أنا في الطبيعة مُغْرَمٌ بِمَشَاهِدِ تُلْهِي فُؤَادِي عَنْ أَعَزِّ رِغَائِي
الليل يُشْجِنِي بِرَائِعِ صَحْوِهِ وَكَوَاكِبُ يَغْرُبْنَ إِثْرَ كَوَاكِبِ^(٤)
والبدرُ يُوحِي لِي بِسَرِّ طَوَافِهِ مُسْتَوْحِشاً لَمْ يَأْتَسِ بِمُصَاحِبِ
وَالْحُسْنُ يَدْعُونِي إِلَيْهِ فَأَنْشِي وَيُصَدِّقُنِي عَنْهُ بِصَفْقَةِ خَائِبِ

* * *

البائِسُونَ إِذَا سَمِعَتْ أَيْنِهِمْ أَحْسَسْتُ أَنْ مِصَابِهِمْ هُوَ صَائِبِي
وَالْبَاسِمُونَ إِذَا شَهِدْتُ نَغُورَهُمْ هَاجَتْ حَيْنِي لِلصَّفَاءِ الذَّاهِبِ
وَالْبَعْدُ يُؤْذِينِي وَرَبِّ مَفَارِقِ لَمْ يُؤْذِهِ يَوْمًا تَنَائِي غَائِبِ
وَكَرَامَةٍ لَوْ مُسَّ مِنْهَا جَانِبٌ أَصْغَرْتُ عَيْشِي عِنْدَهَا وَمَطَالِبِي
بَلَّغِ الحِفَاظُ بِهَا القِدَاسَةَ وَالتَّقَى وَحَذَارِ وَهَمِّ خَاطِي أَوْ صَائِبِ

* * *

١- تَوَزَّهْمُ: تَزَلُّزُهُمْ، أَدْرَاغُهُمْ: أَوْسَاحُهَا

٢- الْأَثْرُ: الْمَرَادُ النَّسِيمُ

٣- يُكْتَفَى: مِنْ كَتَفَ يُكْتَفَى: يَغْلُظُ

٤- الصَّحْوُ: الْهَدْوُ وَالصَّفَاءُ.

٥- سَمَّتْهَا: أَذَقْتُهَا

يَالَيْتَ لِي نَفْساً إِذَا مَا سَمْتُهَا عَكَرَ الْوَرُودِ اسْتَرَشَدْتُ بِتَجَارِيهِ^(هـ)
لَكِنَّهَا نَفْسٌ سَمَتْ فَتَأَلَّمْتُ وَالْمَاءُ لَا يَصْفُو الْحَيَاةَ لِشَارِبِ
دَعْنِي أَعِشْ مُعَذَّباً مَتَأَلِّماً بِمَوَاهِبِي يَا شِقْوَتِي بِمَوَاهِبِي
* * *

سفرية الأقدار*

أغلبُ الظنِّ، وقد تدري الظنونُ أنها ألعابُ دهرٍ سَاخِرٍ
مَاهِرٍ يَهْزَأُ بِالْمُسْتَهْزَيْنِ يِعْثُ النُّكْتَةَ عَفْوَ الْخَاطِرِ!^(١)

* * *

وَسَوَاءٌ أَضْحَكَتْ سُمَارَهُ أَمْ دَهَّتْهُمُ بِالرِّزَايَا وَالْمِحْنِ
فَهُوَ يُلْقِي أَبْدَأَ أَدْوَارِهِ وَهُوَ لَا يُسْأَلُ عَن مَادَا وَمَنْ؟

* * *

يَسْمَعُ الْأَنَاتِ تَشْتَقُّ الْقُلُوبَ صَارِخَاتٍ كَشَجِيَّاتِ النَّوَاحِ^(٢)
لِيكَادُ الصَّخْرُ مِنْ هَوْلٍ يَذُوبُ وَهُوَ يَلْقَاهَا بِهُزْءٍ وَمِزَاحٍ!

* * *

* نشرت عام ١٩٢٩

١- عفو الخاطر: من غير تكلف.

٢- تفجرها، الشجيات: مفردا شجية، وهي المحزنة.

الصديق المفقود!*

اجتُونا لي ما استطعتم عن صديقٍ فلقد أعيانِي البعثُ الكثيرُ!
مخلصِ الطبعِ له قلبٌ رقيقٌ خالصُ الإحساسِ قَيَّاضُ الشعورِ

إنَّ هذا القلبَ يَهْفُو أبداً

لصديقٍ أَصْطَفِيهِ مُفْرَداً

وأريدُ الودَّ رطباً كاللّدى

غيرَ أنَّ الكونَ ذو طبعٍ صَفِيقٍ^(١) ناضبِ الإحساسِ مَمْسُوحِ الضميرِ
يحقرُّ الإخلاصَ في القلبِ الشقيقِ ويرى الغدرَ بإعجابٍ جديرِ

طالما هَمَّتْ بحبِّ الأصدقاءِ^(٢)

وتغنيتُ بألحانِ الوفاءِ

سامياتٍ كأناشيدِ السَّماءِ

سكرةً عَجَلِي ومنَ ثمَّ أفيقُ فإذا بي ألمَسُ الغدرَ الحقيِرُ

وإذا الإخلاصُ خالِبٌ بريقُ منِ سرابٍ أو سنا بَرَقِ قَصِيرِ^(٣)

* نشرت في كانون الثاني (يناير) ١٩٣٠.

١- صفيق: قبيح.

٢- همت: تعلقت.

٣- خلاب: خلداع بريقه.

أيهذا الكونُ إن كنتَ تُجيبُ!
أيُّ عيشٍ في حمي الغدرِ يطيبُ؟
ثم ماذا تبتغي تلكَ القلوبُ
غيرَ إحساسٍ من العطفِ رقيقٍ يَغْمُرُ الأرياحَ فيأح العبيرُ^(١)
فإذا العيشُ رجاءٌ ووُثوقٌ وإذا الكونُ رضاً وحبوراً

* * *

إنَّ هذا العطفَ رمزٌ للخلودِ
وعذاءُ الروحِ في هذا الوجودِ
كلُّ ما في الكونِ لولاه زهيدٌ
ورحيبُ العيشِ لولا العطفُ ضيقٌ والنعيمُ العزْبُ مَسْلُوبُ النعيمِ^(٢)
وأرى الإنسانَ بالعطفِ خليقٌ في جحيمِ العيشِ والعيشِ جحيمٌ

* * *

١- فياح : منتشر
٢- العزْبُ: البعيد الخفي.

ابحسوا لي بين أطراف الرجاء
عن صديقي ذلك الطهر البراء
لن أمل البحث لو طال العناء

ليس هذا اليأس باليأس الحقيق فهو لن يُخبي في نفسي السعير
حيرة تائهة ما إن تُفبق وهي الوحده أو عيش القبور

* * *

يا صديق الغيب يا طيف الأمل
هأننا قلب من الوحده مل
ينشد الإخلاص في قلب خصل^(١)

وهو لا ينوي عتاباً لصديق حينما يُخطيء أخطاء الغرير^(٢)
فحسبي قلبه السمح الرقيق في فيافي العيش إلفاً لي سمير

* * *

١- خصل: عض طري

٢- الغرير: الساذج، عدم التجربة

فَرَاب...!

أَقْفَرْتُ شَيْئاً فَشَيْئاً كَالْيَابِابِ غَيْرِ آثَارٍ مِنَ النَّبْتِ الْمَهْشِيمِ^(١)
بَاقِيَاتٍ رِيثَمَا يَسْفَى التَّرَابِ فَإِذَا الْكُونُ خَلَاءً فِي وُجُومِ^(٢)
* * *

كَانَ يَنْمُو هَاهُنَا النَّوْرُ صَغِيرٌ فَوْقَ نَبْتٍ لَيِّنِ الْعُودِ هَزِيلِ
فَنَدَوِي النَّوْرَ، وَمَا كَانَ نَضِيرٌ إِعْمَا الْمَعْدَمُ يَرْضَى بِالْقَلِيلِ!
* * *

زَهْرَةٌ فِي إِثْرِ أُخْرَى تُحْتَضِرُهُ وَهُوَ يَرْنُو ذَاهِلاً لِلزَّهْرَاتِ
مُلَقِيَاتٍ حَوْلَهُ بَيْنَ الْحَفْرِ وَالرِّيَّاحِ الْهُوجِ تَدَوِي مُعُولَاتِ
* * *

وَإِذَا الْكُونُ حَوَالِيهِ خَرَابٌ مُوحِشُ الْأَرْجَاءِ مَفْقُودُ الْقَطِينِ^(٣)
وَهُوَ يَرْنُو فِي وُجُومٍ وَاكْتِنَابٍ يَكْتُمُ الْعَبْرَةَ فِيهِ وَالْأُنَيْنِ
* * *

وَيُدَوِّي حَوْلَهُ صَمْتُ الْفَنَاءِ حَيْثُ تُمَحَى كُلُّ آثَارِ الْوُجُودِ
أَيْنَ؟ - لَا أَيْنَ! - الْأَمَانِي وَالرَّجَاءِ طَمَسَ الْيَأْسُ عَلَيْهَا وَالْكُنُودِ^(٤)
* * *

* نشرت عام ١٩٣٢

١- المهشيم: اليابس من كل شيء.

٢- يسفى: يتطاير، ومنه: الرّيح السّافية.

٣- القطين: المقيم.

٤- الكُنُود: نكران النعمة من كَنَدَ النعمة: كفرها وجحدما.

فريفا الحياة *

بَكَرَ الخَريفُ فلا ورودَ ولا زهورَ ومَشَى الرُكودُ فلا نسيماً ولا عَبرَ
صَمَتَتْ صَوادِحُها فما تشدُّو الطيو رُها، وما تشدُّو الجداوُلَ بالخَريزِ
وسَرَى القَفارُ بكلِّ مُخَصِبَةٍ فما تجدُ الخَصيبَ بها؛ وما تجدُ النَضيرَ
والسُّحْبُ طافيةٌ تُغشي كالسُّتور وتسيرُ وانيةً الخطا سيرَ الأسيِرِ
فإذا الحياةُ يَغضُّ رَوْنَقَها الأسيِرِ * * * وإذا القلوبُ بها كَلِيمٌ أو كَسيرٌ^(١)

والحُبُّ! ويحِ الحَبُّ من هذا البكورِ غامت عليه سحابةُ اليأسِ الميرِ
وذوتَ بَجنَتِه أَفانينُ المني وخبا بهيكلِ حُسنِه القبسُ المنيرِ
وسَها عن التقديسِ والتسبيحِ في محرابِه العُبادُ مَسحُورِو الدهورِ
ومَشُوا بساحِته كما يمشي الخليلُ من الغرامِ فلا حينَ ولا شُعورِ
هانتَ شَعاثرُه ومَسَّ ستورُه في جُراة، غيرَ المقدسِ والطَّهورِ

* * *

الأرضُ غيرُ الأرضِ في دورانِها لتكادُ مِنْ فَرطِ السَّامةِ لا تدورُ
والريحُ غيرُ الريحِ في جَولانِها لتكادُ تكتُمُ في جَوانِحِها الزفيرِ^(١)

* نشرت عام ١٩٣٤

١- يَغضُّ: يتراجع. الرَونق: الصفاء والحُسن.

والطيرُ غيرُ الطيرِ في أحنِها لتكادُ تَنعَبُ بالخرابِ وبالثبورِ^(٢)
والناسُ غيرُ الناسِ في آمالِها ليكادُ يَجُتُّو اليأسُ في تلكِ الصدورِ
بَكَرِ الخريفِ فويلَه هذا البكورَ ودنا المصيرُ فويلَه هذا المصيرُ!^(٣)

* * *

١- الجوانح: مفردها الجناحة: ضلع من الصدر والمراد: داخل الصدر.
٢- الثبور: الهلاك.
٣- هنا نداء محذوف: (فياويله)

الانفس الضالعة*

أني أنا؟ أم ذاك رمزٍ لغابرٍ؟ لأنكرتُ من نفسي أخصَّ شعائري!
 لأنكرتُ إحساسي وأنكرتُ منزعي وأنكرتُ آمالي، وشئتُ خواطري^(١)
 وأنكرتُ شعري وهو نفسي بريئةٌ مُمحصَّنةٌ من كلِّ خلطٍ مُخامرٍ
 وتفصلني عما مضى من مشاعري عهدٌ وآبادٌ طوالٍ الدياترِ
 وأحسبها ذكرى؛ ولكنَّ بعدها يجيلُ لي: أن لم تمرَّ بخاطري!
 * * *

أنقبُ عن ماضي بين سرائري فألمحه كالوهم؛ أو طيفٍ عابرٍ^(٢)
 أعيشُ بلا ماضٍ كأنِّي نبتةٌ على السطح تطفو في مهبِّ الأعاصيرِ!
 وما غابِرُ الإنسانِ إلا جذوره فهل تمَّ نبتٌ دونَ جذرٍ مؤازرٍ؟
 وقد يتعزَّى المرءُ عن فقدِ قابلٍ فكيف عزاءُ المرءِ عن فقدِ غابرٍ؟
 * * *

أنقبُ عن نفسي التي قد فقدتها بنفسي التي أحيها بها غيرَ شاعري!
 واطلبها في الروضِ إذ كان همُّها تأملُهُ يُفضي بتلك الأزاهرِ
 وفي الليل إذا يغشى، وكانت إذا غفاً تيقظُ فيها كلُّ غافٍ وسادرٍ

* نشرت عام ١٩٣٤

١- منزعي: المنزَع: النزوع إلى الغاية والنزوع: الحنين والشوق.

٢- أنقبُ: أبحث

وفي الليلة القمراء إذ تهمس الرؤى وتوميء للأرواح إيماء ساحر
وفي الفجر، والأنداء يقطن والشذى يفوح، ويشجي سمعه لحن طائر^(١)
وفي الحب إذ كانت شواظاً وحرقةً ومهبط آمالٍ ومطمحٍ ثائر
وفي النكبة النكباء والغبطة التي تجودُ بها الأقدارُ جودَ المحاذير!
ولكنني أيتست أن ألتقي بها وتاهت بوادٍ غامرٍ التيه غائر
سأحيا إذن كالطيفٍ ليست تحسه يدان، ولا يجلوه ضوءٌ لناظر

* * *

١- الشذى : الرائحة، يشجي: يطرب أو يثير إحساساته.

الفد المجهول*

يَالَيْتَ شِعْرِي، مَا يُخْبِتُهُ غَدِي؟ إني أروح مع الظنون وأعتدي^(١)
وأجِلُّ بآصرتي بها وبصيرتي أبغي الهدى فيها، وما أنا مُهتدٍ^(٢)
حتى إذا لاح اليقينُ خلالها أشفقتُ من وجه اليقين الأسودِ
وأشحتُ عنه، ولو أطقتُ دَعْوَتَهُ وطرحتُ عني حَيْرَتِي وترددي
فكأنني المآلح تآه سفينه ويخافُ من شطِّ مريبٍ أجردٍ!

* * *

مَاذَا سَيُولَدُ يَوْمَ تَوْلَدُ يَا غَدِي؟ إنني أحسُّ بهولِ هذا المولدِ!
سَيَصْرُخُ الشكُّ الدفينُ بمُهَجَّتِي فأبيتُ فاقده خيراً ما ملكتُ يدي
ستروغُ من حولي عواطفُ لم تزل تُضفي علي بعطفها المتوددِ
ستجفُّ أزهارُ يفوخِ عبرها حولي؛ وينفحني بها الأرجُ الندي^(٣)
والمشعلُ الهادي سيخبو ضوءه ويلفُّني الليلُ البهيمُ بمفردِي

* * *

* نشرت في ١٩٣٤

١- ياليت شعري: ليت علمي متحصّل.

٢- الباصرة: قوة الإبصار، البصيرة: قوة الإدراك والفطنة

٣- الأرج: أرج الطيب: فاح

ماذا تُخَلِّفُ يَوْمَ تَذْهَبُ يَا عَدِي؟ لاشيءَ بَعْدَ الْفَقْدِ لِلْمُتَفَقِّدِ
«سَتُخَلِّفُ الْأَيَّامَ قَاعاً صَفْصَفاً تَذْرُو الرِّياحُ بِها غِبارَ الْفَدْفَدِ»^(١)
لأمرتَحي يُرْجِي، ولا أَسْفَ على ماضٍ يَضِيعُ كأنَّه لَمْ يُوجَدْ
أبداً ولا ذِكْرِي تُجَدِّدُ ما نَطْوِي حتى التَّألمُ لا يَعودُ بِمَشْهَدِي!
رَبِّاهِ ابْنِي قَدْ سِئِمْتَ تَرْدُدِي فالآنَ، فَلتَقْدِمُ بِهولِكَ يا عَدِي

* * *

مكتبة نور الأريكة
www.books4all.net

^١ - صفصفاً: المستوي من الأرض لا نبات فيه. الفدغد: الأرض الواسعة المستوية لا شيء فيها

* غريباً!

غريبٌ . أجل أنا في غُربةٍ وإن حَفَّ بي الصَّحْبُ والأقربون
غريبٌ بنفسِي وما تنطوي عليه حَنايَا فَوَادِي الحُنُونِ
غريبٌ وإن كَانَ لَمَّا يزلُ ببعضِ القلوبِ لِقَلْبِي حنينُ
ولكنَّهَا دَاخِلَتْهَا الظنُونُ وَجَاوَرَ فِيهَا الشُّكُوكَ اليقينُ
غريبٌ فَوَاحِجَتِي للمُعِينِ وَوَاهِفَ نَفْسِي للمُخْلِصِينَ

* * *

أَكَادُ أَشَارُفُ قَفَرَ الحَيَاةِ فَأُشْفِقُ مِنْ هَوْلِهِ المَرَعِبِ
هِنَالِكَ حَيْثُ رُكَّامُ الفَنَاءِ يَلُوحُ كَمَقْبَرَةِ الغَيْهَبِ^(١)
هِنَالِكَ حَيْثُ يَمُوتُ الرِّجَاءُ وَتَثْوِي الأَمَانِي كَالْمُتَعَبِ
فَأَرْجِعُ كَالجَازِعِ المُسْتَطَارِ أُرْجِي أَمَانِي فِي المَهْرَبِ^(٢)
ولكنه مُقْفَرٌ أَوْ يَكَادُ فِيَا للغَرِيبِ، وَلَمْ يَغْرُبِ!

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤

١- الغَيْهَبُ: الظلمة.

٢- المُسْتَطَارُ: الفِرْع المذعور

مر يوم *

مَرَّ يَوْمٌ مِنْذُ مَا اسْتَيْقَظْتُ أَمْسَ مَرَّ يَوْمًا
نَبَأَ يَا بَاهُ وَجَدَانِي وَحَسَنِي فَهُوَ وَهُمْ

مَرَّ يَوْمٌ؟ قَالَتْ السَّاعَةُ مَرًّا، قَوْلٌ وَاتَّقِ!
أَسْأَلُ الشَّمْسَ: أَحَقًّا؟ وَالْقَمَرَ فَيُوافِقُ!

أَهُوَ يَوْمٌ فِي الرَّؤْيَى لَا فِي الزَّمَانِ وَالْحَقِيقَةِ؟
أَمْ تُرَى يَوْمٌ طَوَاهِ الْعُقْرَبَانِ فِي دَقِيقَةٍ؟^(١)

كَيْفَ مَرَّ الْيَوْمُ! مَا هَذَا الْعَجَبُ كَيْفَ مَرَّ
تَكْذِبُ الْأَفْلَاكُ أَمْ حَسَنِي كَذَبٌ؟ أَمْ سَخِرَ؟

لَمْ تَكُنْ فِيهِ حَيَاةً أَوْ أَمَلًا أَوْ تَمَتُّعًا
وَهُوَ مُحْسُوبٌ عَلَيْنَا فِي الْأَجْلِ فَهُوَ أَضْيَعُ!

تَحْسُبُ الْأَقْدَارُ بِالْكُمْ فَلَا هِيَ تُفَرِّقُ^(٢)
بَيْنَ يَوْمٍ مَرًّا أَوْ يَوْمٍ حَلًّا أَوْ تَحَقِّقُ!^(٣)

وَنُؤَدِيهَا كَمَا تَبْغِي الْحِسَابَ وَهُوَ عُمْرُ!
فِيهِ مِنْ خَصْبٍ وَفِيهِ مِنْ يَبَابٍ وَهِيَ تَذُرُّ^(٤)

* نشرت عام ١٩٣٤

١- عقرب الساعة: المؤشر وفيه كناية عن سرعة انقضاء اليوم

٢- بالكم: أي الكمية لا بالقيمة.

٣- مرًّا: من المراجعة ضد حلا من الحلاوة.

٤- يباب: خراب

إلى الثلاثين *

إلى الثلاثين نَصِّي! الرِّكَّابَ حَثِيئَةً يَالْيَالِ^(١)
مَضَى مِنَ العُمَرِ أَغْلَى اللَّبَابِ فَلَسْتُ آسٍ لِغَالِ
مَضَى مِنَ العُمَرِ مَا يُسْتَطَابُ مِنْ بَهْجَةٍ أَوْ جَمَالِ
مَضَى كَمَا جَاءَ عَهْدُ الشُّبَابِ عَهْدُ المُنَى وَالخِيَالِ
وَضَاعَ فِي غَمْرَةٍ وَاضْطْرَابِ وَمَرَّ دُونَ احتِفَالِ
فأسرعِي يَالْيَالِ
عَلَامَ مِنْ بَعْدِهِ تُمَهِّلِينَ؟ وَأَيَّ غَيْبٍ تَهَابُ؟
وما احتِفَالِ بِمَرِّ السِّنِينَ؟ من بَعْدِ مَرِّ الشُّبَابِ؟
وما الَّذِي يَالْيَالِ يَكُونُ بَعْدَ اكْتِهَالِ الرِّغَابِ
يَكُونُ - وَاحْسُرَتَاهُ - السَّكُونُ عَلَى ضِفَافِ اليَابِ؟^(٢)
يَكُونُ - كَالقَيْدِ - عَقْلُ رزِينِ! يُعْطُو لِشَطِّ الصُّوَابِ!^(٣)
فِي السُّوءِ المَاتِ^(٤)

* نشرت في آذار(مارس) عام ١٩٣٤.

١- نَصِّي : اظهري من نَصِّ بِنَصٍّ: رفع وأظهر، عَن وَحَدَد.

٢- الرِّكَّاب: ما توضع فيه الرَّجُل ، والمراد: الاستعداد والتهيئة.

الحَثِيئَةُ: السريعة الجادة.

٣- يُعْطُو: يَطَّلَع.

٤- المَاتِ: المصير

فذلك العقلُ رمزُ القيودِ ونحنُ شَرُّ العُنَاهِ^(١)
يَزُودُنَا عن مِرَاقِي الخُلُودِ وخَيْرِ مَا فِي الحَيَاةِ
وَالطَّيْشُ رمزُ الشَّبَابِ المُرِيدِ يَسْمُو بِنَاعِنِ مَدَاهِ
فَنَحْنُ نَرْنُو لِهَذَا الوجودِ بِفِتْنَةٍ وَانْتِبَاهِ
فَلَا نُبَالِي بِصَرْفِ الجُدُودِ وَلَا نَخَافُ العَدَاهِ^(٢)
فَكُلُّ يَوْمٍ حَيَاةٍ
يُضَاعَفُ اليَوْمَ مِنِّي المَصَابِ إنْ لَمْ أَعِشْ بِالخِيَالِ
قَصِيئُ - واحسرتاهُ - الشَّبَابُ كالكهَلِ فِي كُلِّ حَالِ
يَجِيئُ بالنفْسِ سَيْلُ الرِّغَابِ فَلَا يُمَسِّي اعْتِدَالِي
وَوُجْهَتِي فِي الحَيَاةِ الصَّوَابِ وَنظَرِي للمَالِ!^(٣)
عَصِيئُ أَمْرَ الحَيَاةِ المُجَابِ فَكَانَ رُشْدِي ضَلَالِي!
فَأَسْرِعِي يَايَالِ

* * *

١ - العُنَاهُ: مفردُهَا عَانُ: الخَاضِعُ الذَّلِيلُ.

٢ - بَصْرَفُ: مَن صَرَفَ الدَّهْرَ: نَوَابِهُ وَحِدَاتُهُ. الجُدُودُ: الحِظُوظُ وَالمِرَادُ: فَلَا يَبَالِي بِالأَحْدَاثِ
الَّتِي يَخْطُهَا الحِظُ لَنَا.

٣ - المَالُ: المَصِيرُ وَالنَّهَآيَةُ.

فط الزمن الوتاب *

حُطَّ الزَّمَنِ الوَتَّابِ بَعْضَ التَّوْتُبِ إِلَى أَيْنَ؟ قَدْ أَوْغَلْتَ فِي غَيْرِ مَذْهَبِ
 تَمْرِيْنَ كَالْأَوْهَامِ لَا أُسْتَبِيْنُهَا وَتَمَضِيْنَ عَنِّي مَوْكِباً إِثْرَ مَوْكِبِ
 وَإِنِّي كَالْمَحْمُورِ قَدْ غَابَ وَعَيْهِ وَكَالشَّبْحِ الْهَيْمَانِ فِي غَيْرِ مَطْلَبِ^(١)
 تَشَابَهْتَ الْأَبْعَادُ عِنْدِي فَمَا أَرَى أَمَامِي فَرَقاً بَيْنَ نَاءٍ وَمُكْتَبِ^(٢)
 وَيَا رُبَّمَا أَنْسَ أُمُوراً قَرِيْبَةً وَأَوْغَلَ فِي الْمَاضِي الْبَعِيدِ الْمُنْكَبِ^(٣)
 * * *

حُطَّ الزَّمَنِ الوَتَّابِ. بَعْضَ التَّوْتُبِ طَوَيْتَ حَيَاتِي بَيْنَ صُبْحٍ وَمَغْرِبِ
 قَفِي لِحْظَةً؛ أَنْظُرُ إِلَى الْأَمْلِ الَّذِي ضَمَمْتَ ثَنَائِيهِ عَلَى كُلِّ مُعْجَبِ
 وَأُسْتَرْجِعُ الْمَاضِي رُوَيْدًا وَهَيْنَةً أَدَاعِبُ فِيهِ الطِّفْلَ أَوْ أَضْحِكُ الصَّبِيَّ^(٤)
 وَأُسْمَعُ أَوْهَامَ الْفَتَى وَخَيَالَهُ كَمَا يَسْمَعُ الْمَشْتَاقُ الْحَانَ مُطْرِبِ
 قَفِي لِحْظَةً؛ أَنْظُرُ إِلَى الْأَمْلِ الَّذِي أَبْحَثُ لَهُ مِنْ مُهْجَتِي كُلِّ مَشْرَبِ
 وَغَدَيْتُهُ نَفْسِي، وَقَدْ بَعْتُ دُونَهُ حَوَاضِرَ أَيَامِي وَمَاضِي الْمَجْرَبِ

* نشرت في تشرين (أكتوبر) عام ١٩٣٧

١- الهيمان: من هَام يهيم: خرج على وجه الأرض لا يدري أين يتوجه.

٢- ناء: بعيد. مكتب: قريب.

٣- المنكب: من نكب عنه: عدل وتخى.

٤- هينة: بطئاً.

قَفِي. أَنْتِ قَدْ جَفَلْتِ مَا ضِيَّ فَا نَزَوِي وَنَقَّرْتِ آمَالِي وَعَمَّيْتِ مَا رَبِّي^(١)
* * *

تَمَرِّينِ يَا أَيَّامَ قَفْرَاءَ؟ أَمْ أَنَا خَوَيْتُ مِنَ الْإِحْسَاسِ؟ قُولِي وَأَطْنِي^(٢)

وَأَحْسَبُ أَنْ لَنْ تُعْرِبِي بِمَقَالَةٍ إِذَا كَانَ سَمْعِي لَا يَصِيخُ لِمُعْرَبٍ!^(٣)

* * *

مكتبة نور الأريكة
www.books4all.net

١- جفلت: طردت. مآربي: حاجتي الشديدة
٢- خويتُ: من خوى المكان : خلا مما كان فيه. أطني: أطللي .
٤- تعربي: توضحي وتبيني

نهاية المطاف *

تَنْشُدُ السُّلْوَانَ مِنْ حُبِّ عَقِيمٍ وَتَرُومُ الْبِرَّاءَ مِنْ دَاءٍ قَدِيمٍ
 هَا هُوَ السُّلْوَانُ فَانظُرْ: أَتَرَى شَارَةَ الْمَوْتِ عَلَى تِلْكَ الرُّسُومِ؟^(١)
 شَاهٍ فِي خَاطِرِكَ الْكُونُ وَمَاتَ وَتَخَلَّتْ عَنْكَ أَحْلَى الذِّكْرِيَّاتِ^(٢)
 وَبَدَأَ الْعُمُرُ حَزِينًا عَاطِلًا كَامِدَ السَّحْنَةِ مَجْفُورَ السَّمَاتِ
 قَدْ مَضَى الْحُلْمُ، فَحَقِّقْ فِي الْعِيَانِ هَلْ تَرَى إِلَّا خَوَاءً فِي الزَّمَانِ؟^(٣)
 وَتَهَاوِيلُ الرُّؤْيَى... يَا وَيْحَهَا! غَالَهَا الصَّخُوفُ فَمَاتَتْ مُنْذُ كَانَ!^(٤)
 نَمَّ قَرِيرَ الْعَيْنِ إِنْ كُنْتَ تَنَامُ لَفَكَ الصَّمْتُ وَعَشَاكَ الظَّلَامُ
 يَأْمَنُ الدُّنْيَا وَيَخْلُو لِلْكَرَى مُعْدِمَ الْكَفِينِ مَفْقُودَ الْحُطَامِ!^(٥)
 قَدْ خَلَا الْهَيْكَلُ مِنْ وَحْيِ الصَّنَمِ وَغَدَا مَعْبُودُكَ الْأَسْنَى حُطَمَ^(٦)
 أَتَطِيقُ الْآنَ تَحِيًّا مُلْحِدًا أَمْ تُرَى تَخْلُو لِشَيْطَانِ النَّدَمِ
 ضَنْقَتَ بِالْخَوْفِ وَدُنْيَا الْاضْطِرَابِ أَتَرَى الْأَمْنَ هُنَا بَيْنَ الْيَبَابِ؟

* نشرت في آب (أغسطس) عام ١٩٤٥

١- السلوان: من سلا يسلو: نسيه وطابت نفسه بعد فراقه.

٢- شاه: فُجِح

٣- خواء: من خو يخوي: خلا مما كان فيه . والمراد الفراغ

٤- غالها : أهلكتها

٥- الحطام: متاع الدنيا.

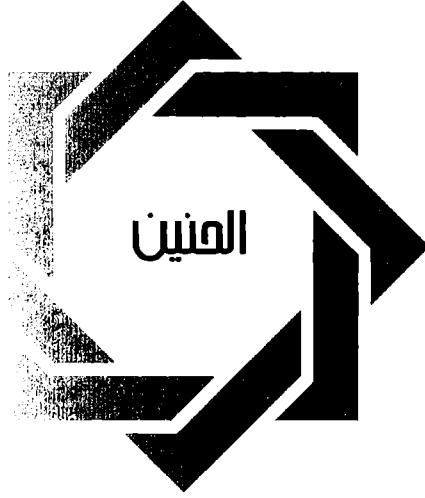
٦- الأسنى: الأعلى

أيهما المنكوبُ في أحلى المنى الحياةُ الحُبُّ والحُبُّ العذابُ!
ضفّت بالقيدِ! فها أنتَ طليقُ! ما يُباليكُ إذن حادي الرقيقِ!
فَهُوَ يُخْلِى في الفياضِ كُلَّ مَنْ لا يُساوي ثَمَنَ القيدِ الوثيقِ!^(١)
عُمُرُكَ الفَارِغُ كالثقلِ زهيدٍ ليس فيه من طريفٍ أو تليدٍ^(٢)
وهي الأيامُ تَقْضِي مثمًا تَنْقُضِي أيامَ مَاجُورِ شَرِيدِ
أينَ أحلامُكَ بالعُشِّ الجميلِ؟ أينَ آمالكُ في الظلِّ الطليلِ؟
قَدْ مَضَى الحُلُمُ ووَلَّى موهنا فاركُنْ الآنَ إلى الصَّحوِ الطويلِ!
تَمَّضْ يا منكودُ ما كنتَ ترومُ ومَشَى السُّلوانُ في الحُبِّ القديمِ
نَمَّ قَرِيرَ العَيْنِ واهنأ بالكُرى الكُرى الميِّتِ في القلبِ العقيمِ!

* * *

١- الفياض: الصحراوات

٢- طريف أو تليد: حديث أو قديم



كان، والمؤمُّ في (كان) الفناء!

حيث لا رجعي ولا طيفُ أملكُ

عهد الصغر *

إذا الليل جنّ تجمّش الفكر ويورقُ جفني مرّ الذكّر^(١)
 ويخلو فؤادي لأحلامه فيجعلُ منها حديثَ السمرِ
 وتخلدُ رُوحِي إلى الذكرياتِ فتسري تباعاً سِراعاً تمُرُ
 فأنأ تُوْزُ وأنا تليدُ وأنا تسوءُ وأنا تسُرُ^(٢)
 هدوءٌ طويلٌ وصمتٌ رهيبٌ وفي النفسِ أشجانها تشتجرُ
 إذا ما ذكّرتُ زماناً تقضى بديعِ الرُسومِ جميلِ الأثرِ
 تراءى لِنفسي عهدُ الصغرِ فتشتاقُ نفسي لعهدِ الصغرِ
 لعهدِ الرّضاءِ وعهدِ الحبورِ وعهدِ الصّفاءِ القليلِ الكدُرِ
 أنامٌ وأضحو على ما أشاء طروبَ الفؤادِ قريّرَ النظرِ
 وتصحو الغزاةُ من حدرها فتزهو الورودُ ويحيا الزهرُ^(٣)
 وتبدو الرياضُ رياضُ القرى بوشي جميلٍ ووجهٍ نصرِ
 ويسجعُ فيها الحمامُ طروباً وتشدو البلابلُ فوقَ الشجرِ

* نشرت في كانون الثاني (يناير) ١٩٢٨

١- تجمّش الفكر: تدافع وتندفق الأفكار.

٢- توز: تزلزل بشدة.

٣- الغزاة: يقصد بها الشمس

رعى الله عهداً جميلاً تولى وخلفني للأسى ثم مر
وأسلمني لصعاب الأمور وكيد الصُروف وطول السَّهر

ألا يارعى الله عهد الصَّغرِ ألا لحا الله عهد الكِبَرِ^(١)
فذلك عهد صَبوحِ أغرٍ وهذا عبوسِ ظَلومِ قَتِر

مكتبة نور الألفية
www.books4all.net

١- لحا فلاناً: قبح فلاناً.

جولة في أعماق الماضي*

حَدَّثَانِي بِمَا مَضَى حَدَّثَانِي وَأَعِيدَا إِلَيَّ عَهْدَ الْأَمَانِي
وَإذْكَرُوا لِي زَمَانَ عَشْتُ طَرُوبًا لَا أَبَالِي بِمَحَادِثِ الزَّمَانِ
وَصَفَا لِي لِيَالِيًا قَدْ تَقَضَّتْ كُنْتُ فِيهَا كَالْحَالِمِ الْوَسْنَانِ
صَوْرًا لِي الرِّيَاضَ وَالزَّهْرَ وَالوَرْدَ وَلَحْنَ الطَّيُورِ عَذْبَ الْأَغَانِي
وَأَعِيدَا لِمُسْمَعِي ذِكْرِيَاتٍ لَا تَصْدَى لَهَا يَدُ النَّسْيَانِ
وَاسْمَحَا لِي بِزَفْرَةٍ وَحَنِينٍ لَيْسَ لِي سَلْوَةٌ سِوَى التَّحْنَانِ^(١)
وَاعْفِرَا لِي دُمُوعَ عَيْنِي فَبِإِي لَأُرَى الدَّمْعَ فَوْقَ كُلِّ بِيَانٍ
إِنَّهُ النَّفْسُ رُقِقَتْ ثُمَّ سَالَتْ أَوْ هُوَ الْقَلْبُ ذَائِبًا مِنْ حَنَانٍ
وَأَقْلُ الْوَفَاءِ لِلْعَهْدِ ذِكْرِي هِيَ خَيْرٌ مِنْ حَاضِرِ الْأَزْمَانِ
وَقَلِيلٌ عِنْدَ التَّنْذِيرِ شَوْقٌ وَدُمُوعٌ تُكِنُّ أَسْمَى الْمُعَانِي
إِنَّ ذِكْرِي الْقَدِيمَ لِلنَّفْسِ تُؤَسِّي وَتُهَيِّجُ الشُّجُونَ لِلوُجْدَانِ
وَهُوَ وَاللَّهُ بَعْضُ أَجْزَاءِ نَفْسِي بَاعَدَتْ بَيْنَهَا يَدُ الْحَدَّثَانِ^(٢)
فَإذْكَرَا لِي الْقَدِيمَ هَمْسًا وَرَفْقًا وَدَعَايَ أَجِيْشُ لَا تَعْدِلَانِ

* نشرت في شباط (فبراير) ١٩٢٨، ثم نشرت في آذار (مارس) بعنوان (سبحة في أغوار الماضي)

١- التحنان: الحنين الشديد، أو الرحمة

٢- الحدثنان: الليل والنهار

يا دياراً نشأت فيها صبياً وصحبتُ الشبابَ في العفوانِ
 لكِ مني تحيةً وسلاماً أنتِ دارُ النعيمِ والرّضوانِ
 فيك يا دارُ من صباي رسومٌ زاهياتُ النقوشِ والألوانِ
 هي عندي أعزُّ من كلِّ شيءٍ وهي تبقى وكلُّ ما عَزَّ فَإِنَّ
 فيك يا دارُ من هَوَايَ رَسِيمٍ وألْدُ الهوى هوى الشُّبانِ^(١)
 * * *

فهو رَوْضُ الحِياةِ في ذلكِ الحينِ وفيه القُطوفُ شتى دَوَانِ
 وهو وحي من جانبِ الله يُوحى وهو سرُّ الإلهِ في الإنسانِ
 ما أرى العيشَ غيرَ حبِّ برىءٍ من ذميمِ الأهواءِ والأدْرانِ
 رَبُّ يَوْمٍ قضيتُه في حُبورٍ بين جمعٍ من صفوةِ الخِلانِ
 دونَه الدهرُ والحياةُ جميعاً في رِضاءٍ وامتعةٍ وامتنانِ
 * * *

إن تلك الحِياةَ شيءٌ عَجيبٌ وهي النَّفْسُ كلَّ يومٍ بِشَانِ
 كيف كان الرِّبيعُ ثوباً بهيجاً وهو اليومَ ناصِلُ الألوانِ؟^(٢)
 ها هو الروضُ والوردُ والزهرُ وهذا الحَمَامُ من فوقِ بانِ
 لا أرى الوردَ غيرَ جذرٍ وساقٍ أو أَحْسُ الغناءَ عذباً شَجابِي

١- رسيس من رَسَّ يُرْسُ رسيماً: دخل وثبت المراد: أثر باق ثابت.

٢- ناصل الألوان: زالت ألوانه من نصل اللون: زال اللون

إِنَّمَا النَّفْسُ حِينَ تَصْفُو تَرَاهَا خَلَعَتْ صَفْوَهَا عَلَى الْأَكْوَانِ
 وَهِيَ النَّفْسُ حِينَ تَغْبَرُ يَبْدُو كُلُّ نَوْرٍ أَمَامَهَا كَالدُّخَانِ
 لَوْ تَسَاوَى الْإِحْسَاسُ فِي كُلِّ آنٍ تَتَسَاوَى الْأَشْيَاءُ فِي كُلِّ آنٍ
 عَمَّرَكَ اللَّهُ مَا الْمَحَاسِنُ إِلَّا صُورَةُ النَّفْسِ فِي بَدْيِعِ افْتِنَانِ
 وَكَذَا الْقُبْحُ صُورَةٌ قَدْ تَرَاءَتْ فِي خِيَالٍ فَحَقَّقَتْ لِلْعِيَانِ
 فَرَعَى اللَّهُ عَهْدَ أَنْسِ أَرَانِي صُورَةَ الْكَوْنِ فِي جَمَالِ الْحَسَانِ
 وَرَعَى اللَّهُ خَيْرَةً وَرِفَاقاً وَرَعَى اللَّهُ أَرْبَعاً وَمَغَانِي^(١)

* * *

١- أربعاً: مفردة ربيع، والرَّبْعُ محلة القوم ومرتحمهم وقد يطلق على القوم مجازاً. المعاني: المنازل

الماضي *

شَبِحُ المَاضِي وَمَا المَاضِي سِوَى
يَتَرَاى كُلَّمَا شَطَّ النُّوَى
بِعَضِّ نَفْسِي قَدْ تَوَلَّاهُ العَدَمُ
وَإِذَا الكَآمِنُ فِي نَفْسِي نَارٌ
فَإِذَا الذِّكْرَى شُجُونٌ وَالْمُ
جَائِشًا مُضْطَرَمًّا

كَالجَحِيمِ

كُلَّمَا أَقْبَلَ يَوْمٌ وَمَضَى
ذَاهِبًا عَنِّي كَبْرَقَ أَوْمَضًا
أَوْغَلَ المَاضِي بِمَجْهُولِ سَاحِقِ
وَهُوَ صَمْتٌ تَحْتَهُ صَخْبٌ مُثَارٌ
ثُمَّ دَوَى بِعَدِهِ الصَّمْتِ العَمِيقِ
وَحَنِينٌ أَضْرَمًا
وَوَجُومٌ

آه لَوْ مَلَكَتُ تَصْرِيفَ الزَّمَنِ
لَرَجَعْتُ الدَّهْرَ لِلْمَاضِي إِذَنْ
كَيْفَمَا أَهْوَى وَأُنِّي أَرْغَبُ
وَرَفَاقٌ لِيُنُو العُودِ صِغَارٌ
فَإِذَا بِي حَيْثُ كُنَّا نَلْعَبُ
لَيْسَ تَدْرِي الأَلْمَا
وَالهَمُومُ

زَهْرَاتٌ نَضْرَاتٌ بِاسْمَاتٍ
مَرَحَاتٌ مَشْرِقَاتٌ لِأَهْيَاتٍ
تَلْمَحُ العِبْطَةَ فِيهَا والرِّضَاءُ
فَهُوَ رَوْضٌ زَاهِرٌ دَانِي الثَّمَارِ
لَا تَرَى فِي الكُونِ إِلا مَا تَشَاءُ
وَهِيَ نُورٌ قَدْ نَمَّا
فِي الكُرُومِ

تَسَاقَى الْوَدَّ مِنْ غَيْرِ انْتِبَاهٍ فَإِذَا الْعَيْشُ سُرُورٌ وَفَرَحٌ^(١)
وَإِذَا الْكُونُ وَمَا فِيهِ حَيَاةٌ تَبَدَّى فِي نَشَاطٍ وَمَرَحٍ
تلك أيامٌ طويلاً قِصَارٌ

فِي زَمَانٍ بَسَمًا

وَنَعِيمٍ

أَيْنَ مَنِّي ذَلِكَ الْعَهْدُ الْوَسِيمُ أَيْنَ مَنِّي بَعْضُ أَيَّامِ الصَّغْرِ
إِنَّهَا مَرَّتْ كَمَا يَهْفُو النَّسِيمُ فَيَحْيِي وَيُحْيِيهِ الزَّهْرُ
ذَهَبَ الْمَاضِي وَأَعْيَا الْإِنْتِظَارُ

وَهُوَ يَعْدُو قُدَمَا

كَالظَّلِيمِ^(٢)

أَيُّهَا الْمَاضِي زُوَيْدًا فِي خُطَاكَ فَعَلَامَ الْيَوْمِ تَمْضِي مُسْرِعًا
إِيَّاهُ مَهْلًا حَسْبُنَا طَوْلُ نَوَاكٍ وَبِحَسْبِي مِنْكَ أَنْ لَنْ تَرْجِعَا^(١)
لَجَّتِ الذِّكْرَى وَلَمْ يَبْقَ اصْطِبَارُ

وَسْتَغْدُو عَدَمًا

لَا يَدُومُ

* * *

١- تتساقى: تتبادل الشراب

٢- كالظليم: ذكر النعام.

٣- نواك: فراقك.

رثاء عهد*

أنا أرثيك يا عهدَ المُتَى؟ أنا أرثيك يا عهدَ الوفاءِ؟
أنتَ يا عهدُ أرثيكَ أنا؟ لا. فلنْ أقوى على هذا الرثاءِ!
* * *

لا. ولنْ يجرى على الطرسِ قلمٌ لا. ولنْ تُعلنَ هذا كَلِمَاتٍ^(١)
أرثاء؟ أَعَدَا المَاضِي عَدَمٌ؟ أو هل يَغْدُو رَهيناً بِفَوَاتٍ؟
* * *

رَبِّ. حقُّ ذاكَ أمْ هاجِسُ سوءٍ يَنْفُثُ الهَمَّ بِنَفْسِي والقَلْقَ؟
أَمْضَى عهدٌ هو العَمْرُ الهَنِيءُ؟ أو حقُّ ذاكِ يارُبُّ أَحَقُّ؟
* * *

أو عهدٌ هو رِيًّا مُهَجَّتَيْنِ وهو سَارٍ في الحَنَايَا والشَّعَابِ^(٢)
يَنْطَوِي كَمَا لِبَرَقٍ فِي غَمْضَةِ عَيْنٍ ثم يبدُو لَانِحاً مِثْلَ السَّرَابِ؟
* * *

أو يَغْدُو ذلِكَ العهدُ الوَسِيمُ حُطْماً^{١١} تَلْهُو بِهِ أَيَدِي الفَنَاءِ؟
زَهْرَةٌ فِي الكُمِّ تَلْقَاهَا هَشِيمٌ وَنَعِيماً وَادِعاً يَضْحَى شِقَاءَ^(٣)

* نشرت في أيلول (سبتمبر) ١٩٢٩

١- الطرس: الورق الذي يكتب عليه

٢- رِيًّا مهجتين: ما يروى قلبين.

٣- الكم: البرعم. المشيم: عشب جاف.

أَهْنَا مَثْوَاكَ يَا عَهْدُ. هُنَا؟ أَهُنَا يَا عَهْدَ أَقْصَى خُطْوَاتِكَ؟
وَإِذَا أَدْعُوكَ يَا عَهْدَ الْمُنَى لَمْ تُجِبْ دَاعِيكَ مِنْ بَعْدِ وَفَاتِكَ؟

وَإِذَا قَلَّبْتُ يَا عَهْدُ يَدَيَّ حَسْرَةً قَاتِلَةً أَوْ لَهْفًا
أُتْرَى تَرُنُّو بِاشْفَاقٍ إِلَيَّ أَمْ تَرُدُّ الطَّرْفَ عَنِّي صَدَفًا؟^(١)

وَلَوْ أُنَى اسْطَعْتُ يَا (عَهْدُ) الرِّثَاءَ بَعْدَ إِذْ يَمْضِي مِنَ الْعَمْرِ سَنِينَ
فَبِأَيِّ الْقَوْلِ اسْتَطِيعُ الْوَفَاءَ وَبِأَيِّ الدَّمْعِ تُذَرِّيهِ الْعَيُونَ؟

أَنْتَ جِزْءٌ مِنْ فُؤَادِي قَدْ فَقدْتُهُ مَا غَنَاءُ الْقَوْلِ فِي صَدْعِ فُؤَادٍ؟
أَوْ غِنَاءُ الدَّمْعِ فِي مَاضٍ عَدَمْتُهُ هُوَ أَعْلَى مَا أُرْجَى مِنْ تِلَادٍ؟^(٢)

أَهْ يَا عَهْدُ وَمَا آلمَ آهٌ وَهِيَ ذَوْبُ النَّفْسِ لَا رَجْعَ أَيْنِ
أُغْرِبِي عَنِّي بَعِيدًا يَا حَيَاهُ لَا يَطِيقُ الْعَيْشَ مَنكُوبٌ حَزِينٌ

١- صدفا: من صدف عنه يصدف: أعرض ومال، وصدف فلان عن الشيء: صرفه.

٢- تِلَاد: المال الأصلي القديم والمراد: الأصالة

عهد ذاهب؟!*

عُزَّ حَتَّى لَتَوَقِيهِ الْعَيُونُ وَتَقْدِيهِ الْأَمَانِي وَالْقُلُوبُ
وَتَسَامِي عَن مَنَالَاتِ الظُّنُونِ وَبَدَا كَالْحُلْدِ مَأْمُونِ الْمَغِيبِ
لا تراه النفسُ إلاّ باقياً

أبد الدهر قوياً واقياً

طاهر الأردن عفا سامياً^(١)

كالرجاءِ العذبِ في الدَّهنِ الخصبِ زاحراً ما إن يُرائي أو يخيبِ
هُوَ عَهْدٌ صِغٌ مِنْ حُبِّ نَقِيٍّ وَسُمُوٌّ فَوْقَ إِحْسَاسِ الْبَشَرِ
وَوَقَاءٌ سَابِغُ الْغَيْضِ نَدِيٍّ وَحَنَانٌ مِثْلَ أَرْوَاحِ الرَّهْرِ^(٢)
صَوَّرْتَهُ سَاعَةَ الْعَطْفِ السَّمَاءِ

ورعته يدُ أملاكٍ براءٍ

فغدته بأفاويقِ النَّقَاءِ^(٣)

وَتَجَلَّى الْغَيْبُ عَنْهُ فَسَفَرَ فِي جَلَالٍ وَجَمَالٍ مُزْدَهَرِ
كَانَ. وَالْمَوْلَمُ فِي (كَانَ) الْفَاءُ! حَيْثُ لَا رُجْعِي وَلَا طَيْفُ أَمَلٍ
وَرَمَاهُ بَغْتَةً سَهْمُ الْقَضَاءِ فَتَرَاخَى فِي الْخِلَالِ وَاضْمَحَلَّ

* نشرت عام ١٩٣٠.

١- الأردن: مفرداً رِدْن: وهو طرف الكُمَّ كناية عن الطهارة العامة.

٢- الغيظ: القليل.

٣- أفاويق: مفرداً، الفيقة: اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الخلبتين والمراد به أطيب الطعام وأطهره.

وتَرَأَى بَعْدَ حِينٍ خَالِيَا
 مِنْ رُؤَاةٍ كَانَ فِيهِ خَالِيَا^(١)
 مُوحِشَ الأَرْجَاءِ يَبْدُو خَاوِيَا
 غَاضٍ مِنْهُ كُلُّ أَنْسٍ وَارْتَحَلْ
 مِثْلَمَا يَخْلُوُ مِنَ الأَهْلِ الطَّلَلُ^(٢)
 أَيُّهَا العَهْدُ الَّذِي مَرَّ. وَدَاعَاً
 هُوَ ذُوبُ النَفْسِ أَوْ فَيْضُ الأَلَمِ
 سَوْفَ تَبْقَى أَبَدَ الدَّهْرِ شُعَاعَاً
 فِي ضَمِيرِي يَتَرَأَى فِي الظُّلْمِ
 سَوْفَ أَبْكِيكَ بُكَاءَ التَّكْلِ
 وَأُرْوِيكَ بِدَمْعِي الهَاطِلِ
 وَأُنَاجِيكَ بِقَلْبِي الذَّابِلِ
 طَالَمَا أَحْيَا فَأَمَّا يَنْصَرِّمُ ذَلِكَ العَمْرُ تَوْلَانَا العَدَمُ

* * *

١- حالياً: مزيناً
 ٢- الطلل: بقايا الدور

* السعادة مديت الأشقياء *

إِيه حَدَّثَ عَنِ السَّعَادَةِ إِنِّي قَدْ مَلَلْتُ الشَّقَاءَ كُلَّ الشَّقَاءِ
 أَطْلَعُ الصُّبْحَ فِي حَدِيثِكَ يَجْلُو بَعْضَ هَذَا الْأَسَى بَفِيضِ الضِّيَاءِ
 يَا أَخِي ضَاقَ بِالْحَوَادِثِ ذُرْعِي وَسَمِمْتُ الشُّكَاةَ مِنْ بَأْسَائِي
 وَمَلَلْتُ الْحَدِيثَ فِيهَا فَحَدَّثْتُ أَنْتَ يَا صَاحِبِي حَدِيثَ الْهِنَاءِ
 إِنَّ بَعْضَ الْحَدِيثِ يُدْنِي الْأَمَانِي * بِخِيوطٍ - وَإِنْ وَهَتْ - مِنْ رَجَاءِ

أَبْعَثُ الطَّرْفَ فِي الْفَضَاءِ مَلِيًّا فَأَرَى الْأَفْقَ ضَيْقًا فِي الْفَضَاءِ
 وَالصَّبَاحُ الْوَدِيعُ مَا عَادَ يَسْرِي لِفَوَادِي كَمَا سَرَى بِالرِّضَاءِ
 وَالرَّبِيعُ الْأَيْقُ مَا عَادَ يُذَكِّي فِيَّ وَمَضَّ الْحَيَاةَ كَالْأَحْيَاءِ
 وَالْجَمَالُ الَّذِي يَشِيْعُ فِي النَّفْسِ رُوحًا عَادَ مَيْتًا مُعْطَلًا الْإِحْيَاءِ
 هِيَ نَفْسٌ أَحَالَتْ الْكُونَ قَفْرًا فَتَرَاءَى مُعْطَلًا مِنْ وَرَاءِ
 هِيَ نَفْسٌ تَحَطَّمَتْ يالْنَفْسِي * * هِيَ دَائِي فَلَسْتُ أَرْجُو شِفَائِي

يَا أَخِي ثَارَتْ الشُّجُونُ وَهَاجَتْ حُرْقَاتِي وَأَيْقَظْتُ لِأَوَائِي^(١)
 يَا أَخِي هَاتِ مِنْ حَدِيثِكَ. صَوْرٌ فِي خَيَالِي مَلَامِحَ السُّعْدَاءِ
 كَيْفَ يَحْيُونَ غَبْطَةً وَابْتِسَامًا كَيْفَ يَرْضُونَ لِلْأَمَانِي الْوَضَاءِ
 أَوْ فَاْمَسِكَ فِكُلِّ شَيْءٍ مُثِيرٍ * * لِشُجُونِي. وَخَلَّنِ وَشَقَائِي

* نشرت في أيلول (سبتمبر) ١٩٣٠

١- الأواء: الشدة والألم.



ياريف تدعوني إليك؛ إنني

للمستطار إلى نقاك الظامي

ليالات في الريف *

مِنْ حِينِ الْفَوَادِ؛ مِنْ خَفَقَاتِهِ ذَلِكَ الشَّعْرُ، مِنْ صَدَى زَفْرَاتِهِ
 وَسِعَتَهُ الْأَلْفَاظُ وَزْنَاً وَمَعْنَى ثُمَّ ضَاقَتْ عَنْ رُوحِهِ وَسِمَاتِهِ
 هُوَ وَحْيِي لَذَكْرِيَاتِ حَسَانٍ أَوْدَعَ الْخُلْدَ بَيْنَهَا ذِكْرِيَاتِهِ
 وَلِيَالٍ يَا حُسْنَهَا مِنْ لِيَالٍ يَشْتَرِيهَا مُخَلِّدٌ بِحَيَاتِهِ
 هَمَسَ الصَّمْتُ بَيْنَهَا هَمَسَاتٍ خَفَّضَ الْكُونَ عِنْدَهَا خَفَقَاتِهِ
 وَسَرَى الْبَدْرُ مُغْمَضَ الْجَفْنِ وَسَنَا نَ كَطَيْفٍ مُسْتَعْرِقٍ فِي سُبَاتِهِ
 * * *

يَا جَمَالاً بَرِيفٍ مِصْرَ قَرِيرَاً هَادِيءِ الْبَالِ فِي حُشْوَعٍ وَقُورِ
 لَسْتُ أَنْسَى فَيْكَ لِيَالِي مَرْتٌ هُنَا أَطْيَافُ عَهْدِنَا الْمَأْتُورِ
 حِينَ نَسْرَى وَالْبَدْرُ يَنْشُرُ ضَوْءَاً فَوْقَ سَهْلٍ كَالْعَيْلِمِ الْمَسْجُورِ^(١)
 بَيْنَمَا الزَّهْرُ حَالِمٌ فِي رُبَاهِ وَغُصُونٍ مُهْدَلَاتِ الشُّعُورِ
 وَخَرِيرُ الْأَمْوَاهِ سَاجٍ رَتِيبٌ مِثْلَ شَدْوٍ فِي عَالَمٍ مَسْجُورِ
 وَنَجِيٍّ مِنَ الرَّفَاقِ بِهَمْسٍ وَحَدِيثٍ مُسْتَعَذَّبٍ مِنْ سَمِيرِ
 قَدْ وَعَى الدَّهْرُ هَذِهِ اللَّيَالِ وَوَعَيْنَا آثَارَهَا الْبَاقِيَاتِ

* نشرت عام ١٩٣٣

١- العَيْلِمُ الْمَسْجُورُ: الْبَحْرُ الْمَلُوءُ

فهي ذِكْرِي تَوَشَّجَتْ بِنَفُوسِ حَانِيَاتٍ لَطِيفِهَا رَاجِفَاتٍ^(٣)
سَوْفَ تُعِيهِ رُقِيَّةٌ مِّنْ خُلُودٍ عَوَّدَتْهَا الْفَنَاءَ وَالْحَادِثَاتِ!^(٤)
هَذِهِ مَسْكَةٌ مِّنَ الْأَبَدِ الْبَاقِي الْمَهْمُودِ قَبْلَ خَلْقِ الْحَيَاةِ
ذَحَرَتْهَا الْأَحْقَابُ حَتَّى اجْتَمَعْنَا فَأَبِيحَتْ فَمَالَهَا مِنْ فَوَاتٍ

* * *

مكتبة نور الأريكة
www.books4all.net

١- ساج: ساكن هادئ.

٢- نجِّي: من النجوى: الحديث الخافت بين الرفاق.

٣- توشجت: ارتبطت برباط قوي.

٤- عوَّدتها: حصنتها

العودة إلى الريفا *

مَهْدَ الرَّجَاءِ وَمَهْبِطَ الْأَحْلَامِ وَطَنِي عَلَيْكَ تَحِيَّتِي وَسَلَامِي
 يَا رَيْفَ فَيْكَ مِنَ الْخُلُودِ أَثَارَةٌ تَنْسَابُ فِي خَلْدِي وَفِي أَوْهَامِي^(١)
 وَتَرُدُّ إِحْسَاسِي إِلَيْكَ إِذَا خَلَّتْ نَفْسِي إِلَى الْأَمَالِ وَالْآلَامِ
 وَكَأَنِّي الْمَسْحُورُ يَقْفُو سَاحِرًا فِي بُهْرَةٍ كَالطَّائِفِ النَّوَامِ!^(٢)

إِنِّي فَفَدْتُكَ فِي الطَّفُولَةِ غَافِلًا عَمَّا حَوَيْتَ مِنَ الْوُجُودِ السَّامِي
 لَكِنْ وَجَدْتُكَ إِذْ كَبُرْتُ بِخَاطِرِي رَمْزًا أَحْيَطُ بِعَمْرَةِ الْإِهَامِ
 وَتَكشِفَتْ نَفْسِي فَلَحْتُ كَأَمَّا نَفْسِي وَأَنْتَ جُمِعْتُمَا بِنُؤَامِ^(٣)
 وَوَجَدْتُ أَحْلَامِي لَدَيْكَ وَضِيئَةً لَمْ تُبَلِّ جِدَّتْهَا يَدُ الْأَيَامِ
 وَالْيَوْمَ عُدْتُ إِلَيْكَ أَحْسَبُ أَنِّي طَيْرٌ يَؤُوبٌ بَعْدَ جَهْدِ دَامِ
 يَا رَيْفُ تَدْعُونِي إِلَيْكَ؛ وَإِنِّي لِلْمَسْتَطَارِّ إِلَى لِقَاكَ الظَّامِي!

هَذَا الْهَدْوَاءُ كَأَمَّا هُوَ عَالَمٌ فِي الْوَهْمِ، لَمْ يَتَبَدَّ لِلْأَقْوَامِ
 وَكَأَنَّهُ الْحُلْمُ الْجَمِيلُ يَحْوِطُهُ صَمْتُ كَصَمْتِ الْعَابِدِ الْمُتْسَامِي
 وَتُحْسِنُ بِالسَّرِّ الْعَمِيقِ تَخَالُهُ يُضْفِي عَلَى الْأَيْقَاطِ وَالنُّوَامِ

* نشرت عام ١٩٣٣

١- أثاره: بقية

٢- في هجرة: في دهشة.

٣- بتوأم: التوأم: الصَّدَف، التُوَامِيَّة: الدَّرَّة

ويلوح في وضح النهار وينطوي ما بين طيات الظلام الطامي^(١)
هو ذلك السر الذي مفتاحه ضمت عليه جوانح الأهرام
* * *

إني أجول بخاطرٍ مُتقلِّبٍ في حيثما امتدَّ البسيطُ أمامي
فإذا مَوَاقِبُ للجمالِ ودِيعَةٌ جمعت طرائفها يدُ الإلهامِ
للطيرِ فيها، للأزهارِ، مَوَكِبٌ للناسِ، للحشراتِ، للأنعامِ!
متألفين، سرى الرضا لنفوسهم فيما اغتدوا من مشربٍ وطعامِ!
كلُّ يرجع للطبيعة لحنه في ذلك الوادي الخصبِ النَّامي
وهنا الطبيعة كالغريرة إنما ورثت وقارَ أبوةٍ مُتَرامِ!^(٢)
تلهُو، ولكن في براءة طفلةٍ من نسلِ آلهةٍ غبَرْنَ كرامِ!
عبدتهم الأوهامُ في عمراتها واندس بعض الوهمِ في الأفهامِ
وتوارثته طبيعةٌ خلدت بها مصرٌ على كرمٍ من الأعوامِ
يا ريفَ مصر، وأنت سرُّ بقائها اسلم، فدتك مواهي وحطامي.

* * *(١)

١ - الطامي: الشديد .

٢ - الغريرة: الساذجة من غير تجربة.

الليالات المبعوثة*

بعد عام كامل من الليالات الأولى عاد الشاعرُ إلى الريف، ففضى فيه ليالاتٍ مثلها، في جوِّ نفسيٍّ مُماثل، وبين رِفاقٍ هم الرِفاق، وكان عدد الليالاتِ الأولى والثانية مُتحدداً.

أهو البعثُ يالِيالي الخلودِ؟ أم تُرى أنتِ نَفْحَةٌ من جديدٍ؟
 أم تُرى صورةٌ منك صِيغَتْ بين وَحي الإلهامِ والتجويدِ؟
 يا ليالي ما أراكِ سِوى أنتِ كما كنتِ مرةً في الوجودِ!
 ها هنا والزمانُ يَحْلُمُ وَسَنا نَ سَعيدٌ لها بِحُلُمٍ سَعيدِ!
 ورنا البدرُ في حِياءٍ وَديعٍ وهو راضٍ رِضاءَ طفلٍ وَليدِ
 ورِفاقي هم الرِفاقُ، ونَفْسِي هي نَفْسِي، وَعَالَمِي؛ وَعَهودِي!
 ما أرى مَعْلَماً تَغَيَّرَ أو رَسَماً مَحْتَهُ يَدُ الزمانِ الكَنُودِ^(١)
 أنتِ ليالاتنا! فَقصِّي عَلينا كَيفَ أَفَلَّتْ من زَمانِ القِیودِ؟
 * * *

قَد تَسَلَّلنَ حَفيَةً في الظلامِ بينما الدهرُ سَادِرُ الأوهامِ!^(٢)
 ثم وَافيتنا وَهُنَّ سُكارى حَالاتٍ أَغرِقنَ في الأحلامِ
 هامساتٍ لنا. لَقَدْ بُعثَ العَهدُ فهِيامِ من كُلِّ لَهفانِ ظامِ^(٣)

* نشرت عام ١٩٣٤

١- الكنود: يذكر المصيبات وينسى النعم.

٢- سادر: لا بهتم ولا يبالي بما صنع والمراد حائر الأوهام

٣- اللفهان: المتحسر.

فأَجِنَا دُعَاءَهُنَّ سِرَاعاً وَخَلَعْنَا دُنْيَا الْحِجَا وَالْحُطَامِ^(١)
 وَرَقِينَا مَدَارِجِ الْخُلْدِ وَالْكَوْنِ مُسَجِّى فِي عَفْلَةٍ وَظَلَامِ
 هَا هُنَا كُنْتُ مِنْذُ عَامٍ! وَلَكِنْ يَا لِنَفْسِي! فَهَا هُنَا أَيَّ عَامٍ!
 مَا أَرَى لِلزَّمَانِ رِسْمًا! فَهَذَا كُلُّ شَيْءٍ هُنَا كَرَمَزِ الدَّوَامِ
 إِلَيْهِ لِيَلَاتِنَا، أَعْيَدِي عَلَيْنَا قِصَّةَ الْخُلْدِ، فَالْأَمَانِي ظَوَامِ^(٢)
 * * *

حَيِّمَ اللَّيْلِ فِي خُشُوعٍ رَهِيْبٍ غَيْرِ لِمَحِ الرَّؤْيِ، وَخَفَقِ الْقُلُوبِ
 وَسَرِينَا نَرْتَادُ سِرْضَ اللَّيَالِي وَهِيَ تُفْضِي بِسَرِّهَا عَجِيْبًا!
 وَمَتَاعاً مِنَ الْحَيَاةِ نَفِيْسًا ضَمَّنْتَهُ آلَافَ عَهْدٍ خَصِيْبِ
 قَدْ رَشَفْنَا خِلَاصَةً مِنْهُ تُغْنِي عَنْ حَيَاةِ الْوَرَى وَعَيْشِ الشُّعُوبِ
 وَسَرَى فِي النُّفُوسِ مَعْنَى جَدِيْدًا عَبَّرَتْ عَنْهُ بِالْغَيَاءِ الرَّتِيْبِ
 وَتَسَامَتْ أَرْوَاحُنَا فِي نَجَاةٍ وَتَهَادَتْ قُلُوبُنَا فِي دَيْبِ
 تِلْكَ لِيَلَاتِنَا، وَهَذَا صَدَاهَا إِلَيْهِ لِيَلَاتِنَا؛ اِخْلُدِي، لَا تَغِيْبِي

* * *

١- الحجا: العقل (الإدراك والفطنة)، الحطام: متاع الحياة.

٢- ظوامي: مفردتها ظامئ وهو العطش الشديد

ريحانتي الأولى أو العرمان *

ريحانتي الأولى وَرَوْحِ شَبَابِي أَنَذَا دَعَوْتُ سَمِعْتُ رَجَعَ جَوَابِ
 أنا في الجحيم هُنا وَأَنْتِ بَجَنَّةٍ مِنْ رَوْحِ إِعْجَابِ وَرَيْقِ شَبَابِ^(١)
 أنا في الجحيم وَأَنْتِ نَاعِمَةٌ الْمُنَى خَضْرَاءُ ذَاتُ تَطَلُّعِ وَطِلَابِ
 أنا لا أُرِيدُكَ هَاهُنَا فِي عَالَمِي إِنِّي أُعِيدُكَ مِنْ لَطْفِي وَعَذَابِ
 لَكِنَّهَا الذِّكْرَى تَشْوَرُ بِخَاطِرِي مَجْنُونَةٌ حَمَقَاءُ ذَاتُ غِلَابِ
 * * *

عَيْسِي رَعَتِكَ وَأَنْتِ نَابِتَةٌ فَلِمِ تَغْفَلُ وَلَمْ تَفْتُرْ وَلَمْ تَتَأَلَمِ
 وَتَعَهَّدْتِكِ يَدِي وَأَنْتِ نَحِيلَةٌ وَغَدَاكَ مِنْ نَفْسِي الْحَنَانُ وَمِنْ دَمِي
 فَنَمَوْتُ وَالْآمَالُ حَوْلَكَ تَنْتَشِي وَتَهُمُّ رَاقِصَةٌ وَتَهْتَفُ بِالْفَمِ
 حَتَّى إِذَا أَيْتَعْتَ وَانْطَلَقَ الشَّدَى أَلْفَيْتُ نَفْسِي فِي صَمِيمِ جَهَنَّمَ
 مُلْقَى هُنَالِكَ لَا أَحْسُ وَلَا أَرَى إِلَّا الشُّوَاطِظَ وَكُلَّ دَاجٍ مُعْتَمِ^(٢)

* نشرت في أيلول (سبتمبر) عام ١٩٣٧

١- رَيْقٍ: من الرُّوق: أول الشيء، روق الشباب: أوله.

٢- داج معتم: شديد الظلمة.

بيني وبينك شَيْءٌ لَا تَنْتَهِي أَبَدًا أَقْرَابُ حَوْلَهَا وَأُبَاعِدُ
 هِيَ شُقْمَةُ النَّفْسِ الْحَرَابِ، وَإِنَّهَا لِمَجَاهِلٌ لَمْ تُكْتَشَفْ وَفَدَا فِدُ^(١)
 الشَّمْسُ فِيهَا لَا تُطِلُّ وَمَا بِهَا إِلَّا الرُّوَاكِدُ وَالظَّلَامُ الْبَارِدُ
 أَنَا لَسْتُ سَالِكَهَا وَأَنْتَ حَفِيَّةٌ أَنْ تَجُنَّبِي عَنْهَا وَنَجْمُكَ صَاعِدُ^(٢)
 فَإِذَا الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ كُلُّهُ ذَكَرِي تُطِلُّ بِرَأْسِهَا وَتُعَاوِدُ
 * * *

وَأَرَاكَ مِنْ خَلَلِ الْغَيُومِ أَسِيفَةً إِذْ تَذَكُرِينَ رِعَايَتِي وَجُهُودِي
 وَتَرِينَ حَاضِرَنَا وَغَابِرَنَا مَعًا وَتُرَاجِعِينَ مَوَاتِقِي وَعُهُودِي
 نَفْسِي فِدَاكَ فَلَا أَرَاكَ شَجِيَّةً تُرْقِي الْغُضُونَ لَوْجَهَكَ الْمَعْبُودِ
 وَقَفَّ عَلَيْكَ تَطْلُعِي وَتَلْهُفِي وَقَفَّ عَلَيْكَ قَصَائِدِي وَنَشِيدِي
 لَكِنْ أَعِيدُكَ خَطْرَةً فِي عَالَمِي إِنِّي أَعِيدُكَ وَحَشَتِي وَكُودِي

* * *

١- فدافد: أرض واسعة لا شيء فيها.

٢- حَفِيَّة: مهتمة

عبادة جديدة؟! *

لَكَ يَا جَمَالَ عِبَادِي لَكَ أَنْتَ وَحَدَّكَ يَا جَمَالَ
تَعَصَى تَعَالِيمُ الطُّغَاةِ، أَوْ الْهُدَاةِ عَلَى ضَلَالٍ
وَيُخَالَفُ الشَّرِيعُ جَهْرًا أَوْ خَفَاءً فِي احْتِيَالٍ
وَتُجَانِبُ الْأَدِيَانَ أَوْ تُنْسَى وَتُهَجَّرُ عَنْ مَلَالٍ
وَأَرَاكَ وَحَدَّكَ يَا جَمَالَ تَلْقَى الْخُضُوعَ وَالْاحْتِفَالَ
وَالْحَبَّ وَالْإِيمَانَ مِنْ كِلِّ الْأَنْامِ بِكُلِّ حَالٍ!

الْمَالُ مَعْبُودُ الْحَيَاةِ الْمُسْتَدَلُّ قُوى الرِّجَالِ
هُوَ بَعْضُ قُرْبَانِ النُّفُوسِ إِلَى مَقَامِكَ فِي ابْتِهَالٍ
وَأَرَى الْأُلُوهَةَ فِيكَ تُوحَى بِالْعِبَادَةِ فِي جَلَالٍ
مَا أَنْتَ إِلَّا مَظْهَرٌ مِنْهَا تُوشِيهِ الظَّلَالُ^(١)
فَإِذَا عِبَدْتِكَ لَمْ أَكُنْ يَا حُسْنُ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ
بَلْ كُنْتُ مَحْمُودَ الْعَقِيدَةِ فِي الْحَقِيقَةِ وَالْخِيَالِ
أَعْنُو لِمَنْ تَعْنُو لَهُ كُلُّ النُّفُوسِ بِلَا مِثَالٍ^(٢)
مُتَفَرِّقًا فِي الْكَوْنِ فِي شَتَى الْمَرَائِي^(٣) وَالْخِلَالِ
فَإِذَا تَرَكَّزَ هَا هُنَا بِطُلِّ التَّمَحُّلِ وَالْجِدَالِ!^(٣)

* نشرت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٧

١- توشية: تنقشه وتحسنه من وشى الشيء وشياً: نغقه ونقشه وحسنه.

٢- أعنو: أخضع.

٣- التمثل: الاحتفال

تسبيح...! *

لعينيك تسبيحي وهمس سرائري وفي صمتها الموحى مراد خواطري
 تطل على الدنيا فتوقظ قلبها وتمنح هذا الكون إيمان شاعر
 وتسكب في أحانه عبقرية من الفن لم تخطر بآمال ساحر
 وتجلو من الدنيا عميق فنونها وتكشف في أطوائها كل خاطر
 ومن عجب توحى بفتنة ساحر وتهمس في صمت بتقديس طاهر
 * * *

لقد شف هذا الوجه حتى كأنه خواطر فنان ندي المشاعر
 وقد رق هذا الجسم حتى كأنه هواتف حلم ناعمات البشائر
 وقد رق هذا الصوت حتى كأنه أغاريد لحن في السماوات عابر
 وقد خف هذا الخطو حتى كأنه مرور نسيم بالأزاهير عاطر
 وختك طيفاً هامساً في ضمائري وإنك طيف هامس للنواظر!
 * * *

لأيقظت في نفسي سعادة شاعرٍ وراحة موهوبٍ وغبطة ذاخرٍ
 وأشعرتني معنى الطلاقة والرضا ومعنى الغنى عن كل آتٍ وغابرٍ
 مدى فيه من أفق الخلود مدارج رقيت إليها في سنى منك باهرٍ
 سبقت به خطو الحياة لنهجها وجرت به آفاقها في المعابر
 فيا لك من هاد سنى المنائر وبالي من سارٍ وحى البصائر
 * * *

* نشرت في أيلول (سبتمبر) عام ١٩٣٨

فِي السَّمَاءِ * *

أَيْقَظَتِ أَنْبَلَ مَا يُجِنُّ ضَمِيرِي وَبَعَثَتْ جَوْهَرَ غُنْصِرِي الْمَطْمُورِ^(١)
 فَإِذَا أَنَا الرُّوحُ الَّتِي تَسْمُو بِهَا دُنْيَا الْحَيَاةِ لِأَوْجَهِهَا الْمَنْظُورِ
 وَإِذَا أَنَا النُّورُ الَّذِي تَجَلُّو بِهِ تِلْكَ الْحَيَاةُ غَيَاهِبَ الدِّيَجُورِ^(٢)
 وَإِذَا أَنَا الشُّوقُ الَّذِي يَحْدُو لَهَا فَتَغْدُ بَيْنَ مَسَالِكِ وَصَحُورِ
 وَإِذَا أَنَا الشَّعْرُ الَّذِي تَشْدُو بِهِ فِي نَشْوَةٍ وَتَجِيْشٍ بِالتَّعْبِيرِ
 وَإِذَا أَنَا الْخَيْرُ الْمَحْضُ وَالْهُدَى وَالْحُبُّ وَالتَّجْوَى خِلَالَ ضَمِيرِ

* * *

فَبَأَى مَعْجِزَةً كَشَفَتْ ضَمَائِرِي وَجَلَوَتْ كُلَّ مُحَجَّبٍ مَسْتُورِ؟
 وَغَدَوَتْ فِي فِضَائِلِي وَرَوَيْتَهَا حَتَّى أَطَلَّتْ بِالْجَنَى الْمَذْخُورِ؟
 وَجَعَلْتِ مِنْ زَادِ الْخُلُودِ مَطَامِحِي وَجَعَلْتِ أَشْوَاقِي صَلَاةَ طَهُورِ؟
 بِالْحُبِّ وَالْحُسْنِ الْوَدِيعِ وَنَظْرَةٍ بِيضَاءَ صَافِيَةٍ تُرِيحُ شُعُورِي
 وَتُحِيلُ أَشْوَاقِي رِضَاءَ مُخَلَّدٍ رَاضٍ بِخُلْدٍ لَمْ يُشَبِّ بِقُصُورِ
 وَتُحِيلُنِي رُوحًا تَرَفُّ عَلَى الْوَرَى كَالعَطْفِ، أَوْ كَالْحَبِّ، أَوْ كَالنُّورِ
 فَإِلَيْكَ تَسْبِيحِي وَهَمْسُ سَرَائِرِي وَإِلَيْكَ غَايَةٌ غَبَطْتِي وَسُرُورِي

* نشرت في تشرين (أكتوبر) ١٩٣٨

١- يُجِنُّ: يستر.

٢- الدِّيَجُور: الظلام.

بين عهدين *

طَرَّتْ عَنْ عُشِّكَ الْجَمِيلِ فَأُوبِي شَدَّ مَا اشْتَقَّ طَيْرُهُ أَنْ تُووبِي! ^(١)
 كَانَ دَفْعاً وَكَانَ مَرْتَعِ صَفْوٍ فَكَسَاهُ الصَّقِيعُ ثَوْبَ الْقُطُوبِ ^(٢)
 مُنْذُ غَادَرْتَهُ قَدْ انْتَرَّ الْحُبُّ وَطَاحَتْ بِهِ رِيَّاحُ الْهُبُوبِ
 وَتَحَلَّتْ عِنَايَةَ اللَّهِ عَنْهُ فَهُوَ فِي وَحْشَةِ الْغَرِيبِ الْكَثِيبِ
 وَلِيَالِيهِ شَاجِيَاتٌ حَيَارَى يَتَرَامِينَ حَوْلَهُ مِنْ لُغُوبِ ^(٣)

* * *

عُودِي إِلَى الْعُشِّ عُودِي وَرَفْرَفِي مِنْ جَدِيدِ
 وَرَنْبِي بِالْأَغَانِي فِي جَوْهٍ وَاسْتَعِيدِي
 وَأَدْفِنِي بِالْأَمَانِي مَا مَسَّهُ مِنْ جُمُودِ
 وَتَمْتَمِي بِالتَّعَاوِيدِ وَالرُّقَى وَالنَّشِيدِ
 وَأَطْلِقِي فِيهِ لَحْنًا يَشْدُو حُبًّا سَعِيدِ
 وَيَطْرُدُ الْيَأْسَ عَنْهُ بِالشَّدْوِ وَالتَّغْرِيدِ

* * *

* نشرت في شباط (فبراير) ١٩٤٢
 ١- اللغوب: التعب مع الإعياء.

طَالَ انْتِظَارُكَ وَهَنًا فِي ظُلْمَةٍ وَكُنُودٍ^(١)
وَالرَّيْحُ تَعَبْتُ فِيهِ بِكُلِّ غَالٍ مَجِيدٍ
وَكَلُّ حَفَقِ جَنَاحٍ أَوْ رَجْفَةٍ مِنْ بَعِيدٍ
يَجَالُ فِيهَا مَا بَعْدَ النَّوَى وَالشُّرُودِ

* * *

عُودِي إِلَى الْعُشِّ عُوْدِي وَرَفْرَفِي مِنْ جَدِيدِ
أَضْنَاكَ طُولَ الشُّرُودِ وَلَذَّةُ التَّصْعِيدِ
عُودِي إِلَى الدَّفءِ فِي عَشِّكَ الْأَمِينِ
الْوَدُودِ
الْعُمُرُ يَمْضِي فَهِيََا نَعِيدُهُ
لِلْوُجُودِ

* * *

١- وَهَنًا: لَيْلًا، كُنُود: الْمَرَادُ فِي انْقِطَاعِ

نداء الفريفا *

تَعَالِي. أَوْشَكَتْ أَيَامُنَا تَنْفَدُ
تَعَالِي. أَوْشَكَتْ أَنْفَاسُنَا تَبْرُدُ
بِلا أَمَلٍ، وَلا لُقْيَا، وَلا مَوْعِدَ

تَعَالِي. هَذِهِ الْأَيَّامُ لَا تَرْجِعُ
وَلا تُصْغِي لَنَا الدُّنْيَا وَلا تَسْمَعُ
وَلا تُجِدِي شَكَاةَ الدَّهْرِ أَوْ تَنْفَعُ

كَلانَا ضَائِعٌ فِي الْكُونِ مَفْقُودُ
فَلَا هَدَفَ لَهُ فِي الْأَرْضِ مَشْهُودُ
وَلا أَمَلٌ لَهُ فِي الْغَيْبِ مَوْعُودُ

أَلَا مَا أَحْمَقَ اثْنَيْنِ غَرِيبَيْنِ!
إِذَا عَاشَا - مَعَ الْحَبِّ - فَرِيدَيْنِ!
وَهَذَا الْكُونُ لَا يَدْرِي الشَّرِيدَيْنِ!

نَعَمْ قَدْ أَدَمَّتْ الْأَشْوَكَ قَلْبَيْنَا
وَسَدَّتْ هَذِهِ الدُّنْيَا طَرِيقَيْنَا
وَلَكِنْ أَيْنَ مَاضِي حُبَّنَا أَيْنَا؟

* نشرت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٣

تَعَالَى نُحْيِي بِالْأَشْوَاقِ مَاضِينَا
وَنَبْعَثُ فِي حَمَى الْحُبِّ لِيَالِينَا
فَهَذَا الْحُبُّ إِذْ نُحْيِيهِ يُحْيِينَا
* * *

تَعَالَى لَمْ يَعْذُ فِي الْعُمُرِ مُتَّسِعُ
تَعَالَى لَمْ يَعْذُ فِي الْكَوْنِ مُتَّجِعُ^(١)
وَعُورُ الدَّهْرِ لَا يُتَّقِي وَلَا يَدْعُ
* * *

تَعَالَى! نَحْنُ بَعَثْنَا السُّويعَاتِ
وَضَحَّيْنَا بِأَيَّامِ عَزِيزَاتِ
فِيَا أُخْتَاهُ يَكْفِينَا حِمَاقَاتِ
* * *

أَجَلْ يَا أُخْتُ مَا قَدْ ضَاعَ يَكْفِينَا
فَعُودِي. هَا هُوَ الْعُشُّ يُنَادِينَا
فَلَا نُخْرِئُهُ يَا أُخْتُ بِأَيْدِينَا
* * *

رَبِيعُ الْعُمُرِ يَا أُخْتَاهُ قَدْ مَرَا
فَلَمْ نَطْعَمْهُ أَوْ نَغْنَمْ بِهِ ذُخْرَا
وَمَا عَادَ لَنَا مِنْهُ سِوَى الذِّكْرَى
* * *

١ - منتجع: المراد لا يوجد مكان يصلح للإقامة.

فَلَا نَخْسِرُ هَزِيْعَيْنِ مِنَ الْعُمْرِ^(١)
فَدَفِءُ الْعُشِّ قَدْ يُجَدِّي لَدَى الْقَرِّ^(٢)
وَرُوحُ الْحَبِّ قَدْ يُحْيِي لَدَى الْقَبْرِ
* * *

وَيَا أُخْتَاهُ زَادُ الْعُشِّ يَعْذُونَا
فَإِنَّ الزَّادَ قَدْ قَلَّ بِأَيْدِينَا
وَجَدَّبُ الْعُمْرُ يَا أُخْتَاهُ يُؤْذِينَا
* * *

تَعَالَى نَقَطَعَ الْبَاقِي مِنَ الْعُمْرِ
رَفِيقَيْنِ عَلَى الْخَيْرِ عَلَى الشَّرِّ
حَلِيفَيْنِ عَلَى الْيُسْرِ عَلَى الْعُسْرِ
* * *

تَعَالَى أَوْشَكَتْ أَيَامُنَا تَنْفِذُ
تَعَالَى أَوْشَكَتْ أَنْفَاسُنَا تَبْرُدُ
بِلا أَمَلٍ وَلَا لُقْيَا وَلَا مَوْعِدِ
* * *

١- هزيعين: المزعج: ربع الليل أو نصفه، والمراد هنا مضى أكثر العمر.

٢- القر: شدة البرد.

هتاف روم *

في ليلة دفيئة من ليالي كاليفورنيا (سان فرانسيسكو).

في الجوّ يا مصرُ دِفءٌ يُدني إلى خيالكِ
وتستجيشُ حينني إلى الليالي هُنالكِ
للأمسيات الشكاري نشوى ترفُّ حَيالكِ
ونسمةٌ فيك تسري ريانة^٢ من جمالكِ
نجواكِ ملءُ فؤادي تُرى خَطرتُ بِبالكِ

* * *

النيْلُ والموجُ سارٍ يُقبَلُ (الشُّطآن)
والبدرُ والنورُ ساهٍ كحالمٍ وَسَنانٍ
وفي الجِواءِ حينٍ مُجَنِّحٍ حيران^(١)
ومن هُنالكِ لحنٌ يَهْفُو إلى الآذانِ
صداهُ ناءٍ عميقٌ في ناي هذا الزمانِ

* * *

* نشرت في نيسان (أبريل) ١٩٥٠

١- الجِواءِ : الواسع من الأمكنة.

فِي النَّفْسِ يَا مُصْرَ شَوْقٍ خَطَرَةٍ فِي رَبِّكَ
لِضَمَّةٍ مِنْ تَرَاكِ لِنَفْحَةٍ مِنْ هَوَاكِ
لِوَمْضَةٍ مِنْ سَمَاكِ لِهَاثِفٍ مِنْ رُؤَاكِ
لِللَّيْلِ فِيكَ أُخْرَى مَعَ الرَّفَاقِ هُنَاكَ
ظَمَانُ هَتَفُ رُوحِي مَتَى تَرَانِي أَرَاكَ؟

* * *

مكتبة سواد الأريكة
www.books4all.net

دعاء الغريب *

(سان فرانسيسكو)

يا نائياتِ الصَّفَافِ هُنَا فَتَاكِ الحَيْبِ
عليه طَالَ المَطَافِ مَتَى يَعُودُ الغَرِيبُ؟

* * *

مَتَى تَمَسُّ خُطَاهُ ذَاكَ الأَدِيمِ المَغْبِرُ
مَتَى يَسْمُ شَسَاهُ كالأَقْحَوَانِ المَعْطِرُ؟

* * *

مَتَى تَسْرَى عَيْنَاهُ تَلَسُّكَ الرَبِيعَ المَوَائِلُ؟^(١)
أحلامُه وَمُنَاهُ تَدْعُوهُ خَلْفَ الحَوَائِلِ^(٢)

* * *

حَنِينُهُ رَقَّافٌ إِلَى الدِّيَارِ البَعِيدَةِ
مَتَى مَتَى يَا صِفَافُ تَأْوِي خُطَاهُ الشَّرِيدَةِ؟

* * *

رُؤَاكِ فِي نَاطِرِيهِ تَرِفُ كالأَحْلَامِ
تُرَى هَفَوْتُ إِلَيْهِ عَلَى مَدَى الأَيَامِ؟

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٥٠

١- الموائل: القائمة والمراد هنا قائمة في ذهنه وخياله.

٢- الحوائل: الموانع

ليلاُتِكِ السَّارياتُ كالنَّسَمَةِ العِقرِيَّةِ
حالتُ إلى ذكرياتٍ مُعْطَّراتٍ نَدِيَّةِ

* * *

مُجَنَّحاتِ العَيْرِ مُرْفَراتِ الأمانِي
في عَالمٍ مسحورٍ مُوسِعِ بالأغانِي

* * *

هُنالِكَ حيثُ خُطاهُ مَشورَةٌ في الطريقِ
ما زالَ فيها الحِياةُ تَدْعُو دُعاءَ الغريقِ!

* * *

يا أرضُ رُدِّي إليكَ هذا الوحيدَ الغريبِ
هَواهُ وقفْ عليكِ رُدِّي فَتاكِ الحبيبِ

ابتسامته*

أَنْزِ بِفِؤَادِي كُلَّ أَسْوَانَ مُظْلِمٍ بِسَمَةِ رَاضٍ فِي الْحَيَاةِ مُنْعَمٍ^(١)
وَصَوَّرَ بِهَا الْأَمَالَ: إِنِّي رَأَيْتُهَا تَطِيفُ بَرِيًّا نَعْرِكَ الْمُبَسَّمِ
وَطَالَعُ بِهَا وَجْهَ الْحَيَاةِ نَدِيَّةً تَمَسُّ حَشَاشَاتِ الْقُلُوبِ بِبَلَسَمِ
وَتَسْرِي إِلَى الْأَرْوَاحِ رُوحاً مَهُوماً يَفِيضُ عَلَيْهَا مِنْ رِضَاءٍ وَأَنْعَمِ^(٢)
فَدَيْتُكَ لَا تَأَلُّ الْحَيَاةَ ابْتِسَامَةً أَرْقُّ وَأَحْنَى مِنْ خِيَالِ مَهُومِ^(٣)
مُرْتَحَّةَ الْأَعْطَافِ تُومِضُ خِلْسَةً وَتَخْطُرُ فِي رَفِقِ بَدْيَالِكِ الْفَمِ!
فَدَيْتُكَ أَرْسَلَهَا عَلَى الْكَوْنِ غِبْطَةً تُشَافَهُهُ هَمَسَ الرَّجَاءِ الْمُتَمِّمِ
وَتَدْرِكُهَا الْأَرْوَاحُ فِي خَطَرَاتِهَا كَمَا تَدْرِكُ الْأَسْمَاعُ هَمَسَ التَّرْنَمِ
فَدَيْتُكَ لَا تَأَلُّ الْحَيَاةَ تَبَسُّماً فَإِنَّكَ لَمْ تُخَلِّقْ لِغَيْرِ التَّبَسُّمِ
وَقَتِكَ اللَّيَالِي الْعَابِسَاتُ عُبُوسَهَا إِذَنْ فَتَبَسَّسْ كَيْفَمَا شِئْتَ وَأَنْعَمِ

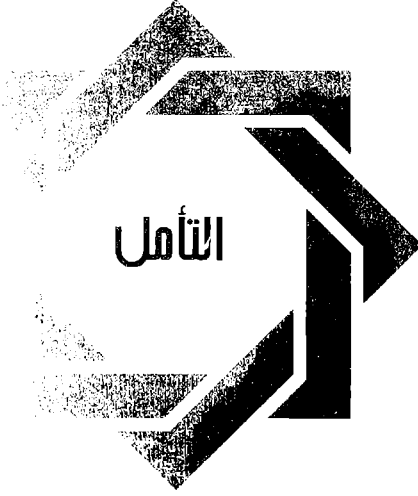
* * *

* نشرت عام ١٩٣٠

١- أسوان: حزين.

٢- مهوماً: في أوّل النوم.

٣- لا تبخل، لا تقصّر



إلى الشاطئ المجهولِ والعالمِ الذي

حَنَنْتُ لمرأة، إلى الضفة الأُخْرَى؟

إلى حيثُ لا تدري إلى حيثُ لا تُرى

مَعامُ للأزمانِ والكونِ تُسْتَقْرَأُ

بسمت بعد العبوس أه مياة بعد موت*

بَسْمَةٌ! أم تلك أنفاس الحياة؟ ولقاء ذاك أم رجوع العُمْر؟
نَفْحَةٌ تَنْفُثُهَا^٢ تلك الشِّفاه تبعث الميْت وتُحيي ما اندثر
* * *

بَسْمَةٌ كاللحن من قيثارة رائق المعنى رقيق النغمات
أو شذى يَأْرُجُ من نَوَّارة في غُصونِ الوردِ زَاكِي النَّفْحَاتِ
* * *

بَسْمَةٌ أُنْدَى على القلبِ الكَلِيمِ من نسيمِ الصُّبْحِ أو طيفِ الأمل^(١)
بَسْمَةٌ تُشْرِقُ في الوجهِ الكَرِيمِ كاتِسامِ الزَّهْرِ في الروضِ الحِضْلِ^(٢)
* * *

نَظَرِ الدهرِ إليها فابْتَسَمَ وسرتُ في القَفْرِ فاحضَلِ الجَدِيبُ
سَريانِ البُرءِ هَوْنًا في السَّقَمِ وديبُ الرُّوحِ في الميْتِ السَّلِيبِ
* * *

ذلك القلبُ وقد جفَّ نَدَاهُ وغدًا أجوفَ كالتبِ الهَشِيمِ
وخبَا في أفقه ضوءُ الحَيَاةِ وبَدَا كالمعبدِ البَالِيِ القديمِ
* * *

* نشرت في شباط (فبراير) ١٩٢٩

١- الكليم: المحروح
٢- الحضل: من حضل يحضل: ندى وابتل.

ذَلِكَ الْقَلْبُ قَدْ اخْضَلَ وَحَنَّ وَأَحْسَّ السُّرُوحَ فِي رَفْقِ تَسِيلِ
إِذْ تَرَأَى الْأَمَلَ الْخُلُوعَ الْأَغْنَى فِي ثَنَابِ ذَلِكَ الثَّغْرِ الْجَمِيلِ

هَتَفَتْ رُوحِي وَحَيَّاهُ فُؤَادِي فِي هَدْوٍ شَامِلٍ ضَافٍ حُنُونَ
وَتَزَوَّدْتُ مِنَ الْحَبِّ بِزَادٍ وَمِنَ الْإِخْلَاصِ تَبْدِيهِ الْعِيُونَ

إِنَّ عَيْنِي إِذَا تَرُنُّو إِلَى تَسْكَبِ الرُّوحِ بَقَلْبِي وَالرَّجَاءِ
وَهُوَ إِذْ يُخْسُو بِعَطْفَيْهِ عَلَيَّ يَغْمُرُ النَّفْسَ بَفِيضٍ مِنْ رِضَاءِ

إِنَّ فِي عَيْنِهِ مَعْنَى لِلْسُّمُو فَوْقَ مَا يُدْرِكُ هَذَا الْبَشَرُ
وَبِهَذَا آيَاتُ عَطْفٍ وَحُنُونٍ لَسْتُ أَدْرِيهَا وَلَكِنْ أَشْعُرُ

أُتْرَى أَنْعَمُ مِنْ بَعْدِ الشَّقَاءِ؟ أُتْرَى فِي الشُّوْكِ قَدْ تَحْيَا الْوُرُودُ؟
بِحَيَاتِي وَأَمَانِي الْوِضَاءِ عَهْدُنَا الْغَابِرُ لَوْ كَانَ يَعُودُ

هدأت يا قلب!*

هدأت يا قلب فاهداً هكذا أبداً وعش هنيئاً إذا أحسست سلوانا
 فجمة الحب قد نخبو ويعقبها برد السلو وتنسى كل ما كانا
 فلا بقاء ولا شكوى ترددها ولا دلال ولا جحداً وتحنانا
 تمسي وتصبح حوراً غير مضطرب ثبت الجنان مريح البال طمانا
 نعمم مستعلم حساً رق جانبه ودق في عالم الإحساس ميزانا
 وما يضيرك من فساد رفته إذا فقدت بها بؤساً وأشجانا
 وما الحياة إذا رقت الشعور سوى بؤس يجرحه الإنسان غصانا
 * * *

ستبصر الورد ورداً والسماء كما تلوح للناس والأكوان أكوانا !
 وتبصر الحب شيئاً أنت تعرفه وليس سراً . ويبدو الإلف إنسانا !
 خلعت ثوباً عليه أنت واهبه لولاه ملاح في الأنظار فتانا !
 * * *

فخل يا قلب آمالاً تجيش بها فقد تغررك الآمال أحياناً
 هذا الهدوء تميمه وتألفه فيستحيل مع الأيام نسياناً
 * * *

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٢٩

الدنيا

إِيه يَا دُنْيَا وَمَا أَنْتِ سِوَى عِبَثِ الْأَطْفَالِ فِيمَا يَلْعُبُونَ
صَبْجَةٌ صَاحِبَةٌ لَا تَحْتَوِي غَيْرَ أَصْدَاءِ قَوِيَّاتِ الرَّنِينِ
فَإِذَا فَتَّشْتَ عَنْ مَبْعَثِهَا لَمْ تَجِدْ شَيْئًا تُخَيِّبُهُ الْوُكُونُ!^(١)

* * *

* عودة العياة *

عَجَبٌ حَفُّكَ يَا قَلْبِي فِي هَذِهِ الْأَضْلَعِ مِنْ بَعْدِ الْخُفُوتِ!
أَوْ مَا زَلْتَ إِذْنٌ لَمْ تَشْتَفِ مِنْ حَنِينِ فَيْكَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ؟

* * *

أَوْ مَا زَالَ إِذْنٌ نَبُعَ الْحَيَاةِ لَمْ يَغِضْ فَيْكَ وَلَمْ يَنْضُبْ مَعِينَهُ
رُبَّمَا فَاضَ عَلَى تِلْكَ الْفَلَاةِ فِي فُؤَادِ مُقْفِرٍ جَفَّتْ عُصُونُهُ!

* * *

طَالَ عَهْدِي أَيُّهَا الْقَلْبُ بِهِ ذَلِكَ الْخَفَقُ الَّذِي ذَكَرْتَنِيهِ
ذَلِكَ الْخَفَقُ الَّذِي لَا يَنْتَهِي حَيْثُ يَسْرِي الشَّعْرُ كَالْتِيَارِ فِيهِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٠

١- الوكون: مفردة وكن والوكن: عش الطائر حيث كان.

كَمْ ربيعٍ مَرَّ يَتْلُوهُ ربيعٌ وفؤادي في خريفٍ راکدٍ
هَامِدِ الإحساسِ جَاثٍ بالضلوعِ في حياةٍ ذاتِ نَمَطٍ واحدِ
* * *

وحرمتُ الحِسَّ ، حتى بالألمِ والنَّدى حتى بتسكابِ الدَّموعِ
إيه . ما أقفرَ إحساسَ العَدَمِ والأمانِ راکداتٌ في القُنوعِ
* * *

هاتِ يا قلبُ من النبضِ القويِّ وتفتحْ كلَّ يومٍ عن جديدِ
لَمْ يَزَلْ في جَعْبَةِ الكَوْنِ الغنيِّ مَا يُغذِّيكَ بأحلامِ الوُجُودِ
* * *

وإذا لم تستطعْ فأخلقْ حيَّاهُ! من سُخُوصِ الوهمِ أو طيفِ الأمانِ
ومن الحبِّ، وما صاغتْ يداهُ من جحيمٍ يتلظى أو جانِ
* * *

البعث *

قد بُعِثَ الْيَوْمَ أَحْيَا مِنْ جَدِيدٍ فَهُوَ بَعَثٌ مِنْ حَيَاةٍ خَامِدَةٌ
مَرَّ نِصْفُ الْعُمْرِ أَوْ كَادَ يَزِيدُ لَهْفَ نَفْسِي - فِي حَيَاةٍ رَاكِدَةٌ
فِي حَيَاةٍ لَمْ أَجِدْ فِيهَا حَيَاةً!
بَلَغَ الْعُقْمُ بِهَا أَقْصَى مَدَاهِ
وَتَبَدَّتْ بَلْقَعًا مِثْلَ الْفَلَاهِ^(١)

ثُمَّ لَاحَتْ تَتْرَائِي مِنْ بَعِيدٍ شُعْلَةٌ مِنْ نَارِ حُبِّ وَاقِدَةٍ
تُلْهَبُ الْحَسَّ وَتَسْتَوْحِي الْقَصِيدَ وَالْأَنَاشِيدَ الْعِذَابِ الْخَالِدَةِ
شَاعِرٌ قَدْ صَبَغَ مِنْ فِيضِ الشُّعُورِ مُلْهَمَ الْفِطْرَةِ مِنْهُومِ النَّظْرِ^(٢)
نَابِضٌ بِالْعَطْفِ حَسَّاسُ الضَّمِيرِ يُدْرِكُ الْهَمْسَةَ تَسْرِي فِي حَذَرٍ
كَيْفَ يَحْيَا - وَهُوَ هَذَا - فِي عَمَاءَ
مُغْلَقِ الْإِحْسَاسِ مَطْمُوسِ الرَّجَاءِ
مُقْفِرًا كَالْكَهْفِ مَحْجُوبِ الضِّيَاءِ؟

هَكَذَا عِشْتُ كَسْكَانِ الْقُبُورِ فِي رِبِيْعِ الْعُمْرِ فِي الْعَهْدِ النَّصْرِ
آه لَوْ أَسْطِيعُ لِلْمَاضِي الْحَسِيرِ رَجْعَةً مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ وَمَرًا!
* * *

* نشرت عام ١٩٣٢

١ - بلقعا: خالياً من كل شيء، يقال: مكان بلقع
٢ - منهوم: الجائع، شديد الرغبة بالشيء.

كُنْتُ أَحْيَاهُ كَمَا يَحْيَا الشَّبَابُ! نَابِضاً بِالْحَبِّ جِيَّاشَ الْأَمَانِي
مُمْسِكاً أَهْدَابَهُ خَوْفَ الذَّهَابِ مُسْتَعِزّاً فِيهِ حَتَّى بِالثَّوَانِي!“(1)
ظَافِراً أَمْرُحُ فِيهِ كَالطَّيُورِ
حِينَمَا تَشْدُو بِالْحَانَ الْبِكُورِ
بِعَدَمِهَا تَنْفُحُهَا رِيحُ الزَّهْوِ
نِصْفُ عُمْرِي قَدْ تَوَلَّى فِي الْكُتَابِ فَلَأَقْضِ النِّصْفَ نَشْوَانَ الْأَغَانِي!
هَائِماً أَلْهُو بِمَعْسُولِ الرَّغَابِ أَوْ أُغْنَى بِالْأَمَانِي الْحِسَانِ!

* * *

١- أهْدَاب: مفردها هُدْبَة: طرف الثوب الذي لم يُنْسَج.

الشعاع الفابى*

لَا حَ لِي مِنْ جَانِبِ الْأُفُقِ شُعَاعٌ بينما أَخْبِطُ فِي دَاغِي الظَّلَامِ
فِي صَحَارَى الْيَأْسِ أُسْرِي فِي ارْتِيَاعٍ حَيْثُ تَبْدُو مُوَحْشَاتِ كَالرَّجَامِ^(١)
حَيْثُ يَسْرِي الْهَوْلُ فِيهَا وَاجِمَا
وَيَطُوفُ الرُّعْبُ فِيهَا حَائِمَا
وَالْفَنَاءُ الْمُحْضُ يَبْدُو جَائِمَا

وَتَرَى الْأَشْبَاحَ فِي رَأْسِ التَّلَاعِ كَالسَّعَالِي، أَوْ كَأَشْبَاحِ الْحِمَامِ^(٢)
فَاغْرَاتٍ تَتَشَهَّى الْإِبْتِلَاعِ تَنْهَشُ اللَّحْمَ؛ وَتَفْرِي فِي الْعِظَامِ
* * *

فَتَلَفْتُ عَلَى الضُّوْءِ يَلُوحُ مِثْلَمَا تَلْمَحُ عَيْنُ السَّاهِرِ
أَوْ كَمَا تَهْمِسُ فِي الْأَجْدَاثِ رُوحٌ أَوْ كَمَعْنَى شَارِدٍ فِي الْخَاطِرِ
قَدْ تَلَفْتُ بِقَلْبٍ مُسْتَطَارٌ
شَفَّهُ الدُّعْرُ وَأَضْنَاهُ الْعِتَارُ^(٣)
طَالَمَا رَجَّضَى تَبَاشِيرَ النَّهَارِ

* نشرت عام ١٩٣٢

١- الرَّجَامُ: مَنْ رَجَمَ الْقِر: وَضَع عَلَيْهِ الرَّجَامَ.

٢- السَّعَالِي: مَفْرَدَهَا السَّعْلَى: الْغَوْلُ.

٣- شَفَّهُ: مَنْ شَفَّ أَي نَحَلَ وَدَقَّ مِنْ هَمٍّ أَوْ مَرَضٍ وَيُقَالُ: شَفَّهُ الْحَبُّ أَوْ الْهَمُّ.

ثُمَّ أزمعتُ إلى الأفقِ الصُّبُوحِ أرتجِي فيه أمانَ الحائِرِ
أصعدُ الرابِيَ وأهوى في السُّفوحِ وكأني طيفُ جنِّ نافرِ
ثُمَّ ماذا؟ ثَمَّ قَدْ سَادَ الحَلْكَ فجأةً والقَبَسُ الهادي خَبَا
ثُمَّ أَحسستُ بدقاتِ الفَلَكِ لاهِثاتٍ، تَتراخَى تَعْبَا
رجفةُ الحائفِ أضناه العِياءُ
وهو يعدو لاهِثاً عدوَّ الطلاءِ^(١)

قبلما يَلحِقها غولُ الفناءِ

وإذا قلبي خُفوقٌ مُنتَهَكٌ ليس يَدري لِمَ لَخِاصٍ سَبَبَا
حولَه الظُّلْمَةُ في أيِّ سَلَكٍ حيثُ ينسى الهاربُونَ الهَرَبَا!

*** *

قلتُ ماذا؟ قال لي: رَجِعِ الصِّدى إليه ماذا؟ قلتُ للوهمِ علامَا؟
قال لي احشعْ أنتِ في وادي الردى حيثُ يَطوي الضَّوءُ طُرًا وَالظُّلَمَا!
ها هنا تُنوي الأمانِ؛ ها هنا
في مَهاوي اليأسِ في كَهْفِ الفَناءِ
كل شيءٍ هالِكٌ، حتَّى أَنَا!
ثُمَّ ضاعَ الصوتُ يَفنَى بَدَدًا وتَلاشَى تارِكًا مِنْهُ النِّمامَا
وإذا بي عُدْتُ أسرى مُفردًا لا أرى شيئًا، ولا أدري إلَمَا!

١- الطلاء: مفردا الطلاء، والطلاء: ولد الطيبة

٢- طُرًا: جميعاً

٣- النماما: الآثار الباقية

في الصحراء *

في ليلة من ليالي الخريف القمرية، الراكدة اهواء؛ المحتبسة الأنفاس، وفي صحراء جبال المقطم الموحشة، وبين هذا القفر الصامت الأبيد^(١) -- كانت، تتراءى نُخلات ساكنات في وجوم كثيب ومن بينها نُخلتان: إحداهما طويلة سامقة، والأخرى قصيرة قميمة.

بين هاتين النخلتين دار حديث. وكانت بينهما همسات ومناجاة!

الصغيرة:

ما لنا في ذلك القفر هنا ما برحنا منذ حين شانتِخصات؟
كل شيء صامت من حولنا وأرانا نحن أيضاً صامتات؟!
تطلّع الشمس علينا وتغيّب
ويطلّ الليل كالشيخ الكئيب
والنجوم الزُّهر تغدو وتثوب
وهجيرٌ وأصيلٌ... وطلوعٌ وأفولٌ... ثم نبقى في ذهولٍ ساهمات!

أفلا تدرين يا أختي الكبيرة ما الذي أطلعنا بين الياب؟
أيما إثم جنينا أو جريرة سلكتنا في تجاوزيف العذاب؟

١- الأبيد: الموحش

قد سئمت اللَّبَثَ في هذا المكانُ

لَبَثَةَ المَصْلُوبِ في صُلْبِ الزمانِ

أفما آن لتبديل... أو ان؟

حدثيني لِمَ نَشَقُّ؟ حدثيني كم سَنَلَقِي؟ حدثيني كم سَنَبَقِي واقفات؟
* * *

الكبيرة:

أنا يا أختاه: لا أدري الجوابِ ودفين السرِّ لم يكشف لنا

منذ ما أطلعتُ في هذا الخرابِ وأنا أسأل: ما شأني هنا؟

فيجيبُ الصمتُ حولي بالسُّكُونِ!

وأنا أخطبُ في وادي الظنونِ

لستُ أدري حكمةَ الدهرِ الضنين^(١)

غير أنل حائرات... والليالي العابثات... تتجنى ساحراتٍ لاهيات!

* * *

رُبَّما كُنَّا أسيراتِ القَدْرِ تَسَخَّرُ الأيامُ مِنَّا والليالي!

تَضْرِبُ الأمثالُ فينا والعِبَرُ وإذا نشكو أذاها لا تُبالي!

رُبَّما كُنَّا مَساحيرَ الزَمَنِ!

قد مُسِخَّنَا هكذا بين القنن^(٢)

في ارتقابِ الساحرِ المُحِبِّي الفِطَنِ!

فإذا كان يعود... فك هاتيك القيود... فرجعنا للوجودِ ظافرات!

١- الضنين: البحيل: الشحيح

٢- القنن: مفردها قننة: وهي قمة الجبل

أَوْ تَرَانَا نَسَلْ أَرْبَابِ قُدَامِي قَدْ جَفَّاهَا وَتَوَلَّى الْعَابِدُونَ!
 جَفَّتْ الْكَأْسُ لَدَيْهَا، وَالنَّدَامِي غَادَرُوا نَدْوَتَهَا تَنْعِي الْقُرُونِ
 أَوْ تَرَانَا مَسَخَ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ!
 صَاغَنَا فِي ذَلِكَ الْقَفْرِ الْعَشُومِ!
 وَتَوَلَّى هَارِباً خَوْفَ الرَّجُومِ!
 فَبَقِينَا فِي الْعَرَاءِ.. يَجْتُونَا كُلُّ رَاءٍ.. وَسَنَبَقِي فِي جَفَاءِ شَارِدَاتٍ^(١)

لَسْتُ أُدْرِي، كُلُّ شَيْءٍ قَدْ يَكُونُ فَتَلْقَى كُلَّ شَيْءٍ فِي سُكُونِ
 وَإِذَا مَا غَالْنَا غُولَ الْمَنُونِ فَهِنَا يَغْمُرُنَا فِيضُ الْيَقِينِ!

ثُمَّ سَادَ الصَّمْتُ كَالطِّيفِ الْحَزِينِ
 وَتَسَمَّعْتُ لِأَقْدَامِ السِّنِينِ
 وَهِيَ تَخْطُو خَطْوَةَ الشَّيْخِ الرَّزِينِ
 هَامَسَاتٍ فِي الرَّمَالِ مُنْشِدَاتٍ فِي جَلَالِ كُلِّ شَيْءٍ لِلزَّوَالِ وَالشَّتَاتِ

١- يجتونا: يكرهنا من احتوى: كره

بين الضلال *

يا ذُكْرِيَايَ البعيدة
يا أُمْنِيَايَ الشَّرِيدَةَ
إِلَى قَبْلَ الصَّبَاحِ
إِلَى مَنْ كُلِّ صَوْبِ
فَهْنِمِي حَوْلَ قَلْبِي
فانت وَحْيِي وَزَادِي
غَفَلْتِ يَا ذُكْرِيَايَ
بين اصْطِخَابِ الحَيَاةِ
وَكُلِّ جَارٍ قَوِيٍّ! (٢)
سهوتِ يَا أُمْنِيَايَ
إلى مَرَاقِي الحَيَاةِ
بِحَاضِرِ مَاتِيٍّ

* نشرت عام ١٩٣٤

١- الهينمة: الصوت الخافت.

٢- الجار: الضخم (من الرجال)

في عالم الأشباح
في عالم الأرواح

يا ذكرياتي البعيدة
يا أمنياتي الشريدة

إلى قبل الصّباح

في هُدَاة كالحلُود
كبِسْمَةٍ من وِلْدِ

الليل أرخى سُتُورَه
والبدْرُ أرسلَ نورَه

راضِي المحيّا سعيد

قد صرّمتُه الليالي
بذكرياتي الحوالي

وخفّق الكونُ خفّقاً
وعادَ يهْمِسُ رِفْقاً

وأمنياتي الغوالي

ضاعتْ ضياعَ الإياسِ
من بعدَ طولِ الشّماسِ

وجدتْ نَفْسِي وكانتْ
ورُضتْ نَفْسِي فلانتْ

وبعدِ صعبِ المراسِ

أثرنَ قلبي حيناً
ذبلنَ كالزهرِ حيناً

ورفرتْ ذكرياتُ
ونصّرتْ أمنياتُ

فيالصنعِ السنينا

في عالم الأشباح
عالم الأرواح

يا ذكرياتي البعيدة
يا أمنياتي الشريدة في

إلى قبل الصّباح

فالفجرُ في الكونِ لأح
والصبحُ يُذكي الصياح

ورفرفي في فؤادي

فأقبلي في انفرادي

الإنسان الأفيو*

صَحَا ذَاتِ يَوْمٍ حِينَ تَصْحُو الْبَوَاكِرُ وَتَسْتَيْقِظُ الدُّنْيَا وَتَجْلُو الدِّيَاجِرُ^(١)
 وَيُشْرِقُ وَجْهُ الصُّبْحِ فِي غَمْرَةِ الدُّجَى كَمَا تَشْرِقُ الْأَمَالُ وَالْيَأْسُ غَامِرُ
 وَتَضْطَرِبُ الْأَنْفَاسُ خَفْضَهَا الْكُرَى وَتَخْفُقُ أَرْوَاحٌ وَتَذُكُو مَشَاعِرُ
 وَحِينَ يَعِجُّ الْكُونُ بِالصَّوْتِ وَالصَّدى وَبِالْكَدْحِ تُزْجِيهِ الْمُنَى وَالْمَخَاطِرُ
 وَبِالصَّرْحَةِ الْهُجُوءِ وَالضَّحْكَةِ الَّتِي يَضْحُجُّ بِهَا الْأَحْيَاءُ، وَالذَّهْرُ سَاخِرُ
 * * *

وَلَكِنَّهُ لَمْ يُلْفِ بِالْكَوْنِ نَامَةً تَمُّ عَلَى حَيٍّ، وَلَمْ يَهْفُ خَاطِرُ
 فَفِي نَفْسِهِ مَا يُشْبِهُ الْمَوْتَ سَكْرَةً وَمِنْ حَوْلِهِ مَوْتُ نَمْتِهِ الْمَقَابِرُ
 جَلَالٌ كَأَنَّ اللَّهَ أَطْلَعَ وَجْهَهُ عَلَيْهِ؛ فَفَرَّتْ فِي النَفُوسِ الضَّمَانُ
 وَصَمَّتْ فَمَا فِي الْكُونِ صَوْتُ وَلَا صَدَى وَلَا خَفَقَةَ يُحْيِي بِهَا الْكَوْنُ شَاعِرُ
 فَأَدْرَكَ فِي أَعْمَاقِهِ عَن بَدِيهِةٍ نَهَايَةَ مَا صَارَتْ إِلَيْهِ الْمَصَانِرُ
 * * *

وَمَا هَمَّ بِالتَّنْقِيْبِ عَن أَيِّ صَاحِبٍ فَفِي نَفْسِهِ يَأْسٌ مِنَ النَفْسِ صَادِرُ
 وَلَكِنَّهُ أَلْقَى بِهَا عَبْرَ نَظْرَةٍ عَلَى الْكُونِ وَالْأَيَّامِ وَهِيَ دَوَائِرُ

* نشرت عام ١٩٣٤

١- الدَّيْجُور: ذ الظلام والجمع: دياجر

٢- عَجَّ يَعِجُّ: رفع صوته وصاح.

٣- نامة: الصوت الضعيف الخفي أياً كان

رُكَّامٍ وَأَشْلَاءَ وَأَطْلَالَ نِعْمَةٍ وَبُؤْسٍ، وَشَقَى مَا حَوَتْهُ الْأَدَاهِرُ
وَفِي نَفْسِهِ مِنْ مِثْلِهَا كُلِّ ذَرَّةٍ فَهَاتِيكَ أَشْلَاءَ وَهَدِي خَوَاطِرُ
تَجَمَّعَ فِيهَا مَا تَفَرَّقَ فِي الْوَرَى وَمَا ضَمَّتْ تِلْكَ السَّنُونُ الْغَوَابِرُ
خِلَاصَةَ أَعْمَارٍ وَشَقَى تَجَارِبَ وَجَمَعَ أَشْوَاقٍ بِهَا الْكُونُ حَائِرُ
* * *

وَأَوْعَلَ فِي إِطْرَاقَةٍ مَلُؤُهَا الْأَسَى فَمَرَّتْ عَلَيْهِ الذِّكْرِيَّاتُ الْعَوَابِرُ
تَحْتُ خُطَاهَا مَوْكِبًا إِتْرَ مَوْكِبٍ وَقَدْ جَاوَرَتْ فِيهَا الْمَاسِي الْبَشَائِرُ
وَأَقْبَلَتْ الْآمَالَ وَالْيَأْسَ حَوْلَهَا تُمَزَّقُهَا أَنْيَابُهُ وَالْأُظَافِرُ
وَجَمَعَ فِيهَا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ رَابِطُ مِنْ النَّفْسِ مَشْدُودٌ إِلَيْهَا مُخَامِرُ^(٢)
وَشَقَى عِبَادَاتٍ وَشَقَى عَقَائِدٍ يُؤَلَّفُهَا الْإِيمَانَ وَهِيَ نَوَافِرُ
وَفِيهَا مِنَ الْمَجْهُولِ سِرٌّ وَرُوعَةٌ وَرَغْبَةٌ مَحْرُومٍ وَخَوْفٌ مُسَاوِرُ
وَقَدْ كَانَ فِي الْمَجْهُولِ مَطْمَحٌ كَاشِفٌ تُحَجِّبُهُ عَنْ طَالِبِيهِ السَّتَائِرُ
فِيَالِيَتِهِ يَدْرِي بِمَا خَلْفَ سِتْرِهِ فَيُخْتَمُ سِفْرَ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ ظَافِرًا!^(١)

* * *

١- مخامر: خَامَرَ الشيء: مراسه وخالطه وخامر المكان: لزمه وأقام به.
٢- مساور: واثب تائر، يقال: ساورته الهموم والهواجس والأفكار: صارعته.
٣- سِفْرَ الناس: كتاب الناس

وعادت له الآمال إذ جدّ مَطْمَحٌ يُرْجَى، وأذكاه الخيالُ المغامرُ
 لعل وراء الكونِ مِفْتَاحَ لُغْزِهِ وطلسم ما ضُمَّت عليه السَّرَائِرُ
 وما هي إلا ومضةٌ تَكْشِفُ الدُّجَى ويخلع هذا الجسم والجسمُ جائِرُ
 ولولا موثيقُ الحياةِ تُشْدهُ إليها لأمضى عَزْمُهُ وهو صَابِرُ.
 وخلف هذا الجسمَ للموتِ والبلى وأشرق رُوحاً حيثُ تَصْفُو البصائرُ
 وعَاودَهُ حُبُّ الحياةِ لذاتها وقد أَجْفَلَتْ تلكَ التوازي الكوافرُ
 وهاجت به الأطماعُ حُبَّ امتلاكها له وحده والناسُ مَيّتٌ ودائرُ
 فعادَ إلى الدنيا العريضةِ مالِكاً ولا مَنْ يُلاحيه ولا مَنْ يُشاطرُ!
 ولكنّه لم يستطعْ مُلْكُهُ الذي تحمّض لا يسعى به أو يغامرُ
 وما فيه من كدٍ ولا من تسابقٍ ولا سابقٍ في الكادحين وقاصرُ
 وكيف يطيبُ العيشُ إلا تراحمًا فِيرَبِّحَ مجدودٌ؛ وينخسرَ عاثِرُ؟!

هنالك دوتٌ في السماكين صيحةٌ دعاءٌ لعزرائيلَ والكونُ سَادِرُ
 ((بَرِمْتُ بهذا الكونِ هَمْدَانٌ مُوحِشاً بَرِمْتُ بِمِلْكِ رَبِّهِ فِيهِ خَاسِرُ))
 ((فهيَا إِذْ نِ لِلْمَوْتِ أَرْوْحَ رِحْلَةٍ لَتُكْشِفُ أَسْتَارَ وَيَهْدَأُ تَائِرُ))

وفيما يُعاني سَكْرَةَ الموتِ هَيَمَمْتُ^{٢٧} إلى مَسْمَعِيهِ هَاتِفَاتٍ سَوَاحِرُ
 ((هُوَ السِّرُّ أَنْ تَقْفُو إِلَى السِّرِّ لَهْفَةً وَأَنْ تَشْتَرُوا الْآتِي بِمَا هُوَ حَاضِرُ))!

إلى الشاطئ المجهول *

تَطِيفُ بِنَفْسِي وَهِيَ وَسَنَانَةُ سَكْرِي هَوَاتِفُ فِي الْأَعْمَاقِ سَارِيَّةٌ تَتْرَى^(١)
هَوَاتِفُ قَدْ حُجِّبَتْ؛ يَسْرِينِ خَفِيَّةٌ هَوَامِسُ لَمْ يَكشِفْنَ فِي لِحْظَةٍ سِتْرًا
وَيَعْمُرْنَ مِنْ نَفْسِي الْمَجَاهِلَ وَالذُّجَى وَيُحْتَبِنَ مِنْ نَفْسِي الْمَعَالِمَ وَالْجُهْرًا
وَفِيهِنَّ مَنْ يُوحِيَنَّ لِلنَّفْسِ بِالرِّضَا وَفِيهِنَّ مَنْ يُلْهِمَنَّهَا السُّخْطَ وَالنِّكَرًا
وَمَنْ بَيْنَ هَاتِيكَ الْهَوَاتِفِ مَا اسْمُهُ حَنِينٌ، وَمِنْهُنَّ التَّشَوُّقُ وَالذِّكْرَى!
أَهْبَنَ بِنَفْسِي فِي خُفُوتِ وَرُوعَةٍ وَسِرْنِ بَهْمَسٍ، وَهِيَ مَأْخُودَةٌ سَكْرِي
سَوَاحِرُ تَقْفُوهُنَّ نَفْسِي وَلَا تَرَى مِنْ الْأَمْرِ إِلَّا مَا أُرْدَنَ لَهَا أَمْرًا!
إِلَى الشَّاطِئِ الْمَجْهُولِ، وَالْعَالَمِ الَّذِي حَنِنْتُ لِمَرَاهِ؛ إِلَى الصَّفَةِ الْأُخْرَى
إِلَى حَيْثُ لَا تَدْرِي إِلَى حَيْثُ لَا تَرَى مَعَالِمَ لِلْأَزْمَانِ وَالْكُونِ تُسْتَقْرَأُ.
إِلَى حَيْثُ ((لَا حَيْثُ)) تُمَيِّزُ حُدُودَهُ! إِلَى حَيْثُ تَنْسَى النَّاسَ وَالْكُونَ وَالذَّهْرًا
وَتَشْعُرُ أَنْ الْجِزَاءَ وَالْكَلَّ وَاحِدٌ وَتَمَزِجُ فِي الْحَسِّ الْبِدَاهَةَ وَالْفِكْرًا
فَلَيْسَ هُنَا (أَمْسٌ) وَلَيْسَ هُنَا (عَدُوٌّ) وَلَا (الْيَوْمُ) فَالْأَزْمَانُ كَالْحَلَقَةِ الْكُبْرَى
فَلَيْسَ هُنَا (غَيْرٌ) وَلَيْسَ هُنَا (أَنَا) هُنَا الْوَحْدَةُ الْكُبْرَى الَّتِي اخْتَجَبَتْ سِرًّا

* نشرت عام ١٩٣٤

١- وسنانة: أخذت في العاص، وهو مبدأ النوم، تترى: متتابعة.

خَلَعْتُ قِيودي؛ وانطلقتُ مُحَلَّقاً وبي نشوة الجبارِ يَسْتَلِهِمُ الظُّفراً
أهُومٌ في هذا الخلودِ وارتقى وأسلُكُ في مَسْراهُ كالطيفِ إذ أُسْرَى
وأكشفُ فيه عالماً بعدَ عالمٍ عجائبَ ما زالتْ مَمْنَعَةً بِكُرا
لقد حَجَبَ العقلُ الذي نَسْتَشِيرُهُ حقائقَ جَلَّتْ عن حقائقنا الصُّغرى
هنا عالَمُ الأرواحِ فَلَنُخْلَعِ الحِجَابَ! فَغَنَمَ فيه الخُلْدَ والحَبَّ والسَّحْرا

* الشاعر ضي وادي الموتى *

اعتاد الشاعر أن يتردد كثيراً على وادي الموتى في أوقات مختلفة، أكثر ما تكون عند مغرب الشمس، وقبل طلوعها ! وهو يجد في هذه الزيارات، لذة غريبة ، كما يجد مجالاً لتأملاتٍ غير محدودة ؛ ولكنها تُثيرُ فيه الشوقَ لمعاودتها كَرَّةً أخرى.

وفي مرة منذ ستة أعوام ؛ أرق في الهزيع الثاني، فجال بخاطره، أن يلجأ إلى حَمَى الموتى، مدفوعاً بشعورٍ غامض، لا يبالي وحشة مثل هذه الأماكن ، في جُنْح الليل المُدْهِم!

وسار خطوات، ولكنه أحس بالرهبة؛ وساوره الوجل، وشعر كأن أصواتا من وراء الحفائر تتناجى، ثم توجّه إليه الخطاب.

ليس للشعر يد في هذا التصوير؛ فهو الحقيقة التي أحسها ، كما يسمع الصوت ، وكما ينظر المرئيات .

وقد عاد صامتاً واحمأ؛ وبعد أن ذهب عنه الرّوع، حاول أن يفسر عن طريق (الوعي والتأمل) ما دفعه لهذه الرحلة، وما شعر به في أعماق نفسه.

ولقد ظل يعجز عن ذلك، كلما حاوله؛ مدى ستة أعوام، حتى استطاع في هذا العام، أن يترجم هذا الشعور شعراً؛ بعد أن فقد كثيراً من روعته، ووصل إلى الدرجة التي استطاع عنها التعبير.

* نشرت في ١٩٣٤

مَنْ الطَّارِقُ السَّارِي خَلَالَ المَقَابِرِ كَحَفَقَةِ رُوحٍ فِي الدُّجَنَاتِ عَابِرٌ^(١)؟
 مِنَ الوجَلِ المذعورُ فِي وحشةِ الدُّجَى تَقْلُبُهُ الأوهَامُ فِي كُلِّ خَاطِرٍ؟
 يَنْقُلُ فِي تلكِ الدِّيَاجِرِ خَطْوَهُ وَيَخْطُرُ فِي هَمْسِ كَهْمَسِ المُحَادِرِ؟
 وَقَدْ سَكَنْتَ مِنْ حَوْلِهِ كُلِّ نَأْمَةٍ سِوَى قَلْبِهِ الخِفَاقِ بَيْنَ الدِّيَاجِرِ؟
 وَغَشَاهُ رَوْعُ المَوْتِ، وَالمَوْتُ رَوْعَةٌ تَغْشَى، فَيَعْنُو كُلُّ نِكْسٍ وَقَادِرِ؟

* * *

«هُوَ الشَّاعِرُ الملهوفُ لِلحَقِّ وَالمُهْدَى وَلِلسِّرِّ لَمْ يَكشِفْهُ ضَوْءٌ لِنَظَرِ!
 تَحِيَّرَ فِي سِرِّ الحَيَاةِ وَمَا اهْتَدَى إِلَيْهِ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِتِلْكَ الظَّوَاهِرِ
 وَسَاءَلَ عَنْهُ الكَوْنُ وَالكَوْنُ حَائِزٌ يَسِيرٌ كَمَعْصُوبٍ بِأَيْدِي المِقَادِرِ!
 وَسَاءَلَ عَنْهُ المَوْتُ، وَالمَوْتُ سَادِرٌ وَسَاءَلَ عَنْهُ الشَّعْرُ فِي حَنَقٍ ثَائِرِ!^(٢)
 وَسَاءَلَ عَنْهُ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَمْ يَقْضُ بِشَيْءٍ وَلَمْ يَرْجِعْ بِصَفَقَةِ ظَافِرِ

* * *

أَفِي هَذِهِ الأَجْدَاثِ طَلَسْتُمْ سِرَّهُ لَعَلَّ! فَمَنْ يَدْرِ بِسِرِّ المَقَابِرِ؟
 أَلَمْ يَخْلَعْ المَوْتَى الأَحَابِيلُ كُلَّهَا؟ أَحَابِيلَ أوهَامِ الحَيَاةِ الجَوَائِرِ!^(٣)
 أَلَمْ يَتْرَكُوا الدُّنْيَا الغَرُورَ لِأَهْلِهَا؟ وَيَسْتَوْتِقُوا مِمَّا وَرَاءَ المِصَائِرِ؟

١- الدُّجَنَاتِ: الدُّجَنَةُ: السَّوَادُ أَوْ الظُّلْمَةُ

٢- سَادِرٌ: غَيْرُ مَبَالِ بِشَيْءٍ.

٣- الأَحَابِيلُ: مَفْرَدُهَا الأَحْيُولُ، وَالأَحْبُولَةُ: المِصِيدَةُ، وَالمِرَادُ هُنَا المِظَاهِرُ الخَادِعَةُ.

ألا تمهس الأرواح بالسرِّ إن سرى إليها؟، ألا تهدي اليقين لحائر؟
أجل! ربّما تُعطي الجواب لسائل ورُبّما تجلّو المصير لشاعر!
* * *

وفيما يُناجي في حمى الصمت نفسه تسمع همساً من خلال الحفائر
«من الطارق الساري خلال المقابر فأقلق منّا كل غافٍ وساهر؟»
«أما يفتنع الأحياء بالرحب كله؟ أيا ويح للأحياء صرعى المظاهر»
«تركنا لهم دنياهمو وديارهم ولم يدعوننا في حمى غير عامر»
* * *

وقال فتى منهم حديث قدومه بنعمة إشفاق، ونبرة ساخر!
«لعل الذي قد دبّ في ذلك الحمى وأيقظ في أحشائه كل سادر»
أخو صبوّة، يهفو إلى قبرٍ ميّت له عنده وجدّ وتحنان ذاكر»
«يقربّه منها التذكُّر والهوى وتبعده عنها غلاظ السائر»
«وما أخذع الحبّ الذي في ديارهم! يُغشى على أبقارهم والبصائر»
وقالت لهم أمّ وفي صوتها أسى ونبرة تحنان، وكتمان صابر
«ألا ربّما كانت تَكولاً حزينةً على قلدةٍ من قلبها المتناثر»
«وربّما كانت عجوراً تآيمت وضاقت بدهر ناضب العون غادر»
* * *

وَقَدْ ذَهَبُوا فِي حَدْسِهِمْ كُلِّ مَذْهَبٍ وَفِي مَا حَوَتْهُ نَفْسُهُ مِنْ مَشَاعِرِ!
 وَجَلَّجَلَ صَوْتُ الشَّيْخِ يَدْوِي كَأَنَّمَا هُوَ الدَّهْرُ فِي صَوْتِ مِنَ الرَّوْعِ ظَاهِرِ
 «مَنْ الطَّارِقُ السَّارِي خِلَالَ المَقَابِرِ فَأَقْلِقْ مِنَّا كُلَّ غَافٍ وَسَاهِرِ!»
 * * *

فَقَالَ أَخُو الأَحْيَاءِ؛ وَالقَلْبُ خَافِقٌ مِنَ الوَجَلِ الأَخْذِ، فِي صَوْتِ حَاسِرِ
 «أَنَا الحَيُّ لَمَّا يَدِرُ أَسْبَابَ خَلْفِهِ أَنَا المُدْلِجُ الحَيْرَانُ بَيْنَ الخَوَاطِرِ»
 دَلَفْتُ إِلَى وَادِي المَنَآيَا لَعَلَّنِي أَفُوزُ بِسَرٍّ فِي حَنَآيَاهُ غَائِرِ؟
 أَمَا تَعْلَمُونَ السَّرَّ فِي خَلْقِ عَالَمٍ يَمُوتُ وَيَحْيَا بَيْنَ حَيْنٍ وَآخِرِ؟
 وَتَكْنُفُهُ الأَحْدَاثُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَيَرْكَبُ لِلغَايَاتِ شَتَى المَخَاطِرِ؟
 وَليْسَ لَهُ مِنْ غَايَةٍ غَيْرَ أَنَّهُ مَسْوُوقٌ إِلَى تَحْقِيقِ رَغْبَةٍ قَاهِرِ!
 ضَنِينٌ بِمَا يَبْغِيهِ لَيْسَ يُبِيحُهُ لِسَانُهُ عَمَّا وَرَاءَ الظَّوَاهِرِ
 وَمَاذَا لَقِيتُمْ بَعْدَ مَا قَدْ خَلَعْتُمُو قِيُودَ اللَّيَالِي الخَادِعَاتِ المَوَآكِرِ؟
 وَمَاذَا وَرَاءَ الغَيْبِ؛ وَالغَيْبُ مُطْبَقٌ؟ وَهَلْ يَتَجَلَّى مَرَّةً لِلنَّوَاطِرِ؟
 سَوَآلُ أَحْيَى شَوْقٍ، وَقَدْ طَالَ شَوْقُهُ وَحَيْرَتُهُ، بَيْنَ الشُّكُوكِ الكَوَافِرِ
 * * *

أَرَيْتَ لَوْ أَنَّ الهَوْلَ صَوَّرَ مَنظَرًا تُجَلِّلُهُ الأَخْطَارُ جَدَّ غَوَامِرِ؟
 كَذَلِكَ سَادَ الصَّمْتُ بَيْنَ الحَفَائِرِ وَرَانَ عَلَى أروَاحِهِمُ وَالصَّمَائِرِ
 وَأَذْهَلَ هَاتِيكَ النَفُوسَ فَحَفَّضَتْ مِنَ البَهْرِ^{٩٢} وَالإِعْيَاءِ دَقَاتِ طَافِرِ!

وَجَلَجَلَ صَوْتُ الشَّيْخِ يَدْوِي كَأَنَّهُ
 أَيَا وَيْلَهَا تِلْكَ الْحَيَاةَ وَأَهْلِهَا
 وَتَطْلُبُ أَسْبَابَ الشَّقَاءِ لِنَفْسِهَا!
 لَقَدْ أَغْمَضَ الْمَوْتُ الرَّحِيمُ جَفَوْنَنَا
 نَسِينَا سَوْأَالًا؛ لَمْ يَزَلْ كُلُّ كَائِنٍ
 نَسِينَاهُ فَارْتَمْنَا مِنَ الْحَيْرَةِ الَّتِي
 وَهَا أَنْتِ ذَا تُذَكِّيه. يَا لَكَ جَانِرًا
 وَهَا نَحْنُ وَدَعْنَا هَدْوَاءً وَهَيْئَةً
 أَرَيْتِ لَوْ أَنَّ الْهَوْلَ صَوَّرَ مَنْظَرًا
 كَذَلِكَ سَادَ الصَّمْتُ بَيْنَ الْحَفَائِرِ
 وَأَذْهَلَ هَاتِيكَ النَّفُوسَ فَخَفِضْتُ
 مِنْ الْبَهْرِ وَالْإِعْيَاءِ دَقَاتِ طَافِرِ

وَعَادَ أَخُو الْأَحْيَاءِ يَعْطُو بِحَسْرَةٍ
 لَقَدْ كَانَ فِي الْمَوْتِ مَأْمَلٌ
 فَأَلْفَى سَرَابًا ثُمَّ لَا يَنْتَفِعُ الصَّدَى
 فَوَا نَدْمًا عَنِ بَحْثِهِ الْمُتَوَاتِرِ!
 فَقَدْ كَانَ خَيْرًا أَنْ يَعِيشَ عَلَى الْمُنَى
 وَيَأْمَلَ بَعْدَ الْمَوْتِ كَشَفِ السُّتَائِرِ
 وَيَا لَيْتَ هَذَا الْمَوْتَ يُسْرِعُ خَطْوَهُ
 فَيَطْوِي حَيَا عُمُرِهِ رِيحَ خَاسِرِ!

* التجارب *

كثيراً ما يَيرُمُ الإنسانُ بماضيه أو حاضره، ويسخطُ على تجاربه
ومصائبه!

وقد تصوّر الشاعر شقيماً أعفته الأقدارُ من ماضية وتجاربه، وأطلقته
كأنما وُلد في لحظة، ولكنه لم يستطبّ حاله، لأنه لم يجد رَكِيزَةً يَرَكُنُ
إليها، وودّ لو أن الأقدار وهبته ماضياً سعيداً؛ فاستجابت له. ولكنه عاد
يشعرُ بغرْبته عن ذلك الماضي، ولم تعد هناك قيمة لآماله، التي خلقها
ماضيه هو، وارتبطت به، وعندئذ عاد لماضيه في لهفةٍ واشتياقٍ إليه.
* * *

شَكَا بُؤْسَ ماضيه الحفيلِ الجوانبِ بكل مصابٍ فادِحِ العِبءِ صائبٍ! (١)
وضاق به صدرًا على طولِ صُحْبَةٍ تُمَلُّ، وَيَا بئسَ الأسى من مُصَاحِبٍ!
وودّ لو أن الدهرَ يُعْفِيه بُرْهَةً من الغابرِ المملولِ جَمِّ النَّوَابِ
فأصغَتْ له الأقدارُ في أُمْنِيَّاتِهِ على أهما لم تُصغِ يوماً لِطالِبِ
وأعفَتْه من ماضيه حتى كأنه وليدٌ خَلِيَّ القَلْبِ من كلِّ نائِبٍ!
* * *

نَضا عنه أعباءَ السنينِ الغوارِبِ ونَحَى عن الآمالِ قيدَ التجاربِ (٢)
وعاد طليقاً لا يُعَوِّقُ خَطْوَهُ مَرَّاسٌ؛ ولا يثنيه خَوفُ العواقِبِ

* نشرت: ١٩٣٤

١- نضا الشيء: نزعه وألقاه.

٢- المرَّاس: ذو الشدة العظيمة.

وُخْفِضَ صَوْتُ الذِّكْرِيَّاتِ أَوْ أَمَّحَى وَجَلَّجَلَ كَالنَّاقُوسِ صَوْتُ الرِّغَائِبِ
وَآضٍ وَوَلِيدُ الْيَوْمِ فِي مَيْعَةِ الصَّبَا جَدِيداً بَدْنِيَاهُ؛ جَدِيدَ الْمَطَالِبِ^(١)
بَعِيداً عَنِ الْمَاضِي الَّذِي آدَهُ الْأَسَى وَحَقَّتْ بِهِ الْأَحْدَاثُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ^(٢)

* * *

وَلَكِنَّهُ أَلْفَاهُ أَسْوَانَ مُوحِشاً كَمَا أُفْرِدَ الْإِنْسِيَّ مِنْ كُلِّ صَاحِبِ
وَأَلْفَاهُ فِي هَذِي الْحَيَاةِ كَأَنَّهُ غَرِيبُ عَرَا، فِي عَالَمٍ مِنْ غَرَائِبِ^(٣)
وَأَلْفَاهُ مَقْصُوصَ الْجَنَاحِ إِذَا هَفَا إِلَى الْأَوْجِ لَمْ يُسَعِفْهُ عَزْمُ الْمُغَالِبِ
وَإِنْ هَمَّ لَمْ يُبْصِرْ لَهُ مِنْ رَكِيزَةٍ تَضَاعَفَ عِنْدَ الْوُثْبِ جَهْدَ الْمُوَاتِبِ
وَقَدْ أَبْصَرَ الْأَمَالَ عَرَجَاءَ لَمْ تَجِدْ لَهَا سَنَداً مِنْ ذِكْرِيَّاتِ ذَوَاهِبِ
فَعَادَ إِلَى الْأَقْدَارِ يَشْكُو صَنِيعَهَا وَيُوسِعُهَا فِي شَكْوِهِ عَتَبَ عَاتِبِ!
أَمَا يَسْتَطِيعُ الدَّهْرُ - لَوْ شَاءَ نَصْفَةً لَهُ - عَوْضاً مِنْ غَابِرٍ مِنْهُ خَائِبِ
بِمَاضٍ سَعِيدٍ لَمْ يَشَبْ صَفْوَهُ الْأَسَى! فَيَحْيَا عَلَى رُكْنَيْنِ: آتٍ وَذَاهِبِ!

* * *

فَأَصَعَّتْ لَهُ الْأَقْدَارُ فِي أُمْنِيَّاتِهِ عَلَى أَنَّهُ لَمْ تُصْغِ يَوْمًا لِطَالِبِ!
وَأَعْطَتْهُ أَنْقَى صَفْحَةٍ فِي كِتَابِهَا لِأَسْعَدِ مَخْلُوقٍ وَأَهْنَأِ رَاغِبِ!

* * *

١- آض الشيء كذا: تحوّل إليه، ميعة: ميعة الشيء؛ أوله

٢- آداه: قوّاه وأعانه

٣- عرا: من العرى، والمراد: إنه وجد نفسه غريباً أو عارياً من كل فضيلة.

ولكنه ألفاه لم يغدُ مالكاً لِمَا مَنَحْتَهُ مِنْ عَزِيزِ الْمَوَاهِبِ
وَألفاه لم يَكْشِفْ خَبِيئَةَ نَفْسِهِ لَذيكَ الْمَاضِي الَّذِي لَمْ يُصَاحِبِ!
وَأَبْصَرَ بِالْأَمْالِ حَيْرَى كَأَنَّمَا تَسَاءَلُ عَنْ دَاعٍ لَهَا جَدِّ دَائِبِ
دَعَاها فَلَمَّا أَقْبَلَتْ مِنْ سَمَائِهَا رَأَتْ غَيْرَهُ فِي غَفْلَةٍ غَيْرِ رَاقِبِ^(١)
وَمَا الْأَمَلُ «الْبِسَامُ» إِلَّا رَغِيبةٌ لِنَفْسٍ تَرَى مِنْ دَهْرِهَا وَجَهَ «غَاصِبِ»
* * *

فَعَادَ إِلَى الْأَقْدَارِ يَطْلُبُ عَوْنَهَا عَلَى رَجْعِ مَاضِيهِ بِحَسْرَةٍ تَائِبِ!
أَجَلَ عَادَ مَلْهُوفاً لِمُرِّ التَّجَارِبِ وَأَيَّامِهِ الْأُولَى الظَّمَاءِ السَّوَاعِبِ^(٢)
أَجَلَ ذَلِكَ الْمَاضِي الَّذِي هُوَ بَضْعَةٌ مِنَ النَّفْسِ دُسَّتْ فِي الْحَشَا وَالنَّرَائِبِ^(٣)
* * *

فَأصغَتْ لَهُ الْأَقْدَارُ فِي أَمْنِيَّاتِهِ عَلَى أَنَّهَا لَمْ تُصْغِعْ يَوْمًا لِطَالِبِ!
وَعَادَ إِلَى دُنْيَاهِ مِنْ بَعْدِ عُرْبَةٍ وَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِأَيْبِ
* * *

١- دعاها الماضي الشقي وأقبلت فوجدت الماضي السعيد غير ملتفت لها.
٢- السواغب: مفردها ساغبة: جائعة متعبة.
٣- الترائب: عظام الصدر موضع الفلادة، والمراد دُست في القلب والصدر.

فبيلة نفسيا *

خبينةَ نفسي؛ قد غفا الكونُ فاسفري وكوني سَميري، بعد أن نامَ سَمري
سَهَا الدهرُ والأقدارُ رنَّقها الكرى وهومٌ في جوفِ الدجى رُوحٌ خيرٌ^(١)
يُطيفُ على العانين بالعطفِ والرِّضا ويغمُرُ بالأغفاءِ رأسَ المفكرِ
وينتظمُ الدنيا هُدوءاً كأنها عوالمٌ في وادي المني لم تُصوّر
فلا صوتَ إلا خَفَقَةً من جوانحٍ كما خَفَقَتْ للضوءِ عينُ المِصوّرِ
ولم يبقَ من تلك الحياةِ وأهلها سوى طيفِها السَّاري بوادي التَّذكُّرِ

* * *

خبينةَ نفسي من عهدٍ سحيقةٍ ومن جوفِ آبادٍ مضتْ قبل مولدي!
أحسُّك في أغوارِ نفسي ولا أرى مُحياك إلا كالحِمالِ المُشرِّدِ
علمتُك حتى أنتِ منِّي بُضْعَةٌ جهلتك حتى أنتِ في غيرِ مَشهدِ
ويا طالما أخلفتِ لي كلَّ موعِدٍ ويا طالما ألقاكِ في غيرِ موعِدِ!
عجبتُ فكم من نَفرةٍ تَنفِّرُنيها على فَرطِ ما تُبدينه من تودُّدِ!
حديثك من نفسي قريبٌ؛ وإنما إخالُك في وادٍ من التَّيه سَرْمَدِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤

١- رنَّقها: كدَّرها.

خبيثةً نفسي، ما ترى أنتِ؟ إنني أريدك في جوٍّ من الضوء معلّم
 أعصرُك الإيمان والطهرُ أصله وإلا إلى الكفرانِ والرّجسِ مُنتم؟
 وفي أي وادٍ أنتِ تسرينِ خلسةً؟ ومن أي عهدٍ في الجهالاتِ مُبهم؟
 وكم فيك من نصرٍ، وكم من هزيمةٍ تجاوزتَا في حشدك المتزحّم
 وكم فيك من يأسٍ؛ وكم فيك مأملاً وكم من تردٍّ، أو وثوبٍ تقحّم
 وكم فيك من حُبٍّ، وكم فيك بغضةً ومن رُشدٍ إلهامٍ، إلى خبطٍ مُظلم

* * *

خبيثةً نفسي في ثناياك معرّضٌ لما لقيتهُ الأرضُ في الجوّالانِ
 وفيك من الآبادِ سرٌّ وروعةٌ وفيك صراعاتٌ بكلِّ زمانٍ^(١)
 وفيك التقى الإنسانُ من عهدِ خلقه وفيك التقى الرّوحِيّ والحيواني
 وإنك طلّسُمُ الحياةِ جميعها وصورتها الصغرى بكلِّ مكانٍ^(٢)
 أبيني إذن عن ذلك العالم الذي تضمّنته من صورةٍ ومعانٍ
 أبيني أطلعٍ في ثناياك ما مضى وما هو آتٍ من رؤى وأمانٍ

* * *

١- الآباد: مفردُها الأبد وهو الدهر .

٢- الطلّسُمُ: السرُّ الغامض.

الفطية*

مِنْ خِلَالِ الظُّلْمَاءِ فِي بَهْمَةِ اللَّيْلِ تَمَشَّتْ كَالْحَيَّةِ الرَّقْطَاءِ
تُوقِظُ الجِسْمَ والغزيرةَ بِالْهَمْسِ وتَطغى على الحِجَا والذِّكَاةِ
وَهِيَ من خَشْيَةِ الضَّمِيرِ تَوَارَى فِي زَوَايَا المِيُولِ والأَهْوَاءِ
فإِذَا شَعَّ مِنْ سَنَاهُ شِعَاعٌ أَرْجَفَتْ مِنْهُ، وانزوتُ فِي التَّوَاءِ
وَإِذَا حَيَّمِ الظُّلَامُ تَرَاءَتْ فِي احْتِرَاسٍ مِنْ أَعْيُنِ الرَّقَبَاءِ!

* * *

لِحِظَّةِ تَلِكِ ثُمَّ حَيَّمِ صَمْتٌ وَظُلَامٌ؛ فَمَا تَرَى مِنْ ضِيَاءِ
فَمَضَتْ تُضْرِمُ الغريزةَ نَاراً وَتُثِيرُ الشُّوَاظَ بَيْنَ الدَّمَاءِ
البِدَارِ البِدَارِ يَا أَيُّهَا الجِسْمُ — مُمْ شِفَاءً مِنَ الطَّوَى وَالظُّمَاءِ!^(١)

* * *

وتوارى (الإنسان) حين تبدى (حوان) ذو شرةٍ نكراءِ
وَإِذَا بِالْخَطِيئَةِ السَّوْءِ نَشَوَى بانتصارٍ، نالتهُ فِي الظُّلْمَاءِ!

* * *

* نشرت في نيسان (أبريل) عام ١٩٣٥
١ - البدار: الإسراع. الطوى والظماء: الجوع والعطش.

القطيع *

لَطَى الشَّمْسِ؟ أَمْ فَوَّارَةٌ مِنْ جَهَنَّمَ تَسِيلُ شَطَايَاهَا، وَتَصْحُحُ بِاللَّدَمِ
هو القَيْظُ قَدْ فَازَتْ يَنَابِيعُ وَقْدِهِ وَفَاضَتْ عَلَى الْأَرْضِينَ فِي كُلِّ مَجْتَمِعٍ
وَصَاقَ رُوقُ الظَّلِّ عَنْهَا وَأَرْسَلَتْ مِنَ الشَّمْسِ أَرْسَالَ إِلَى كُلِّ مُبْتَهَمٍ
فَمَالَ إِلَى الرَّاعِي الشَّطُوطِ قَطِيعَهُ يَبْتُ رَجَاءً فِي ثُغَاءٍ مُتَمْتِمٍ
وَنَاجَاهُ، وَيَحُ الظَّلَّ إِنْ نَحْنُ لَمْ نَمَلْ إِلَيْهِ، وَيَا بُؤْسَاهُ سَعِيًّا لِمَعْنَمِ!
عَيْنَا بِهَذَا الضَّرْبِ فِي كُلِّ حَرَّةٍ وَرَاءَ ذِمَاءٍ مِنْ شَرَابٍ وَمَطْعَمٍ^(١)
وَمَا أَنْتَ - لَوْ تَدْرِي - بِرَابِحِ صَفْقَةٍ وَلَا نُحْنُ؛ إِنَّا كَلْنَا ذَلِكَ الْعَمَى!
نَسِيرُ بِصَحْرَاءِ الْحَيَاةِ، وَلَا نَرَى سِوَى ظِلَّنَا، يَطْفَى عَلَى كُلِّ مَعْلَمٍ
يُسَخَّرُنَا مَنْ لَا نَرَاهُ، لِعَايَةِ يَرَاهَا، وَلَمْ نُؤْذَنْ بِهَا أَوْ نُفَهَّمْ!
فِي أَيُّهَا الرَّاعِي هَدُوءًا وَهَيْئَةً إِلَى الظَّلِّ نَرْتَعُ حُظَّةً أَوْ نُهَوِّمُ^(٢)
فَمَالَ بِهِ الرَّاعِي إِلَى ظِلِّ دَوْحَةٍ ظَلِيلٍ، وَعُشْبٍ نَابِتٍ قُرْبَ جَدُولٍ

* * *

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٣٥

١- الحرة: أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت ، ذمء: البقية.

٢- النهوم: النوم الخفيف.

تَنَاهَى إِلَيْهَا الطَّيْرُ مِنْ وَفْدِ اللَّظَى وَثَابَ إِلَيْهَا الظِّلُّ فِي غَيْرِ مَعْجَلٍ
وَأَلْقَى عِصَاهُ، ثُمَّ أَلْقَى بِجِسْمِهِ وَقَدْ ضَافَهُ بِالْأَيْنِ طَوْلُ التَّنْقَلِ^(١)
وَرَاغَ إِلَى الْمَاءِ الْقَطِيعُ كَأَنَّمَا تَدَهَّدَهُ جَرَفٌ مِنْ بَطِيحٍ مُزَلَّزِلٍ
يَعْبُ وَيَسْتَسْقِي بِشَوْقٍ وَلَهْفَةٍ وَيُقَعِّمُ رِيًّا مِنْ مُعَلٍّ وَمَنْهَلٍ
فَلَمَّا ارْتَوَى آوَى إِلَى الظِّلِّ مُجْهِدًا وَقَدْ خَلَّ فِي أَعْضَائِهِ كُلِّ مَفْصِلٍ
فَنَامَ عَلَى الْأَعْشَابِ، مَا إِنَّ تَرَى لَهُ رُؤُوسَ، فَقَدْ دُسَّتْ بِأَحْنَاءِ مَدْخَلِ
تَوَحَّدَ جِسْمُ الشَّاءِ كَالزَّرْدِ التَّقْتِ مَدَاخِلُهُ، وَأَنْسَابَ جَمِّ التَّسْلُسِلِ^(٢)
كَأَنَّ شَاءَ ذِيكَ الْقَطِيعِ تَوَحَّدًا فَأَغْفَلَ ذَاكَ الرَّأْسَ رَمَزَ التَّعْقِلِ
وَيَا طَالَمَا قَدْ فَرَّقَ النَّاسَ رَأْسُهُمْ وَمَا يَقْتَضِيهِ مِنْ طِمَاحٍ وَمَأْمَلِ

* * *

وَطَافَتْ عَلَى الرَّاعِي رُؤَى عَسْجَدِيَّةٍ وَجَالَتْ بِهِ الْأَحْلَامُ كُلَّ مَجَالِ
لَقَدْ هَبَطَ الْوَادِي فَالْقَاهُ جَنَّةً بِمَا فِيهِ مِنْ خَفْضٍ وَهَدَاةٍ بَالِ
وَمَاءٍ غَزِيرِ النَّبْعِ سَلْسَالٍ مَنْهَلِ يَحْفُفُ بِهِ عُشْبٌ وَفِيضُ ظِلَالِ
أَلَا إِنَّهُ هَذَا النِّعِيمُ ، وَإِنَّمَا هِيَ الْجَنَّةُ الْفَيْحَاءُ خَلَقَ خَيَالِ!
وَقَدْ غَادَرَ الْوَادِي إِلَى الْغَابِ، يَا لَهُ مِنَ الْخَوْفِ فِي هَوْلٍ بِهِ وَصِيَالِ^(٣)

١- الأين: الإعياء والتعب.

٢- الزرد: حلق الدرع، المراد أن الشاء في جمعها أو تكرورها كأنها مغطاة درع من حلق.

٣- الصيال: غالبه ونافسه.

يُزَجْر فِيهِ الْوَحْشُ مِنْ كُلِّ فَاتِكٍ قَدْ اخْتَلَطَتْ أَصْوَاتُهُ كَعَوَالِ
وَتَعْصِفُ فِيهِ الرِّيحُ، يَاهَوْلَ عَصْفِهَا زَيْبُ أَسْوَدٍ، أَوْ فحِيحُ صِلَالٍ^(١)
فَهَبَّ مَفِيقًا، يَسْتَبِينُ حَيَاتَهُ لِيُوقِنَ أَنْ لَمْ تَصْطَدْمِ بُوْبَالِ
فَأَلْفَى قَطِيعَ الشَّاءِ يَدْعُوُ فَصِيلَهُ إِلَى التَّدْيِ، فِي صَوْتِ يَجْلَجِلِ عَالِ
وَأَطْرَقَ يَسْتَوْحِي الرُّؤْيَى وَيَجْهَأُ الرُّؤْيَى إِلَى أَيْنَ قَدْ طَافَتْ بِهِ غَيْرَ عَالِمٍ؟
وَأَيْنَ مِنَ الْوَادِي خُطَاهُ؟ وَإِنَّمَا لَأَمَّا رَاجٍ أَوْ خِيَالَاتُ حَالِمٍ !
وَأَيْنَ هُوَ الْغَابُ الرَّعِيبُ؟ وَإِنَّهُ لِيَهْفُوَ إِلَى مَاضٍ سَحِيقِ الْمَعَالِمِ
لَأَعْيَاهُ تَأْوِيلَ الرُّؤْيَى، غَيْرَ أَنَّهُ يَحْسُ هَدُوءًا فِي ضَلَالِ الطَّلَاسِمِ
فَمَالَ عَلَى (أَرْغُولِهِ) يَسْتَجِيشُهُ خَوَاطِرَهُ بِالذِّكْرِيَّاتِ الْهُوَائِمِ
فَرَجَّعَ أَنْغَامًا مِنَ الْغَابِ وَزُنْهَا وَأَلْحَانًا نَسْمُ الرِّيَاضِ الْحَوَالِمِ
فَأَوْزَانُهَا ذِكْرَى، وَأَلْحَانُهَا مُنَى كَذَلِكَ يَشْدُو فِي الْوَرَى كُلُّ نَاعِمِ
وَقَدْ رَقَّتْ الْآصَالُ وَأَنْسَلَّتِ الصَّبَا وَصَاتَ مَعَ الْأَرْغُولِ صَوْتُ السَّوَائِمِ
فَكَانَ مَزَاجًا مِنْ جِهَالٍ وَوَحْشَةٍ وَلِذَاتِ مَوْهوبٍ وَآلَامِ غَارِمِ
وَعَشَى عَلَى الدُّنْيَا ظِلَامٌ فَهُوَ مَتَّ وَنَامَتْ كَطْفَلٍ فِي الْغِرَارَةِ هَائِمِ

* * *

١- الصَّلَاةُ: الحية من أحببت الحيات، والجمع: الصَّلَال.

على القمة*

نظرت إليها وهي شَمَاءٌ تذهبُ كما لآحَ في أفقِ السمواتِ كوكبُ
فأعجبنى منها السَّموقُ وهالتي تطاولها والريحُ تطغى وتَصخبُ^(١)
وطارَ خيالي فوقها ووراءها بصورٍ من أطيافها ما تغيَّبُ
عجائبُ لم تخُطرَ على البالِ مثلها ودُنيا من الأحلامِ تزهُو وتعجبُ
وقلت: سعيدٌ من تطاولَ كَفَّهُ ذراها وتسدري عينه ما تحجبُ
دلقتُ إليها، والخطأُ تسبقُ الخطأُ وفي النفسِ شوقٌ يَسْتَحِثُّ ويلهبُ
هو الشوقُ للمجهولِ يهْمِسُ طيفه وهفوَ رؤاه مغرياتٍ وتغرُبُ
هو الشوقُ للرُّقيا وفي الحَيِّ حافزٌ إليها فيرقى في الحياةِ ويعلبُ
دلقتُ فلم أنظُرْ إلى الخلفِ مرَّةً وهل ينظرُ العجَّلانُ ماذا يعقبُ؟
وما عاقني جهدٌ ولا وَقَعُ عُسْرَةٌ وأنستني الأشواقُ أنسى مُتعبُ
هنا القمَّةُ الشَمَاءُ يا حُسْنَه هنا! ويا حُسْنَ ما يدنو إلى النفسِ مَأْرَبُ
تأمَّلتُها فرحانَ أخفقُ نشوةً وأوشكُ أُغْذي سَناها وأشربُ
وقلت: هنا يا نفسُ أشرفِ بقعةٍ وأرحبِ أفقٍ في السماواتِ يرقُبُ
وإنك من فوقِ التلالِ طليقةٌ ولم يبقَ مسْتورٌ عليك مُغيَّبُ

١- نشرت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٧

٢- السموق: الارتفاع والعلو

فَقَرَىٰ هِنَا يَا نَفْسُ جَدَّ سَعِيدَةٍ فليس وراء الأفقِ يا نفسُ مَطْلَبٌ
وأغمضتُ عيني ساجحاً في خواطري وبي نَشْوَةٌ تطفو بنفسي وترسبُ
فما رَاعِنِي إِلَّا الزمانُ يُلْفِنِي إلى الضَّفَّةِ الأخرى كما لفَّ كوكبُ
إلى أينَ ؟ لا تعجلُ رويدك هينَةً فما هكذا تُطوى الأمانِي وتذهبُ
وما هكذا يُجزَى الذي جدَّ جدُّه إلى القمَّةِ الشَّمَاءِ، والقلبِ مُلهَبُ
وخلَّفَ في ناءٍ من السَّفْحِ زادَه وما عَزَّه في ذلك الوعرِ مَرَكِبُ
رويدك يا هذا الزمانُ فإني من الهوَّةِ الجرداءِ أَحشَى وأرهبُ
وإن لا يكنُ بُدٌّ من السيرِ فانطلقُ إلى الخلفِ إنِّي عاذِرٌ لك مُعتَبُ
تألَّفُته يوماً فإنَّ عُدتُ لم أعدُ إلى غربةٍ تحفو عليَّ وتكُفُ
ولكنه لم يُصغِ لي في ضراعتي وما زال يهوي بي ولا ينكُبُ
إلى الهوَّةِ الجرداءِ فالعمرُ مُجدِبُ إلى الهوَّةِ الجرداءِ فالدهرُ يَلْعَبُ

* * *

مصراع قصيدة*

أَحْسَنْتُ مَضْرَعَهَا بِنَفْسِي بَيْنَ التَّأْوِهِ والتَّأْسِي
وسمعت حشرة الجريح تئنُّ في أطواء حسي
هي من بنات الشعر لم تُولَد، ولم تُوأَدْ لَوَكْسِ^(١)
جاشت لفاتنة على الشُّطَّانِ ذاتِ رِضَاً وأنْسِ
نَضِجَتْ مَحَاسِنُهَا كَمَا نَضِجَتْ قَطُوفُ جَنِيِّ بَعْرِسِ
وحسبتها صينت على ال أنظار من قطفٍ ومِسِّ
فهممتُ أدعوها دعاءَ الفَنِّ في خَطَرَاتِ هَمِّسِ
شعراً يَسْجُلُ حَسَنَهَا للكونِ في أَحْنَاءِ طِرْسِ
وإذا الأيادي القاطفات تجول في عَبَثٍ وبخس!
يا ويل قُطَّافِ الجِمالِ بغيرِ ما وَرَعَ وَنَطَسِ^(٢)
بَيْنَا نَحُومُ عَلَيْهِ فِي تَقْوَى كَمَا نَزُنُو لِقُدْسِ!

* * *

وإذا التي جاشت بنفسي تُتَوَّى مُضْرَجَةً بِحَسِي!

* * *

* نشرت في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٣٨
١- الوركس: العيب والنقص.
٢- النطس: من نطس أي دقق النظر في الأمور واستقصاها.

وجوه طريفة*

طَالِعِيَنِي فِي كُلِّ يَوْمٍ بِوَجْهِهِ فَلَذِيكَ الْوَجْوهُ شَتَّى طَرِيفَهُ
وَأَفْجَيْنِي لَدِيكَ بِالْخَطْرِ الْمَحْبُوبِ يُجَدِّدُ حَيَاتِنَا الْمَأْلُوفَةَ
بِتُّ أَشْتَاقُهُ وَأَرْقُبُ مَاذَا يَحْمِلُ الْيَوْمُ مِنْ أَمَانٍ مَخُوفَهُ!
كُلُّ سَمْتٍ أَرَاكِ فِيهِ جَمِيلٌ كُلُّ ظِلٍّ أَرَاكِ فِيهِ شَفِيفَهُ
أَنْتِ مَا أَنْتِ؟ عَالَمٌ مُتْرَامٌ أَبْدَعَ الْفَنُّ وَالْمُنَى تَأْلِيفَهُ
أَنْتِ كُنُزٌ فَفِيكَ تَحِيًّا طُيُوفٌ كُلُّ طَيْفٍ لَهُ رُؤَاةُ الْمُطِيفَهُ
تَارَةً أَنْتِ حَرَّةٌ أَصْطَلِيهَا وَإِذَا أَنْتِ كَالرِّيَاضِ الْوَرِيفَهُ
وَتَلُوحِينَ قِطْعَةً مِنْ حَنَانٍ وَتَلُوحِينَ بَعْدَ حِينٍ مُخِيفَهُ!
وَأَرَى فِيكَ طِفْلَةً لَمْ تَبَارِحْ مَلْعَبَ الطِّفْلِةِ. اللَّعُوبِ الْخَفِيفَهُ
وَإِذَا أَنْتِ قَهْرْمَانَةٌ دَهْرٍ مُوَعِّلٍ فِي الْمَسَارِبِ الْمَلْفُوفَهُ^(١)
وَإِذَا مَا انْطَوَيْتِ أَمْسَيْتِ سِرًّا صَانَهُ الدَّهْرُ مُحْكِمًا تَغْلِيفَهُ
وَإِذَا مَا انْطَلَقْتِ مِثْلَ شُعَاعٍ كُنْتِ رَقْرَاقَةً وَكُنْتِ لَطِيفَهُ
لِكَ طَعْمٍ أَذُوقَهُ بِلِ طُعُومٍ كُلُّهَا نَاضِجٌ هَوَيْتُ قُطُوفَهُ
هُوَ طَعْمُ الْحَيَاةِ فِي قَوْرَةِ النَّضِجِ شَهِيٍّ الْجَنَى حَبِرْتُ صُنُوفَهُ

* * *

* نشرت في دار (مارس) عام ١٩٤٢

١- قهرمانة: مديرة البيت ومتولية شؤونه ويقال: المرأة رجحانة وليست بقهرمانة.

إلى الظلام*

إلى الظلام الأمين تحذري يا سفيني
 وجاني كل نور النور يؤدى جفوني
 لقد حطمت شراعي ومجدفي ويميني
 وهد عزمي موج يثور كالمجنون
 أخشاه أخشاه جهدي فحاذري يا سفيني!

طال الصراع وناءت نفسي بعبء السنين
 أريد وقفة أمن في مجهل مأمون
 أزيح فيه قليلاً عن عاتقي الموهون
 وأستريح رويداً من الصراع الحرون^(١)
 وقد أعاد سيري في اللج أزجى سفيني

إلى الظلام الأمين إلى ملاذ الشكون
 طال التيقظ حتى أعشى الشهاد عيوني^(٢)
 إلى المسارب فأمضي لأنزوي عن شجوني
 وعن رجائي ويأسي وكل ما يعنيني
 الانزواء مريح فأوغلي يا سفيني

* نشرت في ١٩٣٤

١- الحرون: المنتمرد والمراد: الصراع المرير.

٢- أعشاهها: أضعفها.

قافلة الرقيق*

قِفْ بنا يا حاديِ العمرُها لَحْظَةً تَنْظُرُ ماذا حوّلنا
في طَريقٍ قَدْ نَثَرْنَا عُمْرَنا فيه أَشْلاءَ حِياةٍ ومُنى

* * *

قد نَثَرْنَاها على طَولِ الطَريقِ ومَضيْنا ضَمِنَ قُطْعانِ الرِّقيقِ!
مَوْكِبٌ يَعْطُو إلى الشَّطِّ السَّحيقِ مُعْمَضِ العَينِ يَسْرِي مَوْهِنًا^(١)

* * *

من ظلامِ الغَيبِ تَخْطُو قَدَمَها لظلامِ الغَيبِ تَنْساقُ خُطاهِ
في طَريقٍ غامِضٍ يُدعى الحِياهِ يَهْتَفُ الحاديِ فيمُضِي مُدْعِنًا

* * *

لَهْفَةً لو عُدْتُ أَرْعى خُطواتي في طَريقٍ دَرَجْتُ فيه حِياتي
فَتَطَلَّعْتُ إلى هذا الشَّتاتِ وأنا في الكَرَّةِ الأخرى أنا!

* * *

لَتَمَلَّيْتُ شِياتي وَسِماتي وَأمانِي وَيأسي وَرَجاتي^(٢)
وَحَمَقاتي ورُشدي وهناتي والهوى الحاني الذي ظللنا

* نشرت في عام ١٩٤٦

١- الموهن: نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه. والمراد ليلاً.

٢- شياتي: مفردها الشبة. العلامة.

* * *

كَلِّهَا عَاهَدْتُ أَنْ أَقْضِيَ عُمْرِي وَأَنَا أَخْلَصُهَا سِرِّي وَجَهْرِي
وَإِذَا السَّوْطُ هَوَى يُلْهَبُ ظَهْرِي حَيْثُ لَا اسْتَطِيعُ رَيْثًا أَوْ وِي^(١)

* * *

وَإِذَا الْأَمَالُ وَالْآلَامُ خَلَفِي سَاخِرَاتٌ مِنْ مَوَاعِيدِي وَخُلْفِي
مُلَقِيَاتٌ بَيْنَ إِهْمَالٍ مُسِفٍّ لَمْ أُوَدِّعْهَا. فِيهَا وَاحْزَنَّا^(٢)

* * *

أَيُّهَا الْحَادِي أَلَا فَا مِضْ بِنَا قَدْ أَثَارَتْ ذِكْرِيَايَ الشَّجَنَا
لَمْ نَعُدْ نَجْزِعُ لَوْ تَحَدُّوْ لَنَا: «نَحْنُ لَا نَرْجِعُ يَوْمًا هَاهُنَا»

* * *

١- الريث: التمهّل ، الوي: الضعف. ٢- المُسِفِّ: من أسفَّ إذا دنا إلى الطريق.

في مفرق الطريق *

بين نفسين من النفوس الكثيرة التي تعيش في الإنسان الواحد متفرقة في بعض الأحيان. دار هذا الحوار... فأما إحداهما فتتعلق بماضٍ عزيز لا رجعة له ولا أمل فيه، وأما الأخرى فتتزعج إلى العزاء بالتطلع إلى جديد:

أَنْتَ أَوْغَلْتَ فِي الظَّلامِ طويلاً فمتى يا رفيقُ تبغى العقولاً؟
شَدَّ ما آدَنَّا التَّخَبُّطُ فِي اللَّيْلِ وَخَفْنَا ظلامَه المدخولاً!^(١)
ورأينا الأوهام تبدو شخوصاً ورأينا الشخوص تبدو هيولى^(٢)
وَخَبَرْنَا فلم يُفِدْنَا اختبارٌ وَسَخَرْنَا مِمَّا خَبَرْنَا طويلاً
يا رفيقي. إذا قَدَرْتَ فأؤبِّبْ إن هذا الظلام يُضني العقولاً

* * *

أنا أخشى الضياء أبصر فيها ذكرياتي تبدلت تبديلاً
أنا أخشى النهار يكشف عني كلَّ وَهْمٍ أُرودُه تعليلاً
أنا يا صاحبي أضحُّ بوجهي أنا أرى عهدنا تَرَدَّى قتيلاً
أنا يا صاحبي أدافع عقلي أن يَرُودَ اليقينَ جهماً ثَقِيلاً
الظَّلامُ الظَّلامُ أروحُ للقلبِ ولو كان لا يُريحُ العقولاً!

* * *

* نشرت في آب (أغسطس) عام ١٩٤١

١ - آدنا: أتعنا وأهرقنا.

١ - الهَيْلى: مادة ليس لها شكل ولا صورة معينة، قابلة للتشكيل والتصوير في شتى الصور.

يَا رَفِيقُ. الْحَيَاةُ أَسْمَى وَأَعْلَى أَنْ تُقْضَى كَذَاكَ وَهَمًّا ضَنْيلاً
يَا رَفِيقُ. الْحَيَاةُ أَقْصَرُ عَهْداً أَنْ تُضْحَى سَاعَتَهَا تَخِيلاً
أَبُ مِنَ الظُّلْمَةِ الْحَبِيبَةِ وَاهْجُرْ كُلَّ مَا كَانَ فِي الْحَيَاةِ الْأُولَى
وَتَطَّلِعْ إِلَى جَمَالِ جَدِيدٍ أَفَلَمْ تَلْقَ فِي الْحَيَاةِ جَمِيلاً؟
عِشْ بِمَا قَدْ وَهَبْتَهُ مِنْ حَيَاةٍ مُسْتَثَارَ الْإِحْسَاسِ نَهَمًا عَجُولًا
* * *

آه يَا صَاحِبِي أَتَجْهَلُ أَنِّي أَفْقِدُ الدَّارَ إِنْ فَقَدْتُ الطُّلُولَ
ذَاكَ عَهْدًا أَنْفَقْتُ فِيهِ رَصِيدِي كُلَّهُ لَمْ أَبْقِ مِنْهُ قَلِيلاً
أَتُرَانِي أُجَدِّدُ الذُّخْرَ وَالْعُمَمَ رُمُولَ وَالْجَهْدُ أَمْسَى هَزِيلاً؟
أَنَا بَاقٍ هُنَا إِنْ شِئْتَ دَعْنِي وَرُدِّ الْكَوْنَ حَافِلاً مَأْهُولًا
أَنَا بَاقٍ هُنَا أَرُودُ طُلُوبِي لَمْ أَعُدْ بَعْدُ أَسْتَطِيبُ الْقُفُولَا!
* * *

أقدام ضي الرمال *

نحن؟ أم تلك على الأرضِ ظلال؟ وخيالٍ سارِبٍ إثر خيالٍ
في مناهاتِ وجودٍ لزوالٍ كبقايا الخطو في وجه الرمالِ
زُمُرٌ تَدَلِّفُ في إثرِ زَمَرٍ وَيَحِ نفسِي ! إنه ركبُ البشرِ
مغمضُ العَيْنَيْنِ في كَفِّ القَدَرِ * * * كَلِّمَا أَوْغَلَ في التَّيِّهِ ائْتَدَّرُ

أين رأسُ الركبِ أم أيَّانَ سَارَا؟ ما أرى في إثرِهِ حتَّى عُبارًا
ما أرى قبراً وما أُبْصِرُ دَارًا ضَلَّةً لي! ذاكَ ظِلٌّ وتَوَارِي^(١)
* * *

مِنْ ظلامِ الغيبِ في التَّيِّهِ البعيدِ لظلامِ الغيبِ في التَّيِّهِ المديدِ
وَمَضَّةٌ كالبرقِ تجتازُ الوجودَ وَيُسَمِّيها بنو الأرضِ الخُلُودَ!
* * *

حُدُعةٌ راقِئتٌ لأبناءِ الفناءِ حينما أعيَا على الأرضِ البقاءُ
المساكينُ هَبَاءٌ في فضاءِ رَحْمَةٍ للدرِّ في مَسْرَى الهواءِ!
* * *

* نشرت عام ١٩٤٦
١ - الضَّلَّةُ: الحيرة

ما أرى الأرضَ تحسُّ الوافدين أو أرى الأرضَ تحسُّ الراحلين
كلُّ ما كان وما سوف يكونُ نائمةً تهجسُ في جوفِ السكونِ

* * *

خطواتٌ ذاهباتٌ في الرَّمالِ وخيالاتٌ تراءتُ لخيالِ
وشخوصٌ تتوارى كظلالٍ للزوالِ... كلُّ شيءٍ للزوالِ!

فدعة الفلود *

لا أَنْتِ سَأَلِمِ الزَّمَانَ وَلَا أَنَا لا أَنْتِ دَاعِيَةٌ وَلَا أَنَا مُسْتَجِيبٌ
هَذَا مِيَّاسِمُهُ عَلَى قَسَمَاتِنَا قَرَّرْتُ أَمَانِنَا عَلَى الْأُفُقِ الْقَرِيبِ
وَدَيْبِيهِ يَنْسَابُ فِي خَطَرَاتِنَا وَيَكْشِفُ الْوَهْمَ الْمُغْلَغَلَ فِي الْغُيُوبِ
وَيَدَاهُ تَنْسَلُ مِنْ خِيُوطِ حَيَاتِنَا وَبَدَوْتُ عَارِيَّةً مِنَ الْأَلْقِ الْعَجِيبِ
وَيَدُ الْبَلْبَى تَطْوِي الرِّغَائِبَ وَالْمَنَى وَبَدَوْتُ عَادِيَّةً الْمَحَاسِنِ وَالْغُيُوبِ!

* * *

مَا الْفَجْرُ؟ مَا الْأَحْلَامُ؟ مَا الشُّوقُ الدَّفِينُ أَلْفَاكَ كَالذِّكْرِ تَمَرُّ بِخَاطِرِ
مَا نَشْوَةُ الذِّكْرَاتِ؟ مَا حَرَقُ الْحَيْنِ؟ كَالْخَطَرَةِ الْوَسْنَى بِفِكْرَةِ شَاعِرٍ^(١)
مَا وَهْلَةُ الْغَيْبِ الْمَوْشِحِ بِالْفَتُونِ؟ كَالرَّسْمِ يَبْهَتْ لَا يَبِينُ لِنَاطِرِ
مَا اللَّهْفَةُ الْكَبْرَى تُرَاوِدُ فِي جَنُونِ؟ كَبْصِصِ نَارِ فِي الرَّمَادِ الْفَاتِرِ
مَرَّتْ عَلَيْهَا كُلُّهَا كَفُّ السِّنِينَ! وَيَحْيِي وَوَيْحُكَ نَحْنُ ذِكْرَى عَابِرِ!

* * *

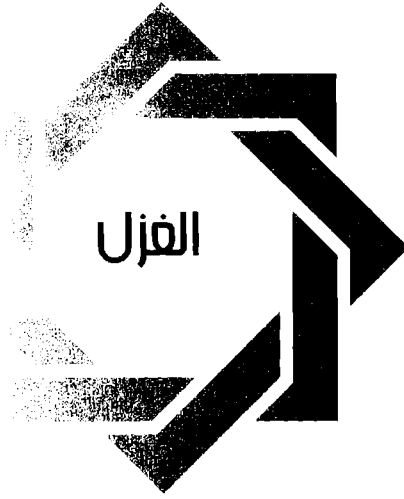
خَطَوْتُكَ النَّشْوَى الَّتِي كَادَتْ تَطِيرُ وَيَحْيِي وَوَيْحُكَ مَا الْحَيَاةُ وَمَا الْخُلُودُ؟
وَتَوَفَّرُ النَّظَرَاتِ فِي أَلْقِ مُثِيرِ خُدَعٌ تُهْدِدُنَا بِهَا الْأُمُّ الْوَلُودُ
وَتَوَثُّبُ اللَّفَاتِ فِي لَهْفِ حَرُورِ وَيَدُ الْبَلْبَى تَطْوِي الْقَدِيمَ عَلَى الْجَدِيدِ
وَتَقْلَبُ الرِّغَابَاتِ فِي قَلْقِ غَرِيرِ وَالذَّهْرُ مَاضٍ لَا يَكَلُّ وَلَا يَحِيدُ^(٢)
وَيَحْيِي وَوَيْحُكَ قَدْ تَعَارَوْهَا الْفُتُورُ وَالنَّاسُ وَالْأَيَّامُ وَالذُّنْيَا عَيْدُ

* * *

* نشرت عام ١٩٤٨

١- الوسنى: الناعسة.

٢- الغرير: الساذج، عدم الخبرة.



هي أنتِ التي خُلِقَتْ لِنَحْيَا

في ظلالٍ من الوفاء الرَّشيدِ

كحياة الأرواح تُضْفِي حناناً

وهي تهفو في ظلِّها الممدودِ

ليلة؟!

يا ليلة الأَمْسِ والليلاَتُ ذَاهِبَةٌ كغَمْضَةِ العَيْنِ في أضغَاثِ أَحلامِ
يَرَعَاكَ مَنْ وَهَبَ الإنسانَ عَاطِفَةً تَجيشُ بِالحبِّ عَن وَحْيِ وإِهَامِ
يَرَعَاكَ مَنْ خَلَقَ الأرواحَ شاعِرَةً دَقيقَةَ الحَسِّ في رِفَقِ وإِحكامِ
لأنتِ أقصرُ ليلاتي وأخلدُها وَأنتِ أَزهرُ سَاعاتي وَأيامي
في ظِلِّ طيفِ من الإِخلاصِ بِسَامِ حَفَّ النسيمِ بِغُصنِ الدُّوْحَةِ النَّامي
وَرُوحٍ من الحبِّ خَفَاقٌ يَحْفُ بنا لحنَ الطِيبَةِ ذاتِ المنطقِ السَّامي
ويُنشِدُ الحبُّ أنغاماً يُلحَنُها ما أبدعَ الليلَ في شَدْوِ وَأَنغامِ
بالليلِ يَتَلو على الأَكوانِ آيتَه * * *

يا ليلة الأَمْسِ هَلا أنتِ عانِدَةٌ إلى الزمانِ فَأنسى كلَّ آلامي
إنِّي لألمحُ طيفاً مِنْكَ يُؤنِّسني في وَحْشَتِي بينَ أيقاظِ ونُوامِ
ذَكَراكِ باقيةً مَهَمًا يَطلُّ زَمَني فَأنتِ زهرةُ أيامي وأعوامي
فيكَ أوَّلُ آمالي وأخرها وَأنتِ مَنبَعُ إِمدادِي وإِهَامِي * * *

نظرة مومشة *

أهو حظي منك تلك النظرات
وكيالات تراءى في سبات
أكذا تمضي بقيات الحياة
آه . ما أشجى وما آلم . آه
أين ساعات مضت قبل الفراق
هكذا الدنيا اجتماع وافتراق
شد ما ألقاه في هذا النوى
شد ما تستشعر النفس الجوى
ليتني أدري - وإن لم يُشفي -
رب إحساس أليم شفني
آلم الإحساس إحساس دفين
لم يجد لفظاً فأداه الأنين
أترى آلم للقلب الكليم
وانطوى يغمره يأس عقيم
أترى أو حش من دير كئيب
كلمات جادت بمرآك الصدق؟
مذكيات ما بنفسي من شعف؟
ليت شعري وكذا يقضي العمر؟
إن يكن هذا فما أقسى القدر!
ملؤها العطف وريها الوفاء؟^(١)
وهي آهات وذكرى وشقاء!
من عذاب ينكأ القلب أليم^(٢)
فتلظى في شعور كالجحيم
كيف أبدي ما بنفسي من ألم!
لم أصوره بلفظ فاضطرم^(٣)
وشعور في فؤاد يشتجر
ودموع ساكات تنهمر
من رجاء كان يزهو فخبأ؟
ترك القلب قفاراً مجدبا؟
في فلاة لا يداينها البشر

* نشرت في نيسان (إبريل) عام ١٩٢٩

١- رايها الوفاء: ملؤها الوفاء.

٢- ينكأ: يفتح الجرح من جديد.

٣- شفني: أنحلني، أذهب عقلي.

وتكادُ الرِّيحُ تحميه الهبوبَ دَقَ نَاقوسٌ به عندَ السَّحَرِ؟
ذَاكَ قَلْبِي بعدَ فُقُودِ الأملِ مُوحِشٌ يَطْرُقُه صوتُ سَحِيقِ
تبعثُ الذكْرَى صَدَاهُ إِذْ تُطَلُّ مُشْجِياً يُوغِلُ في الصَّمْتِ العميقِ
ما الذي كَانَ وماذَا سَيَكُونُ؟ لستُ أدْرِي مَا جَوَابِي، لا جَوَابُ!
لِيتَنِي أدْرِي خَيِّبَاتِ السنينِ إنْ فِرَاقاً أو يَكُنْ بعدُ اقْتِرَابُ
إيه يا مِلاءَ فُرَادِي ومُنَاهُ إيه يا رَمزَ الأمانِ والأملِ
يا نَسِماً ضَمَّ أنفَاسَ الحِياةِ نَفْحَةً تُهْدِي إلى مَيِّتِ أَجَلِ
أنا إِذْ ألقَاكَ عَفْواً لا أَحسُّ فيكَ جِسمًا كَبَقِيَاتِ الجُسُومِ
إنما ألقَاكَ طِيفاً لا يَحسُّ طانِفاً يَهْفُو كما يَهْفُو النَّسِيمِ
في خَيَالِي أنتَ أنْقِي وأرُقُّ أنتَ رُوحٌ فيه أو طِيفٌ مَلَكُ
بِجَنَاحِهِ تَراءى فحَفِقَ بِسِنَاءِ هَادِي يُغْرِي الحَلَكُ
أفلا لُقِيا بِتَغْرِ بِاسمِ؟ أفلا قَلْبٌ أَناجِيهِ سَمِيعُ؟
أفلا شَكوى فُؤادِ هائِمِ؟ أفلا نَجوى بِصَمْتِ وَخُشُوعِ؟
«بِحَيَاتِي أَفُنْدِي هذا اللِقَاءُ» وَأمانِيَّ وما ضَمَّتْ يَدَايِ
وَبِنَفْسِي لو دَنَا عهدُ الرِّضاءِ فَمَحا بُؤْسِي وأوَدَى بِجَوَايِ
وأوى قَلْبِي في بُرْدِ الوَفاءِ مثلَ ما كانا شَقِيقِي مَوْلِدِ
لِيتَ. لَكن «لِيتَ» لا تُدْني رِجاءَ فَلأُمْتُ أو أَبقَ حِلْفَ الكَمَدِ

طيفاً!!*

هو هذا أنت يا طيف؟ فأهلاً مرحباً يا طيف من أهوى وسهلاً

* * *

هَوِّمَ النَّوْمُ وَأَزْحَى رِيشَهُ وَاحْتَوَانِي بِجَنَاحٍ قَدْ تَدَلَّى
وَانزَوَى الْعَالَمَ عَنِّي وَخَبَّتْ ضَجَّةُ الْكُونِ وَمَا فِيهِ وَوَلَّى
هَاهُنَا فِي النَّوْمِ أَلْقَى عَالِماً هَادِئاً رَجَباً وَبَسَاماً مُظْلاً
وَتَرَاءَى الطَّيْفُ سَمِحاً رَاضِياً بِاسْمٍ كَالْأَمَلِ الْحُلُوِّ وَأَحْلَى
هُوَ هَذَا أَنْتَ يَا طَيْفٌ؟ فَأَهْلاً مَرْحَباً يَا طَيْفَ مَنْ أَهْوَى وَسَهْلاً

* * *

أَدُنْ مِنِّي فَاسْتَمِعْ لِحْنِ فُوَادِي إِنَّهُ لِحْنٌ يُغَيِّبُهُ بَدِيعٌ

* * *

إِنَّهُ عَنَوَانٌ حُبٌّ وَوَدَادٌ وَهَيَامٌ بَيْنَ أَحْنَاءِ الصُّلُوعِ^(١)
إِنَّهُ أَنْشُودَتِي أَخْلُو إِلَيْهَا بَيْنَ صَمْتٍ وَهَيَامٍ وَخُشُوعٍ
إِنَّهُ لِحْنٌ أَعْيَبَهُ وَقَلْبِي خَافِقٌ وَالْعَيْنُ تَهْمِي بِالْذَّمُوعِ^(٢)
أَدُنْ مِنِّي فَاسْتَمِعْ لِحْنِ فُوَادِي إِنَّهُ لِحْنٌ يُغَيِّبُهُ بَدِيعٌ

* * *

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٢٩

١- أحناء: الأضلاع

هَآك قَلْبِي فَتَسْمَعُ خَفَقَاتِهِ فَهُوَ قَلْبٌ مُسْتَتَارٌ الْخَفَقَاتِ

بَلِّ الْوَجْدَ وَهَدِي زَفْرَاتِهِ فَهُوَ قَلْبٌ صَيَّقٌ بِالزَّفْرَاتِ
أَنْتَ يَا طَيْفُ الَّذِي يَرْجُو فُؤَادِي بَعْدَ مَا قَدْ ضَاقَ ذَرْعًا بِالشَّكَاةِ
هَآك قَلْبِي فَتَسْمَعُ خَفَقَاتِهِ فَهُوَ قَلْبٌ مُسْتَتَارٌ الْخَفَقَاتِ

أَنْتَ يَا طَيْفُ وَيَا رِيَّا حَبِيبي أَنْتَ رُوحٌ أَوْ رَمَزُ السَّلَامِ

لَكَ مِنِّي كُلُّ مَعْنَى قُدْسِي يَهْمِسُ الْحُبُّ بِهِ بَيْنَ الْأَنَامِ
أَنْتَ يَا طَيْفُ وَيَا رِيَّا حَبِيبي أَنْتَ رُوحٌ الْحُبِّ أَوْ رَمَزُ السَّلَامِ

صوت؟!*

تُذَكِّرُنِي الْمَاضِي فَآسَى لِدُكْرِهِ وَتُوقِظُ أَشْجَانِي وَقَدْ كُنْتُ نَاسِيَا
وَتُلْهِبُ إِحْسَاسِي بِأَنْعَامِكَ الَّتِي تَحَدَّثُ عَن قَلْبِي إِذَا أَنَّنَا بَاكِيَا
حَنَانِكَ هَذَا الْقَلْبُ قَدْ آدَهَ الْأَسَى فَخَلَفَهُ نِضْوًا مِّنَ الْهَمِّ وَاهِيَا^(١)
تُهَيِّجُ بِهِ الْأَنْعَامَ آلامَهُ الَّتِي تَحْمَلُهَا لَمْ يَشْكُ لِلنَّاسِ ثِقَلَهَا
وَقَدْ كَانَ مَعْدُورًا لَوْ آلتَا عَ شَاكِيَا * * *

تُذَكِّرُنِي حُبًّا قَدِيمًا دَفَنْتُهُ وَنَفَضْتُ كَفِّي يَأْتِسًا مِنْهُ آسِيَا
وَرَحْتُ أَوَارِي كُلِّ آثَارِهِ الَّتِي تَرَأَى فِتْدَكِي الشَّجْوَى لَوْ بَاتَ خَابِيَا
بَعَثْتُ بِهِ حَيًّا يَطِلُّ وَيَنْزَوِي وَيَفْتَحُ أَجْفَانًا مَرِاضًا سَوَاهِيَا
يُجْرَجِرُ أَكْفَانًا مِّنَ الْقَلْبِ صُغْتَهَا تَمْزُقُ أَشْتَاتًا وَتَبْدُو بَوَالِيَا
هُوَ الْيَوْمَ ذِكْرِي لَا تُرْجَى حَيَاتُهُ فَلَ هُوَ مَعْدُومًا وَلَا هُوَ بَاقِيَا
هُوَ الْيَوْمَ آلامٌ وَقَدْ كَانَ مُتَعَةً وَرُوحًا وَرِيحَانًا وَطَيْفًا مُنَاغِيَا * * *

تَرَدَّدَ هَذَا اللَّحْنُ فِي النَّفْسِ قَبْلَمَا بَعَثْتُ بِهِ صَوْتًا مِّنَ الثَّغْرِ شَاجِيَا
وَجَاشَ بِهِ صَدْرُ الْحَيَاةِ فَرَجَعْتُ أَغَارِيدَهُ كَالثُّوْحِ أَسْوَانَ دَاوِيَا
وَحَدَّثْنَا عَمَّا أَكُنْتَ نَفُوسُنَا فَأَيْقَظَتْ فِيهَا كُلَّ مَا كَانَ سَاهِيَا^(٢)
تَحَدَّثْتَ إِذْنُ نَصَبْتَ وَإِنْ تَارَ شَجُونَا وَنُمْسِكَ أَكْبَادًا تَزِي دَوَامِيَا * * *

* نشرت عام ١٩٣٠، والمراد بالصوت: محمد بجيت.

١- آده: أتعبه وأرهقه، النضو: الهزيل.

٢- أكنت: أخفت.

هي أنت *

هي أنت التي خَلَقْتَ لِنَحْيَا في ظلالِ مِنَ الوفاءِ الرشيدِ؟
كحياةِ الأرواحِ تُضْفِي حناناً وهي تَهْفُو في ظلِّها الممدودِ؟
حيثما الحبُّ طائفٌ يترأى كالملاكِ المهوِّمِ المكْدودِ
حانِي العِطْفِ إِذ يَضُمُّ عَلَيْنَا ضَمَّةَ الأُمِّ رَحْمَةً بالوليدِ
فإذا الكونُ والحياةُ جمالٌ وإذا العيشُ فُسْحَةً في الخلودِ؟

* * *

هي أنتِ التي أطافتُ بنفسِي وتراءتُ في خَاطِرِي من بعيدِ؟
حينما كنتُ هائماً أتلقى أغنياتِ الآمالِ شَتَّى النشيدِ؟
في ظلالِ من الأمانِ تَتَرى بين واديِ التعلَّةِ المعهودِ!^(١)
إذ تراءيتِ هالَةً من رجاءِ هادئٍ لِيَن رَفِيقٍ وَئيدِ^(٢)
ثم دَانَيْتِ في دَلالٍ وديعٍ ثم باعدتِ في دلالٍ شُرودِ؟

* * *

هي أنتِ التي تلاقيتِ رُوحاً مع رُوحِي فَهَامَتَا في الوجودِ؟
هي أنتِ التي تُحَدِّثُ عنها خَطْرَاتِي، في يَقطِتي وهَجُودي؟

* نشرت عام ١٩٣٠

١- التعلَّة: ما يُتعلل به.

٢- وئيد: متمهل.

إِنْ تُكُونِي! إِذْنُ فَهَآكِ فُؤَادِي كَلَّهُ خَالِصًا نَقِيَّ الْعَهْودِ
وَتَعَالَى نَبْغِ الْحَيَاةِ جِهَادًا عِبْقَرِيَّ التَّصْوِيبِ وَالتَّصْعِيدِ!
شَجَّعِينِي عَلَى الْجِهَادِ طَوِيلًا فَجِهَادُ الْحَيَاةِ جَدُّ شَدِيدِ
أَشْعِرِينِي بِأَنْ قَلْبًا نَقِيًّا يَرْتَجِي سَاعِدِي وَيَهْوِي وُجُودِي
ثُمَّ سِيرِي مَعِي نَخْطُ طَرِيقًا كَمَهَادٍ فِي الصَّخْرَةِ الْجُلْمُودِ
نَظْرَةً مِنْكَ وَابْتِسَامَةً حُبِّ تَتْرَكُ الصَّعْبَ لِيْنَا كَالْمُهْودِ
لَكَ مِنْي عَوَاطِفِي وَعُهُودِي لَكَ مِنْي رَعَايَتِي وَجُهُودِي

* * *

أملك *

أحبك كالآمالِ إذ أنتِ مثلها تُدكين في نفسي أعزّ مواهي^(١)
وماهي إلا نظرة شاعرية تعبّر عما شئتُه من رغائب
فتسري إلى نفسي مضاءً وجرأةً ووثبة حساس. وعزومة رغب
وروحاً ذكّي الفرح يسري كأنه نشيد ملاك هائم متقارب
يعيد إلى المكثود راحة نفسه ويعثه خلقاً جديداً المطالب

* * *

أحبك من قلبي الذي أنت ملؤه ومن كل إحساسٍ بنفسي ذائب
فؤادي الذي فتحت فيه مشاعراً من الحب والإحساس شتى المذاهب
سموتُ به حتى تكشف دونه عوالم أقرى تائهات الجوانب
عوالم لاتعد ولقلبٍ منصّب بلا ذلك القلب الرفيق المصاحب
بها كل لذات الحياة ودونها * لئانذُ أخرى كاذبات العواقب
أحبك إذ ترجين من رعاية وتهوين ساعات الحياة بجاني
هنالك نسّمو بالحياة فنرتقي إلى كنف بين السموات صارب
هنالك نحيا والأمان حوّلنا تُغرّد الحان المني والرغائب

* * *

* نشرت عام ١٩٣٠
١- تُدكين: من ذكت النار: اشتدد لهيها

توارد فواظرا*

حَطَرَ ببال الشاعر اسمٌ مُعين، ثم نَظَرَ فجأةً ؛ فإذا بصاحِبَةِ هذا الاسم
تنظُرُ إليه وتحييه...!

أفأنتِ ذي ؟ أم ذاك طيفٌ منامٍ؟ إني أراكِ كطائفِ الأحلامِ !
لما حَطَرْتِ وقد سَمَوْتُ بخاطري ألفتُ شَخْصَكَ كالملاكِ أمامي
فَدَهَشْتُ أو فارتعتُ أو فَضَرَمْتُ حَفَقَاتِ قَلْبِي المَتَشِي البَسَامِ
عجباً! أكنتِ هُنا فأومَضَ خاطري بك؟ أم سریت على جناحِ غرامي
إني لأُومِنُ بالغرامِ وإنه * * * يقوي على مُتَعَذِّرِ الأوهامِ!

ماذا صنعتِ بعالمِي وخواطِري لَمَّا لَقَيْتِكَ كالحِيَالِ السَّامِي؟
أفأنتِ سَاحِرَةٌ تُصَوِّغُ من الدُّجَى نوراً، وتبعثُ في الحياةِ حُطَامِي؟
وتُحِيلُ صُمَّ القافراتِ نوابضاً بالزهرِ ، والآمالِ والإلهامِ؟! ^(١)
وتُجَمِّلُ الدُّنْيَا وتخلُقُ عالماً للخُلدِ فيه مدارِجُ ومَسَامِ؟
اللهُ ! . أو فالحُبُّ . فهو ظلالُهُ في عالمِ الأوهامِ و الأُفهامِ !

* * *

* نشرت عام ١٩٣٣

١- صم القافرات: الأرض الصماء المحدبة.

يا اللقاء! فكيف قد حَجَّيته عن نفسٍ منهوومِ العواطفِ ظامٍ؟
هو هذه الدنيا وعالمٌ سحرها؟ هو ذلك النبعُ الجميلُ الطامي؟^(١)
حَجَّيته عني، فأسفرَ بعتةً بيدِ تجيء بِمُعْجِزِ الأيامِ!
الحُبُّ؛ يا للحبِّ! يَرْتَجِلُ المني من غيرِ تدبيرٍ وغيرِ نظامٍ!
إني وَتَقْتُ به وما هو باخلٌ بكِ يا سعادُ بيقظتي وَمَنامي

* * *

مكتبة سوره الأريكة
www.books4all.net

١- الطامي: من طما الماء: ارتفع وملاً النهر.

عينان*

هما عينان لم يدر الشاعر مدى نظرتهما، وتصور أنهما تستطيع احتراق الحجب والأستار، وعجب أي مدى يستنفذ طاقة هذه النظرة حتى ما وراء الكون، وهذه الطاقة في تصوره لا يستنفذها بعدد من الأبعاد فتساءل:

إلى أي سرِّ بلِّ إلى أيِّ طلسمٍ توجَّه من عينك شعاعُ ملهمٍ ؟
إلى مخبأ الأَسرارِ في نفيسِ كاهنٍ تُحجِّبها أستارُ دُجوانٍ مُظلمٍ^(١)
إلى الغابرِ الماضي الذي ضاعَ رَسْمُه وغيَّبه النَّسيانُ في تيهِ عَيْلِمٍ^(٢)
إلى القابلِ الآتي السذي نَدَّ طيفُه عن الوهمِ بل ضلَّته رُؤيا المنجَمِ
إلى حيثُما الأقدارُ تمضي أمورُها على خفيَّةٍ من وهمه المتوهمِ
إلى ماوراءِ الكونِ والعالمِ الذي تُحيطُ به رُؤيا السُّحيرِ المنومِ

* * *

لأَحْسَسْتُ فيها رعدةً^٣ إذ توجَّهتُ ودبَّ لها قلبي وأنكرها دمي
وأحسبُها قد جاوزتُ في عبورها عوالمَ لم تُخلقْ ولم تتوهمِ

* * *

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٣٤

١- دجوان مظلم: المراد تامة الظلمة من دجا بدجو: تم وكمل.

٢- عيلم: بحر.

مدثيني *

رأى الشاعر سحابة من الأسي على جبينها لا يعلم لها سبباً:

حدثني بمستثار شجونك واكشفي لي عما اختفى من شؤونك
حدثني بما تكنين إني أنا أولى بعبه من دونك
أنا أقوى على الحياة إذا عشت حياتي مُزوداً من يقينك
ولقد عشت للمآسي إلى أن قد عرفت السُرور من تلقينك
ولقد عشت للبكاء إلى أن قد سمعت الغناء في تلحينك
ولقد عشت للظلام إلى أن قد لمحت الضياء بين عيونك
* * *

حدثني عن سرها نظرات أو دموع تجول بين جفونك
حدثني عن الأسي يتراءى كأسيف الرجاء فوق جبينك^(١)
أو تعالي لذلك الكنف الحاني عليك وازكني لسكونك
هو أحنى عليك من قلبها الأم وأدري من قلبها بجبينك
فاغمري في عبابه الترامي ما مصى عنك أو أتى من شجونك
وأبعثها ابتساماً وحياءً ملؤها السحر والهوى من فتونك
* * *

* نشرت في آب (أغسطس) ١٩٣٤

١- كأسيف: رقيق القلب.

فصام *

تَخَاصَمْنَا. تَخَاصَمْنَا ! كَذَلِكَ يَعِثُ الْحُبُّ !
أَلَيْسَ الطِّفْلُ إِذِ تَنَزَّوْ قُورَاهُ يَهُمُّ أَوْ يَكْبُرُ؟^(١)
أَلَيْسَ يُحَطِّمُ اللَّعِبَ الـ سَيِّ كَانَهَا لَهَا يَصُبُّو؟
أَلَيْسَ يَهْزُهُ الصَّخْبُ وَيَحُلُّو عِنْدَهُ الْوَثْبُ؟
كَذَلِكَ حُبًّا يَحْيَا وَيَلِدُّ جَدُّهُ لِعِبِّ!

* * *

تَخَاصَمْنَا. تَخَاصَمْنَا وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ الْقَلْبُ!
أَلَيْسَتْ لَا تُحَيِّنِي وَلَا يَسْلِينِي الْقُرْبُ؟
أَلَسْنَا إِنْ تَلَاقَيْنَا نَغْضُ وَتُسَدُّ الْحُجْبُ؟
وَمَا قُبَلَاتُنَا تَتَرَى وَلَا الرُّسُلُ وَلَا الْكُتُبُ
كَذَاكَ نَعِيشُ فِي صَمْتٍ فَلَا غَزَلَ وَ لَا عَتَبُ

* * *

تَخَاصَمْنَا. خُصُومَتُنَا سَلَامٌ ثَوْبُهُ حَرْبُ!
سَلَامٌ بَيْنَ قَلْبَيْنَا فَكُلُّ هَائِمٍ صَبُّ

* نشرت في تشرين (أكتوبر) ١٩٣٤

١- تزو: يثب بنشاط.

وَنَحْسِرُ فِي مَظَاهِرِنَا وَمِلءُ وِطَابِنَا كَسْبُ !
وَنَظْمًا إِنْ تَنَاءَيْنَا فَيَحُلُو الْوَرْدُ وَالشُّرْبُ
وَتَذْكُو لِلهَوَى شُعْلٌ فَلَا تَحْنُو وَلَا تَحْنُو
كَذَلِكَ حُبُّنَا يَحْيَا كَذَلِكَ يَعْبَثُ الْحُبُّ

* * *

* بيانهِ وقلب *

هُوَ قَلْبٌ لَمَسْتِهِ، أَمْ (بَيَانُهُ)؟ فَتَنَادَتْ مِنْ جَوْفِهِ أَلْحَانُهُ
هُوَ قَلْبِي أَجَلٌ فَهَيْدِي الْأَغَانِي هُوَ يَشْدُو بِهَا، وَذَا تَحَنَانُهُ
أَمْ تَرَاهُ - كَمَا أَرْجُو - فَوَادٌ بَيْنَ جَنِيكِ مُلْهَمٌ خَفَقَانُهُ
فَتَلَاقَى الْقَلْبَانِ فِي ذَلِكَ اللَّحْنِ وَحَاكَتْ خَفَقَاتِهِمَا أَوْزَانُهُ
وَتَرَاءَى فِي اللَّحْنِ طَيْفُ الْأَمَانِي مُطَبَّقَاتٌ عَلَى الرَّؤْيِ أَجْفَانُهُ

* * *

لَحْنِي أَنْتِ خَفَقَ قَلْبِي نَشِيداً أَنْتِ أَدْرَى بِمَا حَوَى وَجْدَانُهُ
وَالْمَسِي بِالْحَنَانِ قَلْبِي فَيَشْدُو مِثْلَمَا تَلَمَسُ الْبِنَانَ الْبَيَانُهُ
بَلْ فَوَادِي مُلْحَنٌ عَجَقْرِي! لَحْنُهُ مِنْهُ قِطْعَةٌ وَبِنَانُهُ
أَلْهَمِيهِ النَشِيدَ وَهُوَ يُعْنِي لَكَ وَادِي الْخُلُودِ سَامِ حَنَانُهُ
أَلْهَمِيهِ النَشِيدَ وَهُوَ يُجَلِّي لَكَ وَادِي الْخُلُودِ زُهْرٌ جَنَانُهُ
أَطْلِقِيهِ مِنَ الْقِيُودِ بِلَحْنٍ قَدْ تَسَامَى عَلَى الْقِيُودِ افْتِنَانُهُ
وَدَّعِيهِ يَطِرُ دُونَ جَنَاحٍ غَيْرِ حَبِّ يَزِيدُهُ طَيْرَانُهُ

* * *

* نشرت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٣٤

١- البنان: أطراف الأصابع.

الظامة*

بِعَيْنِكَ أُبْصِرُ رُوحَ الظَّمَاءِ وبِالنَّفْسِ أَلْمَسُ طَيْفَ القَلْبِ
ففي الحَطَرَاتِ، وفي اللَّفَّاتِ وفي النُّظَرَاتِ، وَبَيْنَ الحَدَقِ
يُطَلُّ التَّلْهَفُ فِي وَثْبَةٍ وَتَعْصِفُ رِيحُ اللُّطَى المُحْتَرِقِ
لأَيِّ مِنَ الأَمْرِ هَذَا التَطَّلِعِ هَذَا التَوَثُّبِ، هَذَا الحَرَقِ
شَوَاطِئَ مِنَ الشَّوْقِ؟ أَمْ جَمْرَةٌ؟ مِنَ الحَبِّ مَحْمَرَةٌ كَالشَّفَقِ؟
* * *

أَحْسُ بِأَنَّكَ مَلْهُوفَةٌ لِأَنَّ تَنْهَلِي كُلَّ مَعْنَى الغَرَامِ
وَأَنْ تَنْهَبِي النُّورَ مِنَ فَجْرِهِ وَأَنْ تَسْلُبِي زَفَرَاتِ الظَّلَامِ!
وَأَنْ تَقْطِطِي كُلَّ زَهْرِ الحَيَاةِ مِنَ الشَّجْوِ وَالجُودِ أَوْ الِابْتِسَامِ
تَفْتَحُ فِيكَ شُعُورَ الحَيَاةِ فَشَفِّكَ مِنْهَا الهَوَى وَالْأَوَامِ^(١)
* * *

إِلَيَّ إِلَيَّ؛ وَلَا تَجْفَلِي فَإِنِّي ظَمِئْتُ لِمَا تَظْمَأِينَ
وَأَحْسَبُنِي كُنْتُ أَهْفُو إِلَيْكَ كَمَا كُنْتُ لِي فِي المُنَى تَرْقُبِينَ
وَشَطَّطْتُ بِنَا بَدَوَاتُ اللِّقَاءِ وَضَلَّتْ بِنَا خُطُواتُ السِّنِينَ
إِلَى أَنْ لَقِيْتُكَ فَتَانَةً فَحَرَّكَتْ مِنِّي اشْتِيَاقِي الدَّفِينِ
تَعَالَى نَرَوُ ظِمَاءَ السِّنِينَ تَعَالَى نَعِشُ لِلْمُنَى وَالْفَتُونِ
* * *

* نشرت عام ١٩٣٤
١-الأوام: حرارة العطش.

لماذا أحبك؟!*

أُحِبُّكَ حُبَّ الْهَوَى وَالْجُنُونِ أَحِبُّكَ حُبَّ الرَّشَادِ الرَّزِينِ
أُحِبُّكَ بِالْقَلْبِ فِي وَقْدَةٍ أَحِبُّكَ بِالْعَقْلِ جَمَّ السُّكُونِ
وَتَبْدِينَ فِي قَلْبِي الْمَسْتَطَارِ كَمَا تُسْفِرِينَ بِفِكْرِي الرَّصِينِ^(١)
فَفِيكَ تَلَاقَى الْهَوَى وَالْهُدَى وَشَابَهُ فِيكَ الرَّشَادُ الْجَنُونِ
فَأَمَا أَرْذَهَانِي بِحَبِي الْفَتُونِ رَكَنتُ بِهِ لِلْحِجَا وَالْيَقِينِ
* * *

لماذا أحبك؟ هل تفكرين؟ وما السرُّ في الأمر؟ هل تعلمين؟
أَلِلْحُسْنِ؟ كَمْ قَدْ لَقِيتُ الْحِسَانَ فَمَا هَجَنَ بِي وَمَضَّةً مِنْ حَيْنِ
أَلْعَطْفِ؟ إِبْنِي الْقَوِيُّ الْعَطُوفُ فَمَا أَرْتَجِي رَحْمَةَ الْعَاطِفِينَ
أَللنظراتِ وَاللَّفَاتِ وَلِلسَّحْرِ فِي مُهَجَّتِي تَسْكِينِ
وَشَقَى الْخِلَالِ وَشَقَى السَّمَاتِ؟ لَقَدْ طَالَمَا اجْتَمَعَتْ لِلْمَتِينِ^(٢)
إِذَنْ فَلَايِي الْمَزَايَا يَكُونُ هَوَايَ وَحُبِّي؟ هَلْ تُدْرِكِينَ؟
* * *

* نشرت عام ١٩٣٤

١- المستطار: المفزوع . تسفرين: تشرقين وتضيئين .

٢- للمتين: للمئات.

ألا فاعلمي الآن علم اليقين سأكشف عن سر حبي الدفين
لقد لَجَّ بي قبل هذا، السكون وقد آدني الصمت، صمت الحزين^(١)
وقد عشت للجدِّ، جد الرصين أهُمُّ وأكبو بعبء السنين
إلى أنء لقيتِك خفاقةً توقد فيك الهوى والفتون
فأنت هنا جمرة كاللظى وأنت هنا شعلة تومضين
فأكمل هذا المراح الطروب هدوء الحزين وجد الرصين
وأعجبنى حُسن هذا الكمال وإني عليه الحفيظ الأمين

* * *

لهذا أُحِبُّك: هل تفكرين؟ وهذا هو السرُّ. هل تعلمين؟

* * *

رسول الحياة*

أفي كلِّ لُقيَا شعورٍ جَديدٍ؟ وفي كلِّ قُربِ ظمَاءٍ يَزيدُ؟
 وفي كلِّ يومٍ أرى عَالِماً وألِّفَاكِ والكُونُ قفراً جَديبٌ
 وتَشُدُّ هَوَاتِفُهَا بالنَّشيدِ فَتَبِضُ فِيهِ المني وَالوَرُودُ
 وَيَخْفُقُ بِالحبِّ قَلْبُ الحَيَاةِ كَأَنَّ الحَيَاةَ وَأَمَالَهَا
 هُوَ الحَبُّ لَا القَدْرُ المِستَظِيلُ إِذَا مَا لَقِيتُكَ خَلَقَ جَديبٌ
 يُقَسِّمُ فِي الكونِ شَقِيَّ الجُودِ^(١) فِيمَنعُ فَالكونُ شَاكٍ شَقِيٌّ
 وَيَبِضُ فَالكونُ فِي نَشْوَةِ وَيَجْمَدُ فَالكونُ جَاثٍ بَلِيدٌ
 * * *

لَقِيتُكَ خَفَافَةً كَالرَّجَاءِ فَذَكَرْتَنِي أَنِّي بَعْدَ حَيٍّ
 وَجَاشَ بِنَفْسِي شعورُ الحَيَاةِ وَفَتَحَتْ فِي رَجْفَةٍ مُقَلَّتَنِي
 أَقْلَبُ عَيْنِي بِهَذَا الوِجُودِ وَتَرْتَادُ رُوحِي مِنهُ الحَفِيَّ
 فِيَا لِلجَمَالِ، وَيَا لِلغَنَاءِ وَيَا لِلخَوَاطِرِ تَهْفُو إِلَيَّ!
 وَيَالِي مِن ظَمَىءٍ لَاهِفٍ! وَيَالِي مِن عَاشِقٍ عَبَقْرِي!
 يَحِلُّ الحَيَاةَ إِلَى فِتْنَةٍ وَأَصْدَاءَهَا لِنَشِيدِ شَجِي
 وَيُطْرَبُ بِالشعرِ قَلْبَ الحَيَاةِ وَيَنْفَحُهَا بِالرِّضَا القُدْسِي
 وَمَا أَنْتِ إِلَّا رَسولُ الحَيَاةِ وَحُبِّكَ مُعْجِزَةٌ مِن نَبِي

* * *

* نشرت في ١٩٣٤

١- المستظيل: المترفع أو المُتفضل، الحدود: الحظوظ.

سر انتصار الحياة *

أَطَّلِي بِطَلْعَتِكَ السَّاحِرَةَ وَحَيِّي بِنَظَرَتِكَ الشَّاعِرَةَ
أَفِضِي عَلَيِ الْكُونِ فِيضَ الْمِرَاحِ وَغَذِّبِهِ بِالْقُوَّةِ الطَّافِرَةِ^(١)
وَمَا لَكَ أَنْتِ؛ وَمَا لِلسُّكُونِ؟ وَمَا أَنْتِ إِلَّا الْقُوَى الثَّائِرَةَ
قُوَى الْحَبِّ تَنْبُضُ بَيْنَ الْقِفَارِ فَتَغْدُو الْقِفَارُ بِهَا نَاصِرَةَ
وَتَفْخُ فِي سَاكِنَاتِ الْقُلُوبِ فَتَغْدُو سَوَاكِنَهَا نَافِرَةَ
وَتَهْتَفُ لِلصَّمِّ بِالْأَغْنِيَاتِ فَيَصْغُونَ لِلنَّعْمَةِ السَّاحِرَةَ
* * *

أَلَسْتَ الَّتِي نَبَضَتْ (بِالْوُجُودِ) فَشَقَّ قُوَى الْعَدَمِ السَّاحِرَةَ
بَلَى! أَنْتِ سِرُّ انْتِصَارِ الْحَيَاةِ عَلَى الْمَوْتِ فِي الْوَقْعَةِ الظَّافِرَةِ
هُنَالِكَ مِنْ قَبْلِ مِيلَادِهَا وَكَانَتْ مَغِيبَةً حَائِرَةَ
وَكُنْتَ نَوَاةً بِهَا ضَامِرَةً فَعَدْتَ حَيَاةً بِهَا سَافِرَةً
* * *

* نشرت عام ١٩٣٤
١ - الطافرة: الوائية.

المعجزة أو السهم الأفيير *

مَنَحْتَنِي اليَوْمَ مَا الْأَقْدَارُ قَدْ عَجَزَتْ عَنْ مَنَحِهِ، وَتَنَاهَى دُونَهُ أَمَلِي
مَنَحْتَنِي الْحَبَّ لِلدُّنْيَا الَّتِي جَهَدْتُ فِي أَنْ تُمِيلَ لَهَا قَلْبِي فَلَمْ يَمِلْ
وَكَلَّمَا قَرَّبْتَنِي، قَلْتُ: خَادِعَةٌ! وَكَلَّمَا طَمَأَنْتَنِي؛ قَلْتُ وَأَوْجَلِي^(١)
وَيَغْمُرُ الشُّكُّ نَفْسِي كَلَّمَا كَشَفْتُ عَنْ فَاتِنٍ مِنْ حُلَاهَا غَيْرِ مَبْتَدَلٍ
حَتَّى خَسِرْتُ مِنَ الْأَيَّامِ مَا غَبِرْتُ بِهِ السُّنُونِ، وَحَتَّى عَقَّنِي أَجَلِي

* * *

وَاسْتَلْهَمْتُ هَذِهِ الدُّنْيَا طَبِيعَتَهَا فِي مُعْجِزٍ مِنْ قَوَاهَا قَاهِرٍ حَانٍ
فَأَبْدَعْتَكَ جَمَالًا كُلَّهُ ثِقَةٌ يُؤَلِّفُ الْحَبَّ مِنْ وَحْيٍ وَإِيمَانٍ
وَأَوْدَعْتَكَ رَحِيقًا مِنْ خُلَاصَتِهَا وَمَنْبَعِ السَّحْرِ فِيهَا جَدِّ فَنَانٍ
وَأَرْسَلْتَكَ يَقِينًا فِي طَلَائِعِهَا مَنِيرَةً فِي دُجَى عَقْلِي وَوَجْدَانِي
فَكُنْتَ آخِرَ سَهْمٍ فِي كِنَانَتِهَا وَكُنْتَ مَعْجِزَةً مِنْ خَلْقِ فَنَانٍ^(٢)

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤

١- واوجلبي: وأخوفي أو افرعي.

٢- الكنانة: اللعبة، تحفظ فيها السهام.

والآن أُخْلِصُ لِلدُّنْيَا وَأَمْنَحُهَا حَبِي، وَأُدْرِكُ مَا فِيهَا مِنَ الْفِتَنِ
والآن أَنْظِرْ لِلدُّنْيَا وَأَنْتِ بِهَا كَعَاشِقٍ بِهَوَاهَا جِدَّ مُفْتَتِنِ
والآن أَعْمَلْ لِلدُّنْيَا عَلَى ثِقَةٍ بِأَنْبِي قَلْبُهَا الْخَفَّاقِ فِي الزَّمَنِ!
والآن أَنْصِتْ لِلدُّنْيَا فَيُطْرِبُنِي مِنْ صَوْتِهَا الْعَذْبِ لَحْنِ سَاحِرِ اللَّحَنِ
لَكَ الْحَيَاةَ إِذْنُ مَا دَمَتِ مَانِحَةً لِي الْحَيَاةَ بِلَا أَجْرٍ وَلَا ثَمَنِ!

* * *

اللحن المزين *

أسى الأحن أم هذا؟ أساك يسيل في اللحن؟
وإلا هذه نفسي هم بعالم الحزن
فتوحي النفس للأذن؟

وأين نشيدك الراضي؟ وأين نشيدك العذب؟
وأين الفرحة النشوى؟ وأين القفز والوثب
فُذكي وقدة الحب؟

سمعتك أمس لم أسمع سوى نبرات أسفان
وغنوة عاشق يئس مناه من الهوى الفاني
فأن فؤاده الحاني

هي الأوتار عالمة بما في قلبك المقعم؟
وإلا أنت موحية لها ترنيمه المؤلم
تمس القلب كالبلسم

بربك علمي اللحن يرجع غنوة الأمل
ويتهج هذه الدنيا ويعت نشوة الجذل
فيدعو الكون للعمل

أجل يا خطرة الفن برأس مفكر سام
وغاية كل فنان يناجي حسن أوهام
أجل ياسر إلهامي

* نشرت عام ١٩٣٤

الفيرة*

إذا كان الشاعر صادقاً في شعوره. صادقاً في التعبير عنه؛ كان في الشعر مجال للدراسة السيكلوجية؛ فوق الدراسة الفنية. وفيما يلي مقطوعتان من الشعر في موضوع واحد يفرق إحداهما عن الأخرى يوم واحد ولكن الفرق بين روحيهما بعيد! ولا يهمني أن أدرسهما من الناحية الفنية. فذلك شأن القراء. إنما يهمني أن أدرسهما من الوجهة النفسية، ذلك أن مبعثهما هو (الغيرة) وهي عامل نفساني بحت.

* * *

فَهَمْتُ هي! أن الشاعر يتوجه إلى شقيقتها بقلبه. في حين لم تكن إلا مجاملة. فآلمها ذلك، ولكن لم تُرَدُّ أن تبين سبب الألم؛ لدقة الموقف؛ وإن أشارت إليه من بعيد. وبدت كاسفة البال واجهة، يترأى في عينيها الرجاء الأسيف؛ والأمل المكلوم؛ والريبة التي تهرّب منها فتلاحقها. ورأى هو هذا الشعور فأخرج المقطوعة الأولى تحس فيها عطفه على ارتياها؛ واطمئنانه لهذا الارتياب لأنه وثيقة على حبها له أو لأنه كما يقول:

فلولا اعتزازك بالحبِّ لم تُثْرِفي فؤادكِ تلك الرِّيبُ

ولكن هذه الريبة تَحَسَّمت في نفسها؛ ومضى يوم كامل لم تعد فيه إلى يقينها. فكانت المقطوعة الثانية، وكان ما يشبه التبرُّم بهذا الشك منها حيث لا مبرر للشك!.

* * *

الغيرة تلذُّ الرجل أول مرة لأنها وثيقة الحب، ولكن حين تَلجَّح فيها المرأة قد يترم بها، لأنها تكون طعنة للحب!

* نشرت عام ١٩٣٤

غَضِبْتَ فَيَالِكَ مِنْ غَاظِبَةٍ! وَأَرْسَلْتَهَا نَظْرَةً عَاتِبَةً
يُتَمَتِّمُ فِيهَا الرَّجَاءُ الْأَسِيفُ وَتَجَارُ فِيهَا الْمُنَى الْوَائِبَةَ^(١)
وَفِيهَا هُدُوءُ الرِّضَا الْمُطْمَئِنِّ تُمَارِجُهُ الْغَيْرَةُ الصَّاحِبَةُ!
تُطَلُّ بِهَا الذِّكْرِيَّاتُ الْعِدَابُ وَتَرْجِعُ مُجْهَدَةً لِأَغْبَهُ
وَفِيهَا فُتُورٌ وَلَكِنَّهُ فُتُورٌ بِهِ قُوَّةٌ غَالِبَةٌ

* * *

وَلَكِنْ بِهَا بَعْدَ هَذَا وَذَاكَ فَنُونَ الْمَهْوَى وَالْجَمَالِ الْعَفِيفِ
وَفِيهَا مِنَ السَّحْرِ أَطْيَافُهُ بَعِينِكَ أَلْمَحُّهَا إِذَا تَطِيفُ
لَأَلْهَمْتَنِي السِّرَّ لَمَّا نَظَرْتِ إِلَيَّ بِهَذَا الْفُتُورِ الشُّفُوفِ^(٢)
وَحَدَّثْتَنِي فِي خُفُوتٍ عَجِيبٍ بِمَا أَضْمَرْتَهُ لُغَاتُ الطُّيُوفِ
وَلَوْلَا شَعُورِي بِحُبِّي الْعَطُوفِ لِأَحْبَبْتُ فِيكَ الشُّعُورَ الْأَسِيفِ!

* * *

قَدْ انْتَصَرَ الْحُبُّ. يَا لِلانْتِصَارِ بِهَذَا الْعِتَابِ وَهَذَا الْغَضَبِ
وَتَفَقَّتْ مِنَ الْيَوْمِ فِي حُبَّنَا وَأَنْكَ تَرَعَيْتَهُ فِي حَدَبِ
فَلَوْلَا اعْتِزَاؤُكَ بِالْحُبِّ لَمْ تَتَّزُرْ فِي فُؤَادِكَ تِلْكَ الرَّيْبِ
إِذَنْ فَاطْمَئِنِّي فَهَذَا الْفُؤَادُ يُحِبُّكَ فِي وَقْدَةٍ كَاللَّهَبِ
يُحِبُّكَ إِلَيَّ وَجَمَالَ الْغَضَبِ يُحِبُّكَ إِلَيَّ وَالْمَهْوَى الْمُتَّهَبِ

١- تجار: تنضرع
٢- الشفوف: من شَفَّ يَشِفُّ شُفُوفًا: رَقَّ حَتَّى يُرَى مَا خَلْفَهُ.

حَدَّثِينِي أَمَا تَرَالَيْنِ غَضَبِي؟ أَوْ مَا زَالَ مِلءُ نَفْسِكَ رَبِّينَا
 وَلِمَاذِ الْوَقَارُ وَالصَّمْتُ يُضْفِي بَعْدَمَا كُنْتَ لِي مَرَاحاً وَوَثْبَا
 كَانَ بِالْأَمْسِ كَالْعَتَابِ جَمِيلاً مَا لَهُ الْيَوْمَ لَمْ يَعُدْ مِنْكَ عْتَبَا
 صَمَّتِ الْكُونُ مُذْ صَمَّتْ وَنَامَتْ صَادِحَاتٌ تُرَدِّدُ اللَّحْنَ عَذْبَا
 أَنَا أَخْشَى وَلَا أَصْرُحُ مَاذَا أَنَا أَخْشَى؛ فَمَا أَزَالَ مُجِبَا
 ابْسُمِي تَبْسُمُ الْحَيَاةُ وَتَرْضَى وَأَمْنَحِينِي الْيَقِينَ. أَمْنَحِكَ حُبَا

حفظي سوره الأريكة
 www.books4all.net

مصراع صبا!*

خامر الشاعر الشك فيها بسبب أخبار تناهت إليه عن الماضي
فقال: (ب) وبات هذه الليلة في الجحيم حتى لقد فضل اليقين، ولو جاءه
بالفقدان على هذه الحيرة الطاغية.

أنا أشرى اليقين بالفقدان مؤثراً فيه وأصح الآلام
ولكنه صمد له لأن الرجل قد يفضل اليقين الأليم على الحيرة
الطائرة.

وإذا هو بعد ذلك يشعر بالفقدان فيكتب (الجنة الضائعة) فيها ألم؛
ولكن بما عفة عن جنة (تجوس فيها الذئاب) وإن كان يتمنى لو فقد
جنته هذه وهي (مؤمنة عامرة) حتى لا يفقد ذاكرها كذلك. فيتضاعف
الفقدان، وهنا يبدو إحساساً نادراً؛ فقد يود بعض الناس إذا فقدوا شيئاً أن
يفقدوه محطماً لا قيمة له، على عكس ما يريد الشاعر.

المراة سريعة التشكك؛ تائرة الغيرة؛ ولكنها سريعة التصديق لا تجنح
لليقين إذا كان هذا اليقين يفجعها في الحب، بل ربما هربت من اليقين،
وتعلقت بالأوهام.

والرجل بطيء التشكك؛ هادئ الغيرة، ولكن الشك الذي يداخل
نفسه، بطيء الزوال، وقد يفضل اليقين المؤلم، على التعلل بالخيال.

ليلة الشك

ليلة الشكّ والأسى والظلامِ وجحيمَ الإقدامِ والإحجامِ
والعذابِ الممضِّ لم يتصوّر في وعيدٍ أو خطرٍ الأوهامِ^(١)
قد تركتُ الماضي حصيداً هشيمًا ونضيرَ الآمالِ مثلَ الحطامِ
عن عذابِ الآمالِ قد أنعزى وما عزائي عمّا مضى من غرامي؟
ليتني أستطيعُ أن أرجعَ الماضي فأحيي ما صاع من أيامي
ليلة الشكِّ هل مضيت؟ فإني لم أزل بعد غارقاً في الظلامِ
والهوى المشرق المنير تهوى في خضمِّ الدجى العميق الطامي
والحياة التي تفيض مراحاً قد تبدت في ذلة الأيتام
ومشى الحبُّ مطرقاً يتوارى كحبيّ ينوء تحت اتهامي^(٢)
ليلة الشكِّ قد طمست حياة من رجاء صيغت ومن إلهامي
لهفتي لليقين يغمر نفسي لهفتي للهدوء بعد اضطرام
أنا أشرى اليقين بالفقدان مؤثراً فيه واضح الآلام

* * *

١- الممض: المولم.

٢- المطرق: من أطرق: سكت لحيرة أو خوف أو غوهما. ينوء: يعجز.

اليقين

اليقينَ اليقينَ بعدَ ارتيابِ الهدوءِ الهدوءَ بعدَ اضطخابِ
اليقينَ اليقينَ أطلبُ فيه راحةَ اليأسِ من جحيمِ اضطرابِ
أيهذا اليقينُ إنَّك قاسٍ ما تطلبتُ كلَّ هذا المصابِ!
أيها الشكُّ ربَّما كنتَ خيراً من يقينٍ كالجذبِ بين اليبابِ
حيرةَ الشكِّ، هدأةَ اليأسِ، هلاً لحظةً تتركُ أنفسي لما بي
لحظةً تُخلِّيانِ فيها فؤاداً مَلَّ وقعَ اليقينِ أو الارتيابِ
ثم ماذا؟ وما الهروبُ؟ وهذا واقعُ الأمرِ، ما لهذا التَّغابي؟
يا يقيني إلى. إن حَفِيَّ يقينِ شَرِيئتهِ بِلَبَّابِي^(١)
بِدَمَائِي الَّتِي بُدِّلْتُ، بِدَمْعِي بِرَجَائِي الْمُنُورِ الْوَثَّابِ
أنتَ أعلى عَلَيَّ مِنْ كُلِّ هذا يَا يَقِينِي، وَمُرْشِدِي لِلصَّوَابِ

١- الحَفِيَّ: المهتم.

الجنة الضالعة

فَقَدُّتُكَ يَا جَنَّتِي السَّاحِرَةَ وَغَادَرْتُ أَيْءَاكَ العَاطِرَةَ
وَهَمَّتْ تُشَرِّدُنِي المَقْفِرَاتِ وَتَلْفَحُنِي كَاللَّظِي الهَاجِرَةِ^(١)
وَتَعَصِفُ فِي نَفْسِي العَاصِفَاتِ وَتَنْهَشُهَا الوَحْشَةُ الظَّافِرَةَ
وَقَدْ طَمَسَ اليَأسُ نَهَجَ الرَّجَاءِ وَغَشَّ البَصِيرَةَ وَالبَاصِرَةَ
فَلا الظَّنُّ يَلْمَعُ مِثْلَ السَّرَابِ وَلا العِلْمُ يُرِضِي المَنَى الحَائِرَةَ
هُوَ اليَأسُ أَوْ اليَقِينُ الأَلِيمُ وَبعضُ الحَفَائِقِ كَالكَافِرَةَ
فِيا لِيَقِينِ المِضِّ اللَّجُوجِ وَيَا حَقِيقَتِهِ الجَائِرَةَ
فَقَدُّتُكَ يَا لِيَتِي إِذْ فَقدْتُكَ كُنْتُ مُؤمِنَةً عَامِرَةَ
لَعَزَيْتُ نَفْسِي بِالذِّكْرِيَّاتِ وَأودَعْتُ فِرْدَوْسِي الذَّاكِرَةَ
وَلَكِنِ فَقدْتُكَ نَهَبَ الذَّنَابِ تَجَوَّسُ خِلالِكَ كَالآسِرَةَ
وَهَبَ القَشَاعِمِ وَالجَارِحَاتِ تَخَطَّفُ أَثْمَارَكَ النَّاضِرَةَ^(٢)
وَهَبَ المَطامِعِ وَالمَغْرِيَّاتِ تُدَنِّسُ نِيَّتَكَ الطَّاهِرَةَ
فَقَدُّتُكَ فِي النَفْسِ أَنشُودَةً وَمَعْنَى مِنَ الفِتْنَةِ السَّاحِرَةَ
فَقَدُّتُكَ ذِكْرِي فَوَا حَسْرَتَاهُ لَفَقَدِ مِنَ العَيْنِ وَالحَاطِرَةَ

١- الهاجرة: القيلولة: شدة الحر.

٢- القشاعم: النسور الذكور الضخمة.

العنين والدموع

جَفَّ قَلْبِي مِنَ الْحَسَنِ فَغَاضَتْ عِبْرَاتِي وَأَقْفَرْتُ مُنْذُ حِينِ
وَحَسَبْتُ الدَّمُوعَ ذِكْرِي تَوَارَتْ بَيْنَ مَاضِي حَيَاتِي الْمَكُونِ!
وَإِذَا بِي أُودِعَ الْيَوْمَ عَهْدًا فَتَفِيضُ الدَّمُوعُ مِلءَ الْجَفُونِ
فِي انْسِكَابٍ يَعْضُ مِنْ كِبْرِيَانِي وَاضْطِرَابٍ يَرْتَاغُ مِنْهُ سَكُونِي
يَا دَمُوعَ الْوَفَاءِ أَتُنُنُّ أَعْلَى أَنْ تُرْفَرْقَنَّ لِلْوَفَاءِ الْغَبِينِ^(١)

* * *

١- الغيبين: الناقص: الضعيف: الخادع وهو المراد.

اللفز*

حَفَقَ القَلْبُ الَّذِي مَسَّتْ يَدَاكَ جَانِبِيهِ؛ فِي جَنُونٍ وَاضْطِرَابٍ
أَكْذَا يَهْتَاجُنِي مَسُّ هَوَاكَ وَأَنَا الْمَاهِدِيُّ فِي مَوْرِ الْعُبَابِ؟^(١)
* * *

عَجِبًا ! مَا السَّرُّ فِي حَفَقَتِهِ.. ؟ إِنِّي أَسْأَلُكَ السَّرَّ الدَّفِينِ
أَنْتِ أَدْرِي بِالَّذِي أَوْدَعْتَهُ فِيهِ مِنْ حَبٍّ، وَوَجَدِ، وَحَيْنٍ!
* * *

إِنْ قَلْبِي لَمْ يَكُنْ يَنْزُو ، فَمَاذَا سَأَلَ فِي كَفْلِكَ مِنْ سِحْرِ عَجِيبٍ؟
أَهُوَ اللُّغْزُ الَّذِي تَحْوِينَهُ هَذَا؟ أَمْ هِيَ الْفِتْنَةُ فِي مِفْتَاحِ الْقُلُوبِ؟
* * *

إِيهِ !. إِي فِي اضْطِرَابِي قَدْ نَسَيْتُ مَبْعَثَ الْفِتْنَةِ عَيْنِكَ تَيْنِ!
تَضْمِرَانِ السِّحْرِ يُحْيِي وَيُمِيتُ ؟ وَهَمَّاسِرُّ اتِّصَالِ الْمُهَجَّتَيْنِ
* * *

سِحْرُكَ الْمَجْهُولُ أَمْسَكَتُ عَصَاهُ! فَإِذَا شِئْتُ اتَّقَاءً اتَّقِيهِ!
لَكِنَّ السِّحْرَ الَّذِي تَاهَتْ رُقَاهُ إِنِّي أَهْفُو إِلَى الْإِخْلَادِ فِيهِ
* * *

* نشرت في ١٩٣٤
١- مور العباب: تحرك الأمواج.

قُبْلَةٌ*

أهِي النَّشْوَةُ أَمْ وَقْدَةُ جَمْرٍ إِنِّي أَحْسَسْتُهَا تَذَكُّو بِصَدْرِي^(١)
وَبِرُوحِي لَهْفَةً تَبَعْتُهَا هَذِهِ الْقُبْلَةُ مِنْ أَعْدَبِ ثَغْرِ
قُبْلَةٌ ! مَا هَذِهِ الْقُبْلَةُ إِذِ تَنْقُلُ الدُّنْيَا إِلَى عَالَمِ سِحْرِ
وَتُحِيلُ الْجِسْمَ وَالرُّوحَ مَعًا شِعْلَةً طَائِفَةً لَمْ تَسْتَقِرِّ
بَلْ تُحِيلُ الْجِسْمَ وَالرُّوحَ شَذَى مِنْ عَيْرِ الْخُلْدِ أَوْ مِسْكَةِ طُهْرِ

* * *

لَمْ أَحِسَّ الرُّوحَ مَنِ مُتَقَلًّا بِمَمُومِ الْجِسْمِ إِذِ هَوَّمَ يَسْرِي
لَمْ أَحِسَّ الْعُمَرَ إِلَّا خَفَقَةً فِي فُؤَادِ الدَّهْرِ قَدْ فَاصَتْ بِبِشْرِي
وَأَرَى الْمَاضِيَ أَضْحَى لِحِظَةً بَعْدَ مَا قَدْ كَادَ أَنْ يُنْقِضَ ظَهْرِي
وَتَطَلَّعْتُ بَعَيْنِ الْمُنْتَشِي لِحَمَالِ الْكُونِ فِي نَشْوَةِ سُكْرِ

* * *

أَهِي الْقُبْلَةُ مِنْ ثَغْرِ لِنَعْرِ ؟ أَمْ هِيَ الْخِطْرَةُ مِنْ وَحْيِ لِفْكَرِ
أَمْ تُرَاهَا قُبْلَةَ النُّورِ الَّتِي فَاضَ مِنْهَا النُّورُ فِي أَوَّلِ فَجْرِ
حِينَمَا رَفَرَفَ وَالْكَوْنُ دُجَى رُوحُ رَبِّ الْكُونِ فِي لُجَّةِ عَمْرِ
فَتَجَلَّى النُّورُ فِي بَرٍّ وَبَحْرِ وَتَرَاءَى الْحُسْنُ فِي طَيْرٍ وَزَهْرِ

* نشرت عام ١٩٣٤ -
١- تذكو: تنمو وتلتهب.

داعى الحياة*

يَخْفُقُ الْقَلْبَانِ ، بَلْ تَهْفُو الشِّفَاهُ مُنْذُ أَنْ صَمَّتَكَ فِي شَوْقٍ يَدَاهُ
مُنْذُ أَنْ رَنَّ صَدَاهَا ، قُبْلَةً نَهَلَتْ مِنْهَا وَعَلَّتْ شَفَاتَاهُ
وَارْتَوَتْ رُوحَاكُمَا بَلْ ظَمِئْتَ بِرَحِيْقِ الْقُبُلَاتِ الْمَشْتَهَاهُ
بَلْ رَحِيْقُ الْحُلْدِ قَدْ طَابَ جَنَاهُ وَسَرَى فِيهِ حُلَاهُ وَشَدَاهُ

* * *

يَخْفُقُ الْقَلْبَانِ؛ بَلْ تَهْفُو الشِّفَاهُ حِينَ يَلْقَى نَاطِرِيكَ نَاطِرَاهُ
حِينَمَا يَسْتَعْرِ الْحُبُّ جَوَى يَكْتَوِي الْقَلْبَانَ مِنْ حَرِّ لَظَاهُ
فَيْرَجِي كُلُّ تَغْرِ قُبْلَةً هِيَ بَرْدٌ لِلْحَنَايَا وَالشِّفَاهُ
مِثْلَمَا يَطْلُبُ رِيًّا ظَامِيءٌ يَنْظُرُ الْمَاءَ وَلَا يَبْلُغُ فَاهُ

* * *

يَخْفُقُ الْقَلْبَانِ؛ بَلْ تَهْفُو الشِّفَاهُ كَلِمَا بَشَّرَ بِالْحُبِّ الْهُدَاهُ
كَلِمَا نَادَى حَيَّ هَلَا يَقْطِفُ الْمَحْرُومُ مَا طَابَ جَنَاهُ
مَا لِمَحْرُومِينَ لَمْ يَسْتَمِعَا ذَلِكَ الصَّوْتِ الَّذِي دَوَّى صَدَاهُ
إِيهِ هِيَا؛ فَلَنْجِبَ دَاعِيَ الشِّفَاهُ فَهُوَ دَاعِيَ الْحُبِّ؛ أَوْ دَاعِيَ الْحَيَاةِ

* نشرت في ١٩٣٤

تمية الحياة*

شَفَتَايَ تَخْتَلِجَانِ لِلتَّقْبِيلِ؟ فِي كُلِّ مُطَّلَعٍ لَدَيْكَ جَمِيلِ
ظَمًا الشَّفَاهِ طَبِيعَةٌ أَلْهَمَتْهَا مِمَّا ارْتَوَيْنَ بِتَغْرِكِ الْمَعْسُولِ
ظَمًا تُوجِّجُهُ الْقُلُوبُ خَوَافِقًا تَنْزُورُ بِعَارِمِ لَهْفَةٍ وَغَلِيلِ
مِنْ يَوْمٍ مَا التَقَتِ الشَّفَاهُ فَحَدَّثَتْ عَنْ حُبِّهَا بِسَوَاحِرِ التَّرْتِيلِ!
أَفْتَذَكْرَيْنَ وَقَدْ ضَمَمْتِكَ وَالْهَوَى يُغْرَى وَيُوقِظُ خَاطِرَ التَّقْبِيلِ؟
وَالْكُونُ يُمَسِّكُ خَفَقَةَ مُنْتَظَرًا قِبَلَاتِنَا فِي لَهْفَةٍ وَذُهُولِ
هُوَ عَاشِقُ الْقِبَلَاتِ! إِنَّ رَبَّنَا لَحَنٌّ يُنَبِّئُهُ فِيهِ كُلَّ خُمُولِ
وَهِيَ الْحَيَاةُ إِذَا تُحْيَى قُبْلَةً رَمَزًا عَلَى التَّرْحِيبِ وَالتَّاهِيلِ
أَفَلَا نَرُدُّ عَلَى الْحَيَاةِ تَحِيَّةً مَا عَقَّهَا فِي الْكُونِ أَيُّ بَخِيلِ؟
أَفَلَا نُرْجِعُ غِنْوَةَ التَّقْبِيلِ! وَتَحِيَّةَ الدُّنْيَا خَيْرَ نَزِيلِ؟^(١)

* نشرت ١٩٣٤

١- التزيل: الضيف

الفطر

بَيْنَ التَّلْفِيتِ وَالْحَذَرِ خَطَرْتُ تُبَشِّرُ بِالْخَطَرِ!
بُشْرَى! فَمَا دَامَتْ هُنَا فَعَلَامَ تَقْرُبُنَا النَّذْرُ!
وَتَشِيرُ لِلْمَتَنظِّرِ — مِنْ إِشَارَةِ اللَّبِقِ الْحَذِرِ!
لَتَضِيعَ مِنِّي قُبْلَةً لَبِثْتُ بِفِيهَا تَنْتَظِرُ!
وَلَبِثْتُ أَرْقُبُ قَطْفَهَا مِنْ بَعْدِ مَا نَضَجَ الثَّمَرُ
هُوَ ذَاكَ يَا قَلْبُ الْخَطَرِ لَا النَّظَرُونَ وَلَا النَّظَرُ

* * *

صَنَعَ الشَّبَابُ صَنِيعَهُ وَالْحُبُّ فِي الْحُسْنِ النَّضِرُ
فَمَضَى يَتِيَهُ تَحَايلاً فَإِذَا تَلَطَّفَ يَعْتَذِرُ!
وَيَلُوحُ حَتَّى نَنْتَشِي وَيَغِيبُ حَتَّى نَسْتَعِرُ
وَيَرُوقُ حَتَّى لَا نَرَى شَمْساً سِوَاهُ وَلَا قَمَرَ
وَيَرِقُّ حَتَّى لَا نَرَى طِيراً سِوَاهُ وَلَا زَهْرَ
وَنَطِيرُ فِي نَشْوَاتِنَا نَهْفُو إِلَيْهِ وَنَنْتَظِرُ
فَإِذَاهُ أَنَا يَعْتَذِرُ عَنَّا وَأَنَا يَسْتَعِرُ!
هُوَ ذَاكَ يَا قَلْبُ الْخَطَرِ لَا النَّظَرُونَ وَلَا النَّظَرُ!

* * *

تِه أَيُّهَا الْحُسْنُ الْأَعْرُ وَامْرُحْ بِنَفْسِكَ وَازْدَهْرُ
مَا الْحُسْنُ إِلَّا شُعْلَةٌ تَجْبُو إِذَا هِيَ لَمْ تُثْرُ
مَا الْحُسْنُ إِلَّا طَائِرٌ يَهْوِي إِذَا هُوَ لَمْ يَطْرُ
مَا الْحُسْنُ إِلَّا قُوَّةٌ تَعْيَا إِذَا لَمْ تَقْتَدِي
أَمَّا الَّذِينَ أَسْرَثَمَ بَيْنَ التَّبْرِجِ وَالْحَفْرِ^(١)
فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَعْلَمُوا يَا حُسْنُ مَنْ أَيْنَ الْمَقَرُ
أَوْ يَسْتَتِيمُوا لِلخَطَرِ وَبِحَسْبِهِمْ مِنْكَ النَّظَرُ

* * *

يقظة*

سَهَرْتِ؟ إِذَنْ تَعَالَيْ حَدِيثِي بِمَا أَحْسَسْتِ مِنْ حَرَقِ الْحَيْنِ
فَقَدْ جَرَّبْتَهُ سَهْرَ اللَّيَالِي وَقَدْ خَبَّرْتُ تَسْهِيدَ الْجَفُونِ
وَأَعْلَمُ أَنْ مَبْعَثَهُ غَرَامٌ يُوْزُّ جَوَانِبَ الْقَلْبِ الْحُنُونِ^(١)
وَيَقْظَةُ حَالٍ تَسْمُو مِنْهُ عَنِ النَّوَامِ فِي دُنْيَا السُّكُونِ
فَهَلْ أَحْسَسْتِهِ حُبًّا كَهَذَا فَبِتَّ اللَّيْلَ سَاهِدَةً الْعُيُونِ؟

* * *

وَمَا أَبْغَى لَكَ الشَّهَدَ الْمُعْنَى وَلَا الْحُرْقَاتِ سَاعِرَةَ الشُّجُونِ
وَلَكِنِّي أُرِيدُ نَشَاطَ حُبِّ وَيَقْظَةَ عَاشِقٍ جَمَّ الْفُتُونِ^(٢)
فَنَوْقُظُ هَذِهِ الدُّنْيَا خَلُوداً وَنَسْمُو عَنْ تَقَالِيدِ السِّنِينَ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤

١- يوز: يزلزل.

٢- الحم: الكثير.

رقية العبا*

خَيْمَ اللَّيْلِ فَنَامِي فِي هُدُوءٍ وَسَلَامٍ
 رَفَّ مِنْ حَوْلِكَ قَلْبٌ عَلَّمَ الْحَبَّ التَّسَامِي
 أَوْ فَإِنَّ الْحَبَّ نَقَّاهُ بُوْحِي مِنْهُ سَامٍ
 فَهُوَ يَحْيَا فِي سَاءٍ مِنْ أَمَانٍ وَمَرَامٍ
 وَهُوَ يَسْرِي فِي وَسِيعٍ مِنْ رَجَاءٍ مُتْرَامٍ
 يَشْمَلُ الدُّنْيَا بَعْظِفٍ وَرِضَاءٍ وَابْتِسَامٍ
 * * *

خَيْمَ اللَّيْلِ فَنَامِي فِي هُدُوءٍ وَسَلَامٍ
 رَتَّلَ الْحَبَّ رُقَاهُ فِي سُكُونٍ لِتَنَامِي
 رُقِيَّةُ النَّوْمِ وَأُخْرَى لِلرُّؤْيِ بَعْدَ الْمَنَامِ
 وَدُعَاءٌ لِكَ بِالْبِشْرِ غَدًا عِنْدَ الْقِيَامِ
 وَتَعَاوِيذٌ مِنَ الشَّرِّ لِعَامٍ بَعْدَ عَامِ
 رُقِيَّةٌ فِي إِثْرِ أُخْرَى مُشْرِقَاتٍ فِي الظَّلَامِ
 * * *

* نشرت عام ١٩٣٤

أُيْهَا الْحُبُّ فَلَا تَنْسَ دُعَاءَ بِالدَّوَامِ
وَتَعَاوَيْدَ لِقَلْبِنَا لَصَدِّ أَوْ سَامِ
أَوْ فَعَوَّذَهَا وَدَعْنِي لِتَعَاوَيْدِ غَرَامِي
وَإِذَا شِئْتَ فَعَوِّذْ بِي مِنْ فَرْطِ هِيَامِي
وَمِنَ اللَّهْفَةِ تَطْفِي فِي فَوَادِي كَالضَّرَامِ!^(١)
وَاجْعَلِ الدُّنْيَا سَلَامًا وَارْوَ يَا حُبُّ أُوَامِي^(٢)

* * *

مكتبة نور الأريكة
www.books4all.net

١- الضَّرَام: النار المنتهية.

٢- أُوَامِي: الأوام: حرارة العطش.

العيادة الغالية *

بِالْأَمْسِ كُنْتُ أَعِيشُ نِضْوَ تَرْقُبٍ أُرْجِي حَيَاتِي كَالْأَجْرِ الْمُتَعَبِ^(١)
 أُرْنُو إِلَى الْإِصْبَاحِ ثُمَّ تَمَجُّهُ نَفْسِي وَأَنْظُرُ كَارِهًا لِلْمَغِيبِ^(٢)
 وَأَحْسُ بِالْقَفْرِ الْجَدِيبِ يُلْفَنِي وَيَجُوسُ فِي نَفْسِ كَقَبْرِ الْغَيْهِبِ
 وَلَوْ أَنَّمَا اخْتَصَرْتَ حَيَاتِي لَمْ أَبْلُ بَلْ لَمْ أَحْسُ بِنَقْصِهَا أَوْ أَعْيَبِ
 وَإِذَا تَشَابَهَتْ الْحَيَاةُ وَأَقْفَرْتُ مُجَّتْ بِرُمَّتِهَا، وَلَمْ تُتَطَيَّبِ
 * * *

وَالْيَوْمَ. آسَفُ لِلدَّقَائِقِ تَنْطَوِي مِنْ عُمْرِي الْغَالِي الثَّمِينِ الطَّيِّبِ
 وَالْيَوْمَ أَرْقُبُهَا وَأَرْقُبُ حَطْوَهَا فَأَعِيشُهَا مِثْلَيْنِ بَعْدَ تَرْقِيبِهَا
 وَهِيَ الْعَمِيقَةُ كَالْخُلُودِ وَإِنَّمَا تَمْضِي حَثِيثًا فِي خُطَا الْمُتَوَثِّبِ
 وَأَوْدُ لَوْ هِيَ أَبْطَأَتْ وَتَلَبَّثَتْ فِي خَطْوِهَا لَيْتَ الْوَيْدِ الْمَكْتَبِ
 تَغْلُو الدَّقَائِقُ فِي حَيَاةٍ خَضِبَةٍ وَهَوْنُ أَعْوَامٍ بِعُمُرٍ مُجَدِّبِ
 * * *

الْحُبُّ فَاصٌّ عَلَى الْحَيَاةِ بِخَضِبِهِ وَأَجَدُّ عُمْرَانًا بِكُلِّ مُخْرَبِ^(٣)
 وَأَزَاحَ أَسْتَارَ الدُّجَى فَتَكشَّفَتْ ظُلُمَاتُهُ عَنْ كُلِّ زَاهٍ مُعْجَبِ
 وَكَذَلِكَ تَحْلُو لِي الْحَيَاةُ وَتَجْتَلِي وَتَعَزُّ سَاعَاتُ الْغَرَامِ الْمُخْصِبِ
 * * *

* نشرت عام ١٩٣٤

١- النضو: هزبل والمراد: هزبل من الترقب والانتظار.

٢- تمجّه: تلفظه كارهية.

٣- أجدّ: استحدث.

الكون الجديد*

تَغَيَّرَ وَأَمَلَيْ الدُّنْيَا نَشِيدًا وَحَيَّ ذَلِكِ الْكُونِ الْجَدِيدًا
فَإِنَّ الْحَبَّ أَبَدَعَهُ؛ وَإِنِّي نَظَّمْتُ عَلَى بَدَائِعِهِ الْقَصِيدَا
أَجَلٌ حَيِّهِ فَهُوَ لَنَا، وَإِنَّا لَنَعْمُرُ كَوْنَنَا عُمْرًا سَعِيدَا
نَعِيشُ مَعِيشَةَ الطُّلُقَاءِ فِيهِ وَكُونُ النَّاسِ يُثْقَلُهُمْ قُبُودَا
وَنَمْلِكُهُ وَمَا الْأَحْيَاءُ إِلَّا أَجِيرِي هَذِهِ الدُّنْيَا عَيْدَا
وَنَبْذُرُ فِيهِ آمَالًا وَضَاءً فَيَنْبِتُ غَرْسُهَا الطَّلَعَ النَّصِيدَا

* * *

تَغَنَّى بِالرَّجَاءِ وَبِالْأَمَانِي وَبِالنُّعْمَى تَدْوِمُ لَنَا خُلُودَا
وَمِنْ فِتْنِ الْحَيَاةِ خُذِي الْأَغَانِي وَمِنْ خَفَقَاتِهَا صُوغِي التَّشِيدَا
وَمِنْ شِعْرِي؛ فَقَدْ نَظَّمْتُ فِيهِ أَهَازِيحَ الْهَوَى لِحَنًا فَرِيدَا
فَمَا أَجَلَى الْغِنَاءِ بَعْدَ شِعْرِ نَحْيِي فِيهِ عَالَمَنَا الْوَلِيدَا

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤

حب الشكور*

إِنْ لَمْ أُحِبِّكَ لِللِّسَانِ وَالنُّوْرِ
وَلِحُسْنِ وَجْهِ فِي الْحَيَاةِ نَصِيرٍ
وَلِسِحْرِ رُوحِكَ حِينَ يَخْتَلِسُ النَّهْيُ
مِنِّي فَاتَّبِعْهُ أَتْبَاعَ سَحِيرٍ^(١)
وَلَمَّا تَضَمَّنْتَ الْجَمَالَ فَأَفْصَحْتَ
بِكَ مِنْهُ سَاحِرَةَ مِنَ التَّعْبِيرِ
وَلَمَّا مُنَحِّتٌ، وَمَا مَنَحْتَ مِنَ الْهَوَى
لِلْكَوْنِ؛ أَوْ أَحْيَيْتَ مِنْ مَقْبُورٍ
إِنْ لَمْ أُحِبِّكَ حُبَّ مَفْتُونٍ وَلَا
حُبَّ الْأَسِيرِ؛ إِذَنْ فَحُبُّ شُكُورٍ
* * *

حُبِّ الَّذِي أَحْيَيْتَ فِيهِ حَيَاتَهُ
مِمَّا لَدَيْكَ مِنَ الْحَيَاةِ الْمَذْخُورِ
وَوَهْبَتِهِ مُلْكَ الْحَيَاةِ وَطَالَمَا
قَدْ عَاشَهَا كَالْعَامِلِ الْمَأْجُورِ
وَمَنَحْتَهُ مَا ضِيَهُ بَعْدَ ضِيَاعِهِ
وَأَعَدْتِ قَابِلَهُ مِنَ الْمَحْظُورِ
حُبِّ الَّذِي أَشْرَقَتْ فِي وَجْدَانِهِ
فَجَلُوتِ كُلِّ مُحَجَّبٍ مَسْتُورِ
وَنَفَخْتَ فِي عِزَمَاتِهِ فَتَوَهَّجَتْ
وَسَمْتِ لِكُلِّ مُمَنِّعٍ وَخَطِيرِ
* * *

أَوْ فَلَا أُحِبُّكَ حُبَّ مَنْ أَلْهَمْتَهُ
شِعْرًا يُضِيءُ سَنَاةَ كُلِّ شِعُورِ
وَمِنَ الْجَمَالِ نَفَخْتَهُ بَعْبِيرِ
شِعْرًا جَمَعْتَ مِنَ الْحَيَاةِ زُهُورَهُ
وَمِنَ الضِّيَاءِ وَهْبَتَهُ آمَالَهُ
وَمِنَ النَّدَى حِلْمًا كَوَجْهِ غَرِيرِ
وَبِعَثْتِهِ وَحْيِ الْحَيَاةِ وَفَنِّهَا
تَجَلُّوهُ ضَمَّنَ جَمَالِهَا الْمَأْتُورِ
* * *

أَفَلَا أُحِبُّكَ؟ إِنَّهَا لَفَرِيضَةٌ
حُبِّ الشُّكُورِ لِوَاهِبِ مَشْكُورِ

* نشرت عام ١٩٣٤

١- النهي : العقل.

عصمة الحب*

عِصْمَةُ الْحَبِّ مِنْ صَنِيعِ السَّمَاءِ وَهِيَ صِنُوقُ لِعِصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ^(١)
يُخْطِئُ النَّاسُ فِي الْحَيَاةِ اسْتِبَاقًا لِلذَّادَاتِ قَبْلَ يَوْمِ الْفَنَاءِ
وَصِرَاعًا مَا بَيْنَ جِسْمٍ وَرُوحٍ فِي شَتِّتِ الْأَمَالِ وَالْأَهْوَاءِ
وَلَوْ أَنَّ الْأَنْامَ قَدْ ضَمِنُوا الْخُلْدَ أَوْ أَنَّ الْأَرْوَاحَ مَحْضُ صَفَاءِ
لَتَسَامَوْا عَنِ الْخَطِيئَةِ كَالْقَيْدِ وَعَاشُوا مَعِيشَةَ الطُّلَقَاءِ

* * *

وَعَنَاءٍ عَنِ الْخُلُودِ غَرَامٍ هُوَ رَمَزٌ وَوَصْلَةٌ لِلْبَقَاءِ
وَهُوَ يَعْلُو بِالرُّوحِ عَنِ خَطَلِ الْجِسْمِ وَيُضْفِي عَلَيْهِ ثَوْبَ الضِّيَاءِ^(٢)
هُوَ نُورٌ وَمَا الْخَطِيئَةُ إِلَّا ظُلْمَةٌ أَوْ حَلِيفَةُ الظُّلْمَاءِ
وَهُوَ يَسْمُو عَنِ الزَّمَانِ وَمَا قَدْ يَقْتَضِيهِ الزَّمَانُ مِنْ أخطاءِ
هُوَ خُلْدٌ، وَمَا الْخَطِيئَةُ إِلَّا بَعْضُ وَحْيِ الْفَنَاءِ لِلْأَحْيَاءِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤

١- الصنوق: المثل والنظير.

٢- خطل: فساد: الكلام الفاسد الكثير المضطرب: المنطوق الفاسد

الانتظار الفالذ*

أنا بانتظارك ما أبالي رضى الهوى حُكمَ الجمال!
غبي إذن أو فأحضرى أنا قانعٌ في كلِّ حال!
راضٍ بأحلامي التي تُضفي عليك حليَّ الجلالِ
لستِ الملوّمةُ إنني أنا رشْتُ أجنحةَ الدلالِ!^(١)
ما للجمالِ متى بدأ إلا التّخشعُ في ابتهاجِ

* * *

أنا بانتظارك في الشروقِ وفي الغروبِ وفي الزوالِ
أنا بانتظارك حين أضحو طلعةً مثلَ اللّالي
أنا بانتظارك حين أغم فو طائفاً مثلَ الخيالِ
وإذا قربت تطلّعتُ نفسي إلى القُربِ الموالِي!
وإلى التّمازجِ بيننا حنيّ النحورِ إلى كمالِ
هو ذاك سرُّ تنظري أبدا إليك؛ فما احتيالي؟

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤
١- رشْتُ: السهم، جعل له الريش.

العاب المكرهه!

كَرِهْتُكَ أَيُّهَا الْحُبُّ كِرَاهَةً مُحَنَّقٍ غَاضِبٍ
وَضَجَّ بِهَوْلِكَ الْقَلْبُ وَمَا تَبْلُوهُ مِنْ وَاصِبٍ^(١)

كَرِهْتُكَ حَيْرَةً كُبْرَى جَحِيماً كُلُّهُ حَرَقٌ
كَرِهْتُكَ لَهْفَةً حَرَى وَشَوْقاً كُلُّهُ نَزَقٌ

كَرِهْتُكَ رِيَّةً فِينَا وَفِي الدُّنْيَا وَفِي النَّاسِ
نُكْذَبُ مَا بِأَيْدِينَا وَتَسْمَعُ هَمْسَ وَسَوَاسِ

كَرِهْتُكَ غُلَّةً^{٣٨} ظَمِئْتُ وَلَا رِيٍّ وَلَا مَاءَ
وَوَقَدْتُهَا قَدْ اشْتَعَلْتُ وَفِي التَّلْطِيفِ إِذْكَاءُ

كَرِهْتُكَ سَهْدَ أَجْفَانٍ وَصَحْواً فِي الدُّجَى الْمُهْمَمِ
كَرِهْتُكَ مَهْدَ أَشْجَانٍ وَمُدْكَي وَقَدِهَا الْمُضْرَمِ

* نشرت ١٩٣٤

واصب: من وَصَبَ: مرض.

كرهتك شغلي الشاغل وآمالي وآلامي
وماضي العمر والآجل وليالي وآيامي

كرهتك دورة الزمن بلا حد ولا فاصل
وصلت الصحو بالوسن بإحسايس لنا شاغل

كرهتك لست موقفاً على حب يقيدني
كرهت العيش ملهوفاً على أمل يسوفني

وداعاً أيتها الحب كرهتك فارتحل قدما
كرهتك لم يعد قلب بصدري يحمل الأما

سأحيا خامد الحس فلا حب ولا أمل
ستخبو شعلة النفس ويمضي ذلك الأجل

نكسة!*

خَفَقْتَ يَا قَلْبُ ! . مَاذَا أَنْكَسَتْ مِنْ جَدِيدٍ؟^(١)
تَوْتُبُ الْحَبَّ هَذَا ؟ بَعْدَ الْهُدُوءِ الْمَدِيدِ
وَبَعْدَ فَكِّ الْقَيْودِ

* * *

يَا قَلْبُ مَاذَا أَتَارَكَ ؟ وَهَاجَ فِيكَ الْحَيْنَا؟
وَقَدْ خَلَعْتَ إِسَارَكَ وَعِشْتَ كَالنَّاسِ حِينًا^(٢)
أَوْ عِشْتَ كَالهَادِثِينَا !

* * *

لَقِيْتَهَا يَا فُؤَادِي أَنْكَسَتْ الْحَبَّ لَقِيَا؟
كَالنَّارِ تَحْتَ الرَّمَادِ مَا يَلْبُثُ الْحَبُّ حَيًّا
مَا أَعْجَبَ الْحَبَّ دُنْيَا !

* * *

يَا قَلْبُ فَادْكَرْ عَذَابَكَ فِي الشَّكِّ أَوْ فِي الْيَقِينِ
فَهَلْ نَسِيتَ اضْطِرَابَكَ؟ بَيْنَ الْقَلَى وَالْحَيْنِ^(٣)
وَبَيْنَ سُودِ الشُّجُونِ؟

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤

١- النكسة: العودة رأساً على عقب. والمراد العودة إلى المرض بعد العافية.

٢- إسارك: قيدك.

٣- القلى: البغض والحجر.

وَبَيْنَ إِنْ قِيلَ غَابَتْ أَوْ قِيلَ الْآنَ تَأْتِي!
وَبَيْنَ فَوْزٍ مُبَاغِتٍ أَوْ حَسْرَةٍ بَعْدَ فَوْتٍ
وَحَيْرَةٍ كُلِّ وَقْتٍ

أَرَاكَ يَا قَلْبُ لَمَّا تَسْمَعُ، وَلَمْ تَتَذَكَّرْ
وَمَا تَحَاوُلْ كَظْمًا لِحَفَقِكَ الْمُتَسَعَّرِ
وَمَا تَرِيدُ التَّدْبِيرُ

عَلَيْكَ يَا قَلْبُ وَزَرَكَ فَاحْفَقْ إِذَنْ بَلْ فَخَاطِرُ؟
فَلَيْسَ يُجَدِّدُكَ حَاذِرُكَ إِذَا هَمَمْتَ تُحَاذِرُ
خَاطِرُ بِنَفْسِكَ خَاطِرُ؟

على أطلال العيب *

تَفَرَّدَ ذلِكَ الطَّلُّ وطافَ بركنَه الوَجَلُ
يُعْتَى اليأسُ صَفَحَه ويُرِقُّ تحته الأملُ
وَتَمِسُ حوله الذِّكْرَى فتلمعُ بينها الشُّعْلُ
جَفَاه أهله مَلًّا فَحِيمَ فوقه المَلُّ
عَزِيزٌ عَهْدُهُمْ فِيهِ عَزِيزٌ أَنْتَ يَا طَلُّ

* * *

بَنَاه خَيْرٌ بِنَاءٍ بَنَاه الحُبُّ مُبْتَدِعَا
وَبَثُّ على جَوَانِبِهِ مَفَاتِنَ تَفْتِنُ الوَرَعَا
وَأَطْلَقَ حوله سِحْرًا يَبُثُّ الشُّوقَ والوَلَعَا
وَأَنْشَدَ بِاسْمِهِ شِعْرًا مِنَ الآمَالِ مُنْتَزِعَا
وَزَلَّلَ أهله الأملُ فماذا جَدَّ يَا طَلُّ ؟

* * *

خَرِيفٌ بَاكِرٌ حَلًا خَرِيفٌ الْحَبِّ وَالْعُمْرِ
فَحَطَّمْ كُلَّ شَامِخَةٍ عَلَى الْأَحْدَاثِ وَالذَّهْرِ
وَعَطَّلْ كُلَّ فَاتِنَةٍ مِنَ الْإِغْرَاءِ وَالسَّحْرِ
وَأَبْطَلْ كُلَّ سَاحِرَةٍ وَأَسَكَّتْ نَعْمَةَ . الشَّعْرِ
فَعَادَ بِنَاؤُهُ طَلَلًا فَوَيْحَكَ أَيُّهَا الطَّلَلُ
ذَلَفْتُ إِلَيْهِ مَلْهُوفًا تَحْتُ حَيِّئِ الذِّكْرَى
فَاطْرَقَ لَا يُحَدِّثُنِي وَأَرْسَلَ زَفْرَةً حَرَى
وَجَدْتُ لِقْوَهَا لَذْعًا كَأَنِّي أَلْمَسُ الْجَمْرَا
وَتَاهَتْ نَفْسِي الْوَلَهْيَ وَأَسْرَتْ رُوحِي السَّكْرَى
وَقُلْتُ وَقَدْ نَزَا أَلْمِي «فِدَاكَ الْكُونُ يَا طَلَلُ» ؟

* * *

صدي قبلة*

حرارتها لم تزل فائره ونكهتها لم تزال عاطره
 أحس حرارتها في دمي كما تصرخ الشعلة الثائرة
 أنشق نكهتها كالشذى يفوح من الزهرة الناضرة
 ومخطر ريانة في فمي كما يخطر الحلم بالذاكرة
 وبين يدي صدى ضمة تردد كالنغمة السائرة^(١)
 أجل! ليس هذا الذي قد ضمت سوى نغمة حلوة عابرة
 أذلك جسم! فأين الخيال وأين عرائسه النافرة؟
 تقدست من قبلة قدست مناي وأوهامي الحائرة
 وأزكت حياتي وإن الحياة هي الفتنة الحية الطائرة
 أجل هي أظهر ما في الوجود فما الرجس إلا القوى الحائرة
 لجسم ما كان في خاطري خيالاً وأمنية طائره
 وقربت للمس ما لم تكن تقربه الفكرة الخاطره
 وأسريت بالروح في لثمة تحس بها الشفة الشاعره
 أمعجزة أنت تمزج بين الجسم وبين القوى الطافره؟^(٢)
 قوى كل هيكل هذا الوجود كذلك قدرت يا قاذرة!

* نشرت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٣٧.

١- السائرة: المنشورة.

٢- الطافرة: من طفر: وثب: أسرع.

وَإِنِّي لِأَغْمِضُ فِي نَشْوَةٍ وَأُمْسِكُ أَنْفَاسِي السَّاعِرَةَ
وَأَخْطُرُهَا قُبْلَةً فِي فَمِي فَاسْمَعُ أَصْدَاءَهَا السَّاحِرَةَ
وَأَسْتَرْجِعُ اللَّحْظَاتِ الْقِصَارِ فَأُلْفِي بِهَا صُوراً وَافِرَةَ
وَأَعْرِضُهَا مَنظَراً مَنظَراً كَمَا عُرِضَتْ قَبْلُ لِلْبَاصِرَةَ
ثَوَانِ تَرَكُّزٍ فِيهَا الزَّمَانُ تُبَارِكُ دُنْيَايَ وَالْآخِرَةَ

* * *

غنيًا ... !*

غِنِيَّةٌ أَنْتِ بِالتَّعْبِيرِ قَدْ ذَخَرْتِ أَطْوَاءَ نَفْسِكَ مِنْهُ زَادَ أَحْقَابِ
وَهَيْتِي مِنْهُ أَشْتَاتًا مَنُوعَةً وَزِدْتِي مِنْهُ فِي وَجُودِ وَإِسْنَهَابِ
فِي كُلِّ جَارِحَةٍ عُنْوَانُ مَلْحَمَةٍ مِنَ الْحَدِيثِ ، وَسِرٌّ جَدُّ جَذَابِ
تَقْصُّ تَارِيخَهَا فِي فَنِّ رَاوِيَةٍ مَنْسُقِ النَّبْرِ ذِي لَحْنٍ وَإِطْرَابِ^(١)
وَإِنَّ تَارِيخَهَا أَقْصُوصَةٌ جَمَعَتْ تَجَارِبَ الْكُونِ فِي أَحْلَامِ أَرْبَابِ
تَجَارِبِ الْكُونِ فِي سَحْرِ وَفِي فِتْنِ مِنْ نُضْرَةِ الرَّوْضِ أَوْ مِنْ وَحْشَةِ الْغَابِ
وَمِنْ سَنَاءِ الدَّرَارِيِّ فِي تَأْلُقِهَا وَرَهْبَةِ الْكُونِ فِي جُنْحِ الدَّجِيِّ الْحَابِيِّ^(٢)
وَمِنْ غُمُوضِ الصَّحَارِيِّ فِي مَجَاهِلِهَا وَالْعِلْمِ الرَّحْبِ يَطْعَى جَدُّ صَخَابِ
وَمِنْ صِيَالِ الصُّوَارِيِّ فِي تَقْحُمِهَا وَمِنْ أَغَارِيدِ أَطْيَارٍ وَتَنْعَابِ^(٣)
وَفَرَحَةِ الظَّافِرِ النَّشْوَانِ حَافِقَةً تَحْتَالُ مُعْجَبَةً فِي خَطْوِ وَثَابِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٧

١- النبر: إبراز النطق والصوت.

٢- الدراري: مفردها دُرِّيٌّ، وهو كوكب لامع.

٣- التنعاب والنعيب: صوت البوم.

هذا حديثك بينا أنت صامتة وَعَيْتُهُ كُلَّهُ فِي صَمْتِ مِحْرَابِ
 فهل بلغت مدى ما أنت زاحرة من التجاربِ في خَلْقِ وَإِنجَابِ ؟
 لا . لا وحقك لم أبلغ سوى طَرْفٍ من الحديثِ على وَفْرِ وَإِطْنَابِ
 وخَلَفَ ذَلِكَ كَنْزُ كُلِّهِ طَرْفٌ يَزِيدُ مَذْخُورَةً فِي كَفِّ وَهَابِ
 وَإِنَّ عِنْدَكَ مَا تُعْطِينَهُ أَبَدًا لِلْسَائِلِينَ بِإِفْصَاحِ وَإِغْرَابِ
 * * *

العينُ . ماذا تقص العَيْنُ مِنْ خَيْرٍ مُسَلَّسٍ فِي حَنَايَا النَفْسِ مُنْسَابِ ؟
 وما الذي أبدعتِ للفنِ إِذْ هَمَمْتَ لِلْأَمْنِيَاتِ فَلَبَّتْ بِضَعُ أَنْرَابِ ؟
 وَأَفْصَحْتَ عَنْ حَنِينِ كَامِنٍ وَهَوَى يَسْرِي الْهَوِيْنِي شَفُوفًا بَيْنَ أَهْدَابِ ؟
 وَالتغْرِ مَاذَا يَبِثُّ التَّغْرُ مِنْ قُبْلِ فِي صِمْتِهِ الْعَذْبِ ، بَلْ فِي سِحْرِهِ السَّابِي^(١)
 وَإِنْ فِيهِ لِقُبَلَاتٍ قَدْ ارْتَسَمَتْ مِنْ بَعْدِ مَا نَضَّجَتْ ، لِلْأَثْمِ الصَّابِي^(٢)
 * * *

والجسمُ . ماذا يقولُ الْجِسْمُ قَدْ خَفَقَتْ فِيهِ الْحَيَاةُ ، وَتَاهَتْ تِيَهُ غَلَابِ ؟
 يقولُ مَا تَعْجَزُ الدُّنْيَا بِرُمَّتِهَا عَنْ أَنْ تَقُولَ بِتَصْوِيرِ وَإِعْرَابِ
 * * *

خُلَاصَةٌ أَنْتِ مِنْ فَنِّ الْحَيَاةِ حَوَتْ جَمِيعَ مَا تُبَدِّعُ الدُّنْيَا لِإِعْجَابِ
 غِيَّةً أَنْتِ بِالتَّعْبِيرِ قَدْ ذَخَرْتِ أَطْوَاءَ نَفْسِكَ مِنْهُ زَادَ أَحْقَابِ
 * * *

وهي جديد *

فِي خِفَةِ الطَّيْرِ فِي نُضْرَةِ الرَّهْرِ
 لَا قِيَّتَهَا عَرَضاً بَسَامَةً النَّغْرِ
 فَتَانَةٌ تُغْرِي بِالسَّحْرِ وَالطُّهْرِ
 تَهْفُو فَتَحْسَبُهَا لِحْنًا هَفَا يَسْرِي
 فِي لَفْتَةٍ الْجِيدِ فِي خَفَقَةِ الصَّدْرِ
 «تَقْسِيمٌ» مَوْسِيقِيًّا أَمْنَعُومَةً النَّبْرِ

يَا بَسْمَةَ الْفَجْرِ يَا نَفْحَةَ الْعَطْرِ
 أَسْكُرْتِ مِنْ لَوْنِكِ الْخَمْرِي
 أَلْهَبْتِ إِحْسَاسِي بِالشَّقِيقِ كَالْجَمْرِ
 وَهَمَسْتِ فِي قَلْبِي وَهْتَفْتِ فِي صَدْرِي
 وَبَعَثْتِنِي أَشْدُو لِلْحَبِّ بِالشَّعْرِ
 وَكَأَنِّي رُوحٌ تَقْفُو خُطَا سِحْرِ
 مَقْتُونَةٌ تَرْنُو لِلْكَوْنِ فِي سُكْرِ
 وَالْكَوْنِ يَشْمَلُهَا بِالْأَنْسِ وَالْبِشْرِ

* نشرت عام ١٩٣٧

عَجَى لَمَّا ألقى مِنْ لُغْزِكَ السَّحْرَى!
وَحَى يُوسُوسُ لي في السَّرِّ والجَهْرِ
حَوَّلَتْ عُمْرِي مِنْ شَطْرٍ إلى شَطْرِ
حَبَّتِي، عَجَبًا! في عَيْشَةِ الوَكْرِ
قَدْ كُنْتُ أَزْهَبُهَا كَالنَّابِ وَالظُّفْرِ!
وإِخَالَهَا شَرَكًا في البَرِّ والبَحْرِ!
إِذْ كُنْتُ أَدْمَعُهَا بِالشَّكِّ والغَدْرِ
فمَلَأْتَنِي ثِقَةً بِجَمَالِهَا المَعْرِي
ورسَمْتَ لي صُورًا لِفِرَاحِهَا الحُضْرِ
تَزُقُّو فَنَطْعُمُهَا بِحَنَانِنَا النَّضْرِ
وَنَرِيشُ أَجْحَةَ مِنْ رِيشِهَا النَّزْرِ
فَطِيرُ هَازِجَةٌ في جَوْنَا الشَّعْرِي
وتَوُوبُ وَاذِعَةٌ لِلْعُشِّ كَالطَّيرِ!
* * *

يَا فَتَنَّتِي، هَذَا طَيْفٌ مِنْ السَّحْرِ
إِنْ تَأَذَّنِي أَضْحَى شَطْرًا مِنْ العُمْرِ
فَهَبِي لي رُوحًا مِنْ رُفِيَةِ الثُّغْرِ
هي قُبْلَةٌ تُمَضِّي مَا شِئْتُ مِنْ أَمْرِ
وَكَأَنَّهَا قَدَرٌ بِسَعَادَتِي يَجْرِي
* * *

أكذوبة أسوان *

بعد عام أحس في نفسه بالسلوان، وأحس بمغاليق نفسه تفتح للجمال.
ولكنه تنبه إلى أن كل نموذج جميل يفتح له قلبه فيه شبه أو سمة من
الجمال الذي حسب نفسه قد سلاه وإذا هو يهفو إلى الماضي، والماضي
وحده دون سواه.

الآن أعلم أن كل خواطري تهفو إليك كرققات الطائر^(١)
ما كان سلوانى سوى أكذوبة خدعت بها نفسي خديعة شاعر
بين الشغاف وفي مناي وفي دمي ألك هاجة وبين سرائري
أنساك؟! كيف وأنت بين جوانجي شطري الجميل وأنت وحي خواطري؟
أنساك والآمال والذكرى معاً موصولة بك في صميم مشاعري؟
وإذا هفتوت إلى الجمال فإنما أهوى مثالك في الجمال العابر
أنساك إذ أنسى حياتي كلها فإذا حييت فأنت أول خاطر
نبض الربيع فكنت أول نابض في خاطري يهفو وأول زائر
وهفت للماضي الذي قد أودعت نفسي لديه رغائبي وذخائري
أنا ذلك الماضي الذي لا يتقضي أنا ذلك الماضي يعيش بخاطري!

* * *

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٤٣

١ - الرقعة: التحرك والارتجاج.

ملم الحياة*

«وهل الحب سوى حُلْمٍ نَدِيٍّ في صحراءِ اليقظةِ المُحرِّقةِ ورؤيا مُشعَّةٍ في ظلامِ الحياة؟».

أَيُّهَا الحُلْمُ الَّذِي كَانَتْ حَيَاتِي مِنْ حَوَالِيهِ دُعَاءٌ وَصَلَاةٌ
وَتَسَابِيحٌ وَعَتَهَا أُغْنِيَاتِي وَانْتِشَاءٌ بِأَفَاقِ الحَيَاةِ^(١)
أَيُّهَا الحُلْمُ الَّذِي أَطْلَقْتَنِي مِنْ قِيُودِي نَحْوَ آفَاقِ عَجِيْبِهِ
وَالَّذِي فِي الصَّخْرَةِ قَدْ طَوَّقْتَنِي بِتَهَاوِيلِ مِنَ الوَهْمِ حَيِّبِهِ
أَيُّهَا الحُلْمُ الَّذِي طَهَّرَ نَفْسِي بِالْعَذَابِ الحُلُوِّ وَالدَّمْعِ الطَّهْوَرِ
وَالَّذِي أَفْعَمَ بِالْأَمَالِ كَأْسِي وَحَبَانِي بَعْدَ رُشْدِي بِالعُرُورِ!
أَيُّهَا الحُلْمُ الَّذِي رَدَّ عَلَيَّا نَزَقَ الطِّفْلِ وَأَهْوَاءَ العِلْمِ^(٢)
وَالَّذِي نَدَى بِدَمْعِي مُقْلَتِي وَعَلَى إِثْرِ بُكَائِي الِابْتِسَامِ!
أَيُّهَا الحُلْمُ الَّذِي جَسَمَ وَهْمِي فَإِذَا الأَوْهَامُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَةٌ
تَتَجَلَّى فِي أَحَاسِيسِي وَهَمِّي صِلَةٌ بِالرُّوحِ وَالجِسْمِ وَثِيقَةٌ
أَيُّهَا الحُلْمُ الَّذِي أَطْلَعَهَا فِي حَيَاتِي مِثْلَمَا تَطْلُعُ نَجْمَةٌ
وَأَرَانِيهَا كَمَا أَبْدَعَهَا فِتْنَةً تَشْقَى بِهَا الدُّنْيَا وَنِعْمَةٌ

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٤١ م

١- أفأويق: ما اجتمع مرة بعد مرة، من حليبٍ أو سحابٍ.

٢- نزق: حَفَّ وطاش.

أَيُّهَا الْحُلْمُ الَّذِي هَيَّا لِي أَنَّهُا فِي ذَلِكَ الْكُونِ فَرِيدَةٌ
وَالَّذِي جَسَمَ فِيهَا أَمَلِي وَأَمَانِي اللَّهْفَاتِ الشَّرِيدَةَ
أَيُّهَا الْحُلْمُ الَّذِي ظَلَّلَهَا فِي خَيَالِي بِأَعَاجِبِ الظَّلَالِ
فَبَدَتْ حُورِيَّةً جَلَّلَهَا أَلْقَ الطُّهْرَ وَإِشْرَاقَ الْجَمَالِ
أَيُّهَا الْحُلْمُ الَّذِي صَوَّرَهَا كُلَّ يَوْمِ صُورَةٍ مِنْهَا طَرِيفَةٌ
كُلُّهَا تَبْدُو - وَمَا أَكْثَرُهَا - عَذْبَةٌ جَذَابَةٌ اللَّحْمِ شَفِيفَةٌ
أَيُّهَا الْحُلْمُ الَّذِي جَمَّلَ عِنْدِي كُلَّ مَا عَنَّ لَهَا مِنْ نَزَوَاتِ!
وَالَّذِي عَلَّقَ وَجْدَانِي وَجَهْدِي بِالَّذِي يَسْدُو لَهَا مِنْ بَدَوَاتِ!
أَيُّهَا الْحُلْمُ الَّذِي أَوْقَدَهَا شُعْلَةً هُوَ جَاءَ تَذْكُوفِي فِي دَمِي
كَلَّمَا تَلَمَّسُ كَفِّي يَدَهَا تَلَمَّسُ النَّشْوَةَ قَلْبِي وَفِي!
أَيُّهَا الْحُلْمُ الَّذِي كَانَ وَكَانَ أَيْنَ نَحْنُ الْآنَ مِنْ هَذَا الزَّمَانِ؟
أَيْنَ أَنْتَ الْآنَ يَا سِرَّ حَيَاتِي أَيْنَ أَنْتَ الْآنَ يَا مَعْنَى وَجُودِي!
أَيْنَ يَا وَحْيِ نَشِيدِي وَصَلَاتِي؟ أَيْنَ؟ فِي وَادٍ مِنَ الصَّمْتِ بَعِيدِ
بَيْنَنَا وَادٍ مِنَ الْبُعْدِ سَحِيقِ بَيْنَمَا أَنْتَ هُنَا مَلَأَ فُرَادِي
كَأَلِهِ حَوْلَهُ الصَّمْتُ الْعَمِيقِ وَهُوَ فِي كُلِّ شَعُورٍ وَفُؤَادِ
لِمَ يَا حُلْمُ قَدْ أَيْقَظْتَنِي فَإِذَا الصَّحُورُ خَوَاءٌ^٣ فِي خَوَاءِ
لِمَ يَا حُلْمُ قَدْ فَارَقْتَنِي فَإِذَا الْكُونُ هَبَاءٌ فِي هَبَاءِ
أَيُّهَا الْحُلْمُ تُرَى كُنْتَ خَدَاعًا إِلَيْهِ مَا أَصْدَقَهُ هَذَا الْخَدَاعُ!
أَيُّهَا الْحُلْمُ الَّذِي فَاتَ وَدَاعًا مَا الَّذِي تَمْلِكُهُ غَيْرَ الْوَدَاعِ؟

* * *

الكأس المسمومة*

أَفْلَاكِ أَفْلَاكِ كَالشَّيْطَانِ أَفْلَاكِ أَفْلَاكِ كَالسَّمِّ يَسْرِي جَدَّ فَتَاكِ^(١)
 وَأَفْلَاكِ: إِنَّكَ فِي نَفْسِي وَفِي زَمَنِي وَفِي حَيَاتِي أَفْعَى ذَاتَ أَشْوَاكِ
 وَسَمَّمْتَ عَيْشِي وَأَحْلَامِي وَأَخِيلَتِي وَأَنْتَ شَيْطَانَةٌ فِي سَمْتِ أَمَلَاكِ
 وَعَشْتِ أَرْعَاكِ فِي قَلْبِي وَأَنْتَ بِلَا قَلْبٍ يُحْسُ وَيَرْعَى كَيْفَ أَرْعَاكِ
 مَنْ أَنْتِ؟ مَا أَنْتِ؟ إِنْ حَاتَرَ قَلْقُ أَنْتِ أَسْطُورَةٌ فِي سِفْرِ أَفَاكِ؟^(٢)
 * * *

أَنْسَى اللَّيَالِي الَّتِي قَضَيْتُهَا قَلْقًا وَأَنْتِ سَاكِنَةٌ رَاضٍ مُحْيَاكِ
 أَنْسَى الدَّمُوعَ الَّتِي أَرْسَلْتَهَا غَدَقًا وَلَسْتُ لَوْلَا هَوَاكِ الْمُرُّ بِالْبَاكِ
 وَكِبْرِيَائِي الَّتِي مَا كُنْتُ أَخْفِضُهَا مِنْ قَبْلِ أَوْ بَعْدُ فِي دُنْيَايَ لَوْلَاكِ
 أَنْسَى. وَأَذْكَرُ أَحْلَامِي وَأَخِيلَتِي كَأَنَّهُنَّ نَجُومٌ بَيْنَ أَحْلَاكِ
 وَكَلَّهِنَّ نَسِيجَ الْوَهْمِ فِي خَلْدِي وَلَسَّنَ غَيْرَ أَحَابِيلٍ وَأَشْوَاكِ
 * * *

أَفْلَاكِ؟ لَيْتَ! فَإِنِّي لَسْتُ أَفْلَاكِ أَهْوَاكِ؟ لَيْتَ! فَإِنِّي لَسْتُ أَهْوَاكِ
 أَهْوَى وَأَقْلَى وَأَيَامِي مُورَعَةٌ بَيْنَ الْهَوَى وَالْقَلَى كَالضَّاحِكِ الْبَاكِ
 هَذَا الرَّحِيقُ وَهَذَا السَّمُّ قَدْ مُزِجَا وَلَسْتُ أَرُؤَى بِكَاسٍ غَيْرَ رَبِّيَاكِ
 هَاتِي لِي السَّمَّ صِرْفًا لَا يُمَارِجُهُ هَذَا الرَّحِيقُ فَإِنِّي لَسْتُ بِالشَّاكِي
 مَلَلْتُ كَأَسْكَ لَا أَلْتَدُّ نَشْوَتَهَا وَلَا أَحْطُمُهَا تَحْطِيمَ سَفَاكِ

* نشرت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٣

١- أفلاك: أكرهك.

٢- أفاك: الكذاب، المفترى.

وهي لقاء*

هَذَا اللَّقَاءُ كَأَنَّهُ ذَكَرَى مَكْنُونَةً فِي عَالَمِ النَّفْسِ
وَكَأَنَّهُ وَهَمٌّ أَجْسَمُهُ لَا حَادِثٌ فِي عَالَمِ الْحِسِّ

هَذَا اللَّقَاءُ الْخَاطِفُ الْوَاجِفُ وَتَلَفُّفُ الْأَنْظَارِ فِي حَذَرِ
كُثْمَالَةِ الْأَحْلَامِ، كَالذِّكْرَى فِي رِعْشَةِ اللَّفَاتِ وَالصُّورِ

أُخْتَاهُ. وَاعْجِبًا لَنَا! عُدْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرِيبَيْنِ
عُدْنَا إِذَا مَا خَلْسَتْ سَنَحَتْ نَمْضِي عَلَى حَذَرٍ كَلِصِّينِ!

أَلْفَاكَ مِثْلَ الطَّيْفِ عَابِرَةً وَكَأَنَّ مَا قَدْ كَانَ مَا كَانَا
وَكَأَنَّمَا الْأَيَّامُ مَا شَعَرْتُ أَنَا عَمَرْنَا قَطُّ دُنْيَانَا!

وَتُفَكِّرِينَ كَأَنَّمَا افْتَرَقْتُ مِنْ مَطْلَعِ الدُّنْيَا طَرِيقَانَا
وَتَذَكِّرِينَ كَأَنَّمَا اجْتَمَعْتُ فِي خَاطِرِ الْأَيَّامِ ذِكْرَانَا!

مَا أَنْتِ؟ إِي لَمْ أَجِدْ أَبَدًا أَيْ كَشَفْتُكَ قَطُّ فِي النُّورِ
مَا أَنْتِ إِلَّا فِكْرَةٌ شَرَدْتُ مَا أَنْتِ إِلَّا طَيْفٌ مَذْعُورِ!

وَشَقِيَّةُ الْخُطُواتِ عَائِرَةٌ فِي حَيْثُمَا اتَّجَهْتَ لِمَأْمُولِ
وَكَأَنَّمَا نَمْضِي مُرَوَّعَةً وَضَمِيرُهَا يُضْفِي لِمَجْهُولِ!

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٤٤

علم الضجاء *

عَجَباً! أَنْتِ مَا تَزَالِينَ حُلْمِي وَمِثَالِي وَفَكْرَتِي وَنَشِيدِي
 مَا تَزَالِينَ فِي خَيَالِي رَمزاً لِرَجَاءِ مَنْوَرٍ مِنْ بَعِيدِ
 مَا تَزَالِينَ حَافِزاً لِحُجُودِي مَا تَزَالِينَ غَايَةً لِحُجُودِي
 أَتَحَاشَاكَ بِالْجَفَاءِ وَبِالْبَأْسِ فَأَرْتَدُّ سَاحِراً مِنْ جُهْدِي
 أَتَحَاشَاكَ كَالْجَحِيمِ وَكَالْشَّمِّ وَلَكِنْ إِلَيْكَ يُفْضِي سُرُودِي
 * * *

عَجَباً! تَرْكُدُ الْحَيَاةُ فَانْسَاكِ قَلِيلاً فِي غَمْرَتِي وَرُكُودِي
 فَإِذَا دَبَّتْ الْحَيَاةُ تَرَاءَى كَطَيْفٍ مُسْتَيْقِظٍ مِنْ هُجُودِ
 وَتَرَاءَتْ تَرِقُّ حَوْلَكَ أَطْيَافٌ لِمَا كَانَ بَيْنَنَا مِنْ عُهُودِ
 كُلِّ مَالٍ مَسْتِ يَدَاكَ وَمَا مَسَّ هَوَانَا مِنْ قِيَمٍ وَزَهِيدِ
 أَمَلَاهُ بِالْخِيَالِ وَبِالْحُبِّ مَسَّ كَهَاؤِ مِنْ عَالَمٍ مَوْعُودِ
 * * *

عَجَباً! بَعْدَ كُلِّ مَا كَانَ مِنَّا مِنْ صِرَاعٍ دَامٍ وَجُهْدٍ جَهِيدِ
 أَتَمَنَّاهُ فِي الْمَنَامِ وَفِي الصُّحُوفِ وَتَمَنَّى الْعَقِيمِ وَجَهَّ الْوَلِيدِ
 وَإِذَا سِرْتُ فِي الرَّحَامِ فَعَيْنِي لِحَيَالِ مُسْتَشْرِفٍ مِنْ بَعِيدِ!
 لَهْفَةً تَمَلُّوا الْحَيَاةَ حَيْنياً لِرَجَاءِ مُجَسَّمِ مَفْقُودِ
 أَنْتِ حُلْمُ الْحَيَاةِ فِي صَحْوَةِ الْفَجْرِ فَأَنْسِي° لِحُلْمِنَا مِنْ مُعِيدِ
 * * *

* نشرت: في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٤

انتهينا*

انْتَهَيْنَا قَدْ مَضَى الْمَاضِي جَمِيعاً وَمَضَيْنَا
انْتَهَيْنَا لَمْ نَعُدْ نَسْأَلُ أَيَّانَ وَأَيْنَا؟!
أَوْ نَمُدُّ الْيَوْمَ لِلْأَحْلَامِ وَالْأَوْهَامِ عَيْنَا
انْطَوَى الْحُلْمُ الَّذِي لَاحَ زَمَاناً وَانْطَوَيْنَا
وَيْدُ الدَّهْرِ تَمَشَّتْ تُسْبِلُ السِّتْرَ عَلَيْنَا
* * *

أَضْرِبِي فِي زَحْمَةِ الْأَرْضِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقِي
فِكْرَةً ضَلَّتْ وَحُلْمًا يَتَوَارَى عَنِ مُفِيقِ
وَلُقَى يَقْذِفُهُ الْمَوْجُ إِلَى الشَّطِّ السَّحِيقِ
وَهَوَى يَخْسِرُهُ الْفَنُّ، عَلَى عَيْنِ الصَّدِيقِ
وَسَنَى يَطْمِسُهُ اللَّيْلُ إِلَى غَيْرِ شُرُوقِ
* * *

وَأَنَا الْمَكْدُودُ فَلْيُلْقِ إِلَى الْأَرْضِ عَصَاهُ
أَنْ لِلْمُجْهَدِ أَنْ تَسْكُنَ فِي الْأَرْضِ خُطَاهُ
أَنْ أَنْ يَصُمْتَ لَا تَهْتَفُ شَوْقاً شَفَتَاهُ
أَنْ أَنْ يُغْمِضَ لَا تُوقِظْهُ وَهَنًا رُؤَاهُ
جَاوَزَ الْجُهْدُ قُوَاهُ، فَتَهَاوَتْ قَدَمَاهُ
* * *

* نشرت عام ١٩٤٥

طَالَ هَذَا الْحُلْمُ حَتَّى صَارَ فِي النَّفْسِ عَيَانًا
وَمَضِينَا فِي طَرِيقِ الْوَهْمِ تَنْسَابُ خُطَانَا
تَهْدُمُ الْأَيَّامُ مَا نَبْنِي فَتَنْبِيهِ رُؤَانَا!
وَنُخْوِضُ الشُّوكَ يُدْمِينَا فَتَمْضِي قَدَمَانَا
تَتَّبِعُ الْوَهْمَ الَّذِي صَاغَ مِنْ الشُّوكِ جَنَانَا

* * *

يَا لِهَذَا الْحُلْمِ وَالْأَيَّامِ تَمْضِي وَاللَّيَالِي
عَابَثَاتٌ بِالْأَمَانِي وَهُوَ يَمْضِي لَا يُبَالِي
يَغْلِبُ الْوَاقِعَ فِي الْأَرْضِ بِتَخْلِيقِ الْخِيَالِ
وَيَرَى خَلْفَ الرُّؤْيَى وَالصَّحَارَى طَيْفَ آلِ^(١)
فَيُرَوِّدُ الْأَفَقَ ظَمَانًا مَشُوقًا لِلظَّلَالِ

* * *

قَدْ مَضَى وَالْعُمْرُ يَمْضِي وَالْأَمَانِي وَالزَّمَانَ
وَأَنْتَهَيْنَا. وَصَحَا بَعْدَ الْأَوَانَ الْحَالِمَانَ
عَجَبًا. قَدْ كَانَ حُلْمًا. لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ كَانَ
الْعَيَانُ الْيَوْمَ كَالْحُلْمِ وَحُلْمِي كَالْعَيَانِ
صَمَتَ الدَّهْرُ عِيَاءً وَمَضَى يَخْطُو الزَّمَانَ

* * *



وإدعاً كالزهر حياه التسييم
سأهياً كالصمت في ظلي الوجوم
حالمًا يضحو قليلاً ويهيم
بين أطراف الأمانى
وخيالات الهموم

وردة ذابطة*

قد تَوَلَّتْ وَدَوَّتْ نُصْرَتُهَا وَبَدَتْ كَالْيَتِ الْمُخْتَصِرِ
تَفْتَحُ الْأَجْفَانَ أَوْ تَغْمِضُهَا فَتَحَةَ الضَّعْفِ وَغَمَضَ الْخَوْرِ
وَشَذَاهَا لَمْ يَزَلْ يُفَعِّمُنِي فَيَعِيدُ الشَّجْوَ لِي بِالذِّكْرِ

العود*

مُحَلَّلُ الْقَلْبِ أَنْعَاماً وَأَلْحَاناً وَمُلْهِمُ الْوَحْيِ إِسْرَاراً وَإِعْلَاناً
وَمُوقِظُ النَّفْسِ إِنْ طَافَتْ بِهَا سِنَّةٌ وَأَنْتَ تَهْمِسُ بِالْأَنْعَامِ وَسَنَاناً
وَمُطَلِّقُ الرُّوحِ تَسْمُو فِي مَعَارِجِهَا^١ وَتَطْرُقُ الْعَالَمَ الْعُلُويَّ أحياناً
وَبَاعَتْ الذِّكْرَ اللَّائِي إِذَا اشْتَجَرَتْ أَثْرُنَ فِي النَّفْسِ آلاماً وَأَشْجَاناً
وَوَاهِبُ الْحِسِّ لُطْفاً فِي مَدَارِكِهِ وَمُوحِي الشَّعْرِ إِحْسَاساً وَأُوزَاناً
أَسَلْتَ نَفْسِي بِالْأَلْحَانِ تُنْشِدُهَا إِنْشَادَ ذِي شَجْنٍ قَدْ هَامَ تَحْنَاناً^(١)
كَأَنَّ أَلْحَانَكَ اللَّائِي تُرَدِّدُهَا أَطْيَافٌ ذِكْرِي؛ تَوَارَتْ؛ تَرَجُّعُ الْآنَا
كَأَنَّهَا هَمْسُ جِنٍّ أَوْ مَلَائِكَةٍ أَسْرَّ عَنْ عَالَمِ الْإِنْسَانِ كِتْمَاناً

* نشرت عام ١٩٢٥

* نشرت عام ١٩٢٧

١- أسلت: أسأل النفس: حرّكها.

تَسِيلُ فِي النَّفْسِ وَالْأَسْمَاعِ مُرْهَفَةً وَإِنَّ لِلنَّفْسِ مِثْلَ الْجِسْمِ آذَانًا
وَتَسْتَحُثُّ خَيَالًا كَانَتْ فِي دَعَاةٍ فَيَذِرُ الْكَوْنَ آفَاقًا وَأَزْمَانًا
وَتَمَلُّ النَّفْسَ بِاطْمِنَانِهَا ثِقَةً وَتَغْمُرُ الْقَلْبَ إِخْلَاصًا وَإِيمَانًا

* * *

حَدِيثُ أَيِّ فُؤَادٍ أَنْتَ تَذَكُرُهُ أَبَاسِمٍ فَرِحَ أُمٌّ كَانَتْ حَزْنَانَا
وَأَيُّ وَحْيٍ لَنَا تَرَوِي رَسُولَهُ فَيُؤْمِنُ النَّاسُ أَفْكَارًا وَوَجْدَانًا
عَنِ الْقُلُوبِ جَمِيعًا أَنْتَ تُخْبِرُنَا عَنِ الْإِنْسَانِيِّ مَا خَصَّصْتَ إِنْسَانًا
عَنِ الْحَيَاةِ وَمَا فِيهَا تَحَدُّثُنَا فَكُنَّا مُؤْمِنِينَ يَزْدَادُ إِيقَانًا^(١)
عَنِ الطَّبِيعَةِ تَرَوِي وَهِيَ تُلْهِمُنَا هَذَا الْحَدِيثَ، فَمَا نَحْتَاجُ بُرْهَانًا

* * *

١- إيقاناً: الإيمان والتسليم.

بريشة الشعر*
أه
صورة صادقة

كَانَ الْأَمْسِ، وَبِالْأَمْسِ الْقَرِيبِ يَتَرَاي كَالْأَمَانِي هَا هُنَا
هَائِمًا كَالرُّوحِ يَغْدُو وَيُتَوَّبُ وَالرَّجَاءُ الْعَذْبُ فِي وَادِي الْمُنَا
وَأَدْعَا كَالزَّهْرِ حَيَاهِ النَّسِيمِ
سَاهِيَا كَالصَّمْتِ فِي ظِلِّ الْوُجُومِ^(١)
حَالِمًا يَصْحُو قَلِيلًا وَيَهِيمُ
بَيْنَ أَطْيَافِ الْأَمَانِي
وَخِيَالَاتِ الْهَمُومِ

* * *

زَهْرَةٌ قَدْ كَادَ يَعْرِوْهَا الذُّبُولُ ثُمَّ حَيْثُهَا تَبَاشِيرُ الرِّيعِ^(٢)
فَهِيَ تَرْتُو بَيْنَ صَحْوٍ وَذُهُولٍ مِثْلَمَا تَحْتَارُ فِي الْعَيْنِ الدُّمُوعُ
وَهُوَ لَحْنٌ مِنْ أَنَاشِيدِ السَّمَاءِ
أَرْسَلْتَهُ فِي تَضَاعِيفِ الضِّيَاءِ
فَوَعَاهُ كُلُّ ذِي حِسٍّ بَرَاءِ
وَشَعُورٍ كَالنَّسِيمِ
فِي الْحَنَانِ وَالنَّقَاءِ

* * *

دُمِيَّةٌ تُوحِي بِأَشْتَاتِ الْمَعَانِي وَهِيَ سَكْرَى فِي حَمَى الصَّمْتِ الْعَمِيقِ

هادئاتٍ مثلِ أطِيفِ الأمانِي سامياتِ الوَحْيِ كالعطفِ الرَّفِيقِ
وهو مَا أدري مَلاكٌ أمْ بَشَرٌ؟
فهو رُوحٌ هَائِمٌ لا يَسْتَقِرُّ
وهو صَفْوٌ لم يخالطه الكَدَرُ
والأناسِي لِنَامٍ
مثل شَيْطانِ نُكْرٍ

* * *

كان بالأَمْسِ ولكن قد تَوَلَّى ذلك الأَمْسُ فَخَلَّاهُ وَغَابَ
وَإِذَا بِي مُوحِشٌ لا أَتَسَلَّى والخَصِيبُ التَّضَرُّ كالجَدْبِ اليَبَابِ
أذكر الساعاتِ ومضاً يَنْقُضِين^(١)
ثم يَعْرُونِي لِذاكَ رَافِها الحينِ
فِيهِجُ الوجدُ والشُّوقُ الدَّفِينُ
إِيه ساعاتِ الأمانِي
أُتْرَى قَدْ تَرَجَعِينِ؟
* * *

١- الومض: بريق سريع الإنطفاء

هدأة الليل*

هَدَأَ اللَّيْلُ وَهَاجَتْ بِي الشُّجُونُ وَصَحَا جَفْنِي لَدَى عَفْوِ الْجَفُونِ
 وَتَوَارَتْ ضَجَّةُ الْعَالَمِ فِي هَدَأَةِ اللَّيْلِ يُغَشِّيهَا السُّكُونُ
 حَتَّى. الْوُرُقُ فَلَمَّا هَجَعَتْ بَعْدَ لَأَيِ هَيَجَتْ عِنْدِي الْحَيْنُ^(١)
 ذِكْرِيَاتٍ مَا لَهَا تَبَعْنِي حَيْثَمَا سِرْتُ وَأَيَانَ أَكُونُ
 صُورٌ شَقِي إِذَا مَا عَرَضَتْ صَوَّرْتُ لِي وَاضِحاً طَيْفَ السَّنِينِ
 وَأَرْتَنِي كَيْفَ يَمِضِي الْعُمُرُ لَا يَشْعُرُ الْمَرْءُ بِهِ حَتَّى يَحِينُ
 يَتَقَضَّى الْعُمُرُ فِي أَحْلَامِنَا وَإِذَا نَضَحُوا صَحَّتْ غَوْلُ الْمَنُونِ
 وَأَرْتَنِي شَبْحاً مِنْ عَدَمٍ يَتَّبِعُ الْأَحْيَاءَ أَنْتَى يَتْرُلُونَ
 يَبْلَغُ الْمَاضِي مِنْ آثَارِهِمْ فَاعْرِأْ فَاهُ لِمَا يَسْتَقْبِلُونَ

إِيهِ يَا لَيْلُ أَرَانِي مُغْرَمًا بِحَدِيثِ مَنْكَ يُشْجِي السَّامِعِينَ
 هَاتِ مَا عِنْدَكَ لَا تَبْخُلْ بِهِ بِلِسَانِ الصَّمْتِ وَالْوَحْيِ الْمُبِينِ
 أَوْحِ لِلْأَنْفُسِ مَا حُمَلْتَهُ مِنْ جَلَالٍ وَخُشُوعٍ وَيَقِينِ
 هَاتِ يَا لَيْلُ أَحَادِيثَ الْهُوَى وَاتْلُ يَا لَيْلُ شُجُونَ الْعَاشِقِينَ

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٢٨

١- الورق: جمع الورقاء: الحمامة.

وَادْخُرْ فِيكَ صَدَى أَنَاتِهِمْ لَا تُضَعْ يَا لَيْلُ أَصْدَاءَ الْأَيْنِ
 إِنَّهَا ذُوبٌ قُلُوبٍ فَطِرَتْ وَنَفُوسٌ دَامِيَاتٌ وَعُيُونٌ
 كَمَ سَلاماً فِيكَ قَدْ حُمَلَتْهُ مِنْ مُحَبِّ وَامِقِ الْقَلْبِ حَزِينٍ^(١)
 رَبِّ سِرٍّ غَامِضٍ أُوْدِعْتَهُ فِي حَنَائِ الصَّدْرِ مَخْبِوءٍ دَفِينٍ
 ضَاقَ صَدْرُ الصَّبِّ عَنْ كَتْمَانِهِ فَأَرَاكَ السَّرَّ دُونَ الْعَالَمِينَ

* * *

مُرِّ يَا لَيْلُ فَقَدْ أَشْجَبْتَنِي عَلَّ فِي الصُّبْحِ هَدِوءاً أَوْ سُكُونٌ
 إِنَّ لِي فِيكَ لَشَجْواً وَأَسَىً وَمُنَاجَاةً وَشَكْوَى وَحَنِينٌ
 عَبَثاً أَنْجُو بَرُوحِي مِنْ حَنِينٍ هُوَ أَصْلُ الْوَجْدِ عِنْدِي وَالشُّجُونُ
 إِنِّي أَهْوَاكَ يَا لَيْلُ وَلَكِنْ أَنْتَ بِالْإِشْفَاقِ وَالْعَطْفِ صَنِينٌ
 تَبَعْتُ الْأَشْجَانُ مِنْ مَكْمَنِهَا رَحْمَةً يَا لَيْلُ بِالْمَسْتِيقِظِينَ

* * *

١- وامق: محب ودود

الصبح يتنفس*

نَسَمَاتُ زَفَّهَا الْفَجْرُ الْوَلِيدُ بعد ما جَاشَ بِهَا صَدْرُ الْحَيَاةِ
ناعماً مِثْلَ أَنْفَاسِ الْوَرُودِ بَلَلِ الْطُلَّ شَذَاهَا بِنَدَاهِ
* * *

كانت الدُّنْيَا يُعَشِّيهَا السُّكُونُ وظلامُ اللَّيْلِ والنومُ الْعَمِيقُ
طِفْلَةً قَدْ ضَمَّهَا اللَّيْلُ الْحَنُونُ ضَمَّةَ الرَّحْمَةِ كَالْأَمِّ الشَّفُوقُ
* * *

وتراءى الصُّبْحُ فِي سَمْتِ بَدِيعِ فإذا الطِّفْلَةُ تَصْحُو مِنْ سُبَاتِ
تُرْسِلُ الْأَنْفَاسَ فِي رَفِقِ وَدِيعِ وإذا الْأَنْفَاسُ تَلِكِ النَّسَمَاتِ
* * *

وإذا الزَّهْرُ يُحْيِي فِي ابْتِسَامِ ذلك الصُّبْحِ وَيُرْنُو فِي هُدُوءِ
كابتسامِ الطِّفْلِ فِي عَهْدِ الْفِطَامِ حينما يَحْلُمُ بِالشَّدْيِ الْمَلِيءِ
* * *

وإذا الطَّيْرُ وَقَدْ رَانَ النَّعَاسُ فوقَ عَيْنِهِ تَنْزِي فَصَحَا
يرمقُ النُّورَ بِهَمْسٍ وَاحْتِلَاسِ فَيُحْيِيهِ طَرْوِباً مَرِحَا
* * *

وانبثاقُ الْفَجْرِ مِنْ سُدْفِ الظَّلامِ مثلما يَبْسَمُ لِلْغَانِي الْأَمَلِ^(١)
يَلْتَمُّ الْكُونَ بِبَشْرِ ابْتِسَامِ وَيُحْيِيهِ بَرَفِقٍ فِي الْقَبْلِ
* * *

١- سدف: سواد

وترى الأنفَسَ في هذا الحِنانِ سَاكِنَاتٍ بَيْنَ أَحْضَانِ الطَّيِّعَةِ
سَاهِيَاتٍ رَاضِيَاتٍ فِي أَمَانِ تُرْسِلُ الطَّرْفَ بَنَظَرَاتٍ وَدِيَعَهُ
* * *

عَالِمَاتٍ فِي كَرَاهَا يَقْظَاتٍ! سَابِحَاتٍ فِي التَّعَلَّاتِ الْوِضَاءِ^(١)
تُنْشِدُ الْأَمَالَ عَذَبَ الْأَغْنِيَاتِ بَيْنَ سَمْعِهَا وَيَجْدُوهَا الرَّجَاءُ
* * *

فِتْرَةٌ فِي مَطْلَعِ الْفَجْرِ تَمَرٌّ هِيَ حُلْمٌ مِثْلَ أَيَّامِ الطُّفُولَةِ
فَإِذَا مَرَّتْ فَجَوْ مُكْفَهَرٌ هُوَ فِي الطُّفْلِ شَبَابٌ وَكُهُولُهُ
* * *

لِيَتَنَى عِشْتُ بِأَحْضَانِ الصَّبَاحِ أَوْ قَضِيَّتِ الْعُمُرَ أَسْتَمْتَعُ طِفْلاً!
لَا وَلَا هَذَا مِنَ الدَّهْرِ يُتَاحُ لَا وَلَا قَدْ عُدْتُ أَسْتَمْتَعُ كَلًّا!
* * *

١- كراهها: نومها

عبث الجهال*

غَادَةً مِمْرَاحٍ طُرُوبٌ، لَمْ تَقْنَعَنَّ أَنْ تَعْبَثَ بِالْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ، فَعَمِدَتْ
إِلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الطَّيْرِ، اتَّخَذْنَ لَهْنَ عُشًّا بَيْنَ أَحْضَانِ شَجَرَةٍ، تَذُو دُهْنَ عَنِ
عُشَيْهِنَ الْمَهَادِي فِي عَبْثِ قَاسٍ، وَكَلِمَا عُدْنَ إِلَى الْعُشِّ، عَادَتْ هِيَ إِلَى
الدُّودِ!

دَعِيهَا تُعْرِدْ لِحْنِهَا وَتُرْجِعْ وَتَمْرُخْ مَا شَاءَتْ وَتَلْهُو وَتَرْتَعِ
دَعِيهَا تُنَمِّقْ لِلْحَيَاةِ تَحِيَّةً وَتَبْعُثُهَا لِحْنًا يَلْدُ وَيُمْتَعِ
دَعِيهَا تُعَبِّرُ عَنِ مَشُوقِ مُتِمِّمِ تَلِجٌ بِهِ الذِّكْرَى؛ فِيهِفُو وَيَنْزَعُ^(١)
دَعِيهَا فَفَى أَلْحَانِهَا، الْحُبُّ نَاطِقٌ وَمَنْ وَخِيهِ تَشْدُو مَلِيًّا وَتَسْجَعِ
دَعِيهَا فَقَدْ رَوَّعَتْهَا وَتَرَكَتْهَا مُشْتَتَّةً حَيْرَى تُطَلُّ وَتَرْجِعُ
* * *

عَزِيْزٌ عَلَيْهَا عُشُّهَا دَرَجَتْ بِهِ فِرَاحًا نَحِيْلَاتٍ تَهْمُ فَتَقْعُدُ
يُطَالِعُهَا رُوحَ الرِّيْعِ فَتَنْتَشِي وَيُدْهَمُّهَا قَرُّ الشِّتَاءِ فَتَجْمُدُ
وَتَنْشِقُ أَنْفَاسَ الصَّبَاحِ نَدِيَّةً فَتَنْدَى؛ وَيَحْدُوهَا الرَّجَاءُ فَتَسْعُدُ
وِظْلَلَهَا فِي عُشِّهَا الْحُبُّ حَانِيًّا عَلَيْهَا قَوِيًّا مُنْعِشًا يَنْجَدُّ
* * *

فَكَانَ لَهَا زَادًا إِذَا قَلَّ زَادُهَا وَرَوْحًا وَرِيحَانًا وَلِحْنًا يُرَدِّدُ
* * *

* نشرت عام ١٩٢٩
١- تلج: ألم عليه.

وَيَا طَالَمَا غَنَّتْ وَيَا طَالَمَا بَكَتْ سُرُوراً بِقُرْبِ أَوْ حَيْنِئاً إِلَى ذِكْرِي
 وَيَا طَالَمَا ارْتَاعَتْ لِخَطْبِ مُدَاهِمِ فَكَانَ لَهَا مَنَجِي وَكَانَ لَهَا سِتْرًا (٥)
 وَكَمْ لَيْلَةٌ مَرَّتْ وَكَمْ أَشْرَقَ الضُّحَى وَكَمْ أَمَلْتُ خَيْرًا؛ وَكَمْ حَذَرْتُ شَرًّا
 دَعِيهَا. بِمَهْدِ الذَّكْرِيَّاتِ أَمِينَةً تَطِيفُ بِهَا كَالْوَمِضِ مُسْرِعَةً تَتْرَى (٦)
 دَعِيهَا أَجَلٌ لَا تَعْبِي بِشَعُورِهَا وَلَا تَحْرِمِيهَا خَيْرَ مَا حَفِظْتَ دُخْرًا

* * *

وإن لا يكنُ بُدٌّ من اللهبِ فاعبِي بألبابنا لا بالطيورِ الهوائِمِ! (٧)
 وَهَبْتُكَ إِحْسَاسِي فَمَا شئتِ فَاصْنَعِي أَمِينًا لِعَهْدِي مُخْلِصًا غَيْرَ نَادِمِ
 وَقَاكِ الْجَمَالَ السَّمْحُ كُلُّ مَلَامَةٍ وَعَتَبٍ فَلَا تَخْشَى مَقَالَةَ لَائِمِ (٨)
 وَلَكِنَّهَا الْأَطْيَارُ تَلْهُو بِرَيْنَةٍ فَمَا بَالَهَا تُدْهِى بِفَعْلَةٍ ظَالِمِ!؟
 دَعِيهَا - فَدَتِكَ النَّفْسُ - لَا تَعْبِي بِهَا فَمَا كَانَ أَوْلَاهَا بِرَحْمَةٍ رَاحِمِ!

* * *

يوم فريفا*

وَقَفَ الْكُونُ شَاخِصًا فِي سُكُونٍ وَتَرَاعَى لِخَاطِرِي كَالْحَزِينِ
وَشُخُوصُ الْأَحْدَاثِ يُعْرِفُهَا الصَّمْتُ فَيَبْدُو كِبَاهَتَاتِ الظُّنُونِ
وَكَأَنَّ الزَّمَانَ سَاوَرَهُ الْحُزْنَ فَأَغْفَى إِغْفَاءَ الْمُسْتَكِينِ^(١)
وَكَأَنَّ الْأَفْلَاكَ أَجْهَدَهَا السَّيْرُ فَنَاءَتْ بِحَمْلِ عِبَاءِ الْقُرُونِ
وَكَأَنَّ الْأَقْدَارَ أَرْخَتْ يَدَيْهَا وَتَرَاحَتْ عَنْ صَرْفِهَا لِلشُّؤُونِ

* * *

وقف الكون ساهماً ليس يدري أين يمضي؛ وأين لو شاء يمضي
طالما دار بالأنام وداروا بين رفع من الحياة وخفض
ثم ماذا؟ تساءل الكون: ماذا؟ أحياء ما بين غزل ونقض
أيما غاية نؤم إليها أي قصد قصيئه أو ساقض
تعب ضائع وجهد غبين ومصير مقنع ليس يرضي

* * *

وسرى اليأس والهمول إليه فترأخى في سيّره كالبليد
وتمشى الهمود في كل شيء مشية الداء بالأسى والكنود^(٢)

* نشرت عام ١٩٣٢

١- سارود: وائيه

٢- الهمود: السكون.

فإذا الدَّوْحُ في وُجُومٍ كَثِيبٍ وإذا الطَّيْرُ في ذُهُولٍ شَرِيدٍ
وإذا الزَّهْرُ في الرِّياضِ أَسِيفٌ كصِغارِ الأَيْتامِ في يَوْمِ عِيدٍ
وإذا بِالزَّمانِ يَعْطُو كَسِيحاً كأَسِيرٍ يُساقُ نَضُو القِيودِ

* * *

وكانَّ السَّماءَ والأَرْضَ، مَرْضَى بَرِماتٍ بِثِقَلَةِ العُودِ^(١)
وترى السُّحْبَ في السَّماءِ تَغشى ناظِريها كَصَفْحَةِ مَنْ رَمادِ
وترى الأَرْضَ كالكَظِيمِ مِنَ الحُزَنِ تَكولاً تَسْرِبَلَتْ بِالحدادِ
والفَناءُ المَرِيضُ، طافَ عليها طائِفٌ مِنْهُ في ثَنايا الرُّقادِ
كُلُّ شَيْءٍ يَرنُو إلى كُلِّ شَيْءٍ! كسَجِينٍ يَرنُو إلى الجَلادِ

* * *

ماتَمَّ صامَتٌ يَهُومٌ فِيهِ شَبَحُ اليأسِ والقُنُوطِ العَقِيمِ
ليسَ مَوْتُ وِليسَ نَمَّ حَياءٌ كُلُّ شَيْءٍ في صِمتِهِ كَالسَّقِيمِ
والوُجُومُ الَّذِي يُغشى عليها كاسِيفِ البالِ مُمَعِنٌ في الوُجُومِ!
وَحُفُوقُ الأرواحِ أَبْطأَ نَبْضاً كَحُفُوقِ النُّجُومِ خَلْفَ السِّدِّيمِ^(٢)
أَسْبَلَتْ عَينِها الحِياةُ سَآما واسْتَتامتُ لِلْيأسِ والتَّسليمِ!

* * *

١- العُودُ: مفردُها عائد: زائرُ المَرِيضِ.

٢- السِّدِّيمُ: الضُّبابُ الرقيقُ

الجبار العاجز*

على إفريز محطة القاهرة، أنزل قطار الصعيد، كتلة بشرية، تتزى وتتلوى؛ وتصرخ في حشرجة مفزعة. هذه الكتلة هي بقايا رجل متحطم؛ صار أشل، يتزى الصرع فيه، وتتلوى صرخاته؛ كأنما تغالب معركة داخلية عنيفة ويبدو على سَحْنَتِهِ أن هذا العجز ليس أصيلاً فيه، وأن له ماضياً جباراً؛ في ناحية من النواحي؛ وأنه يألم أكثر ما يألم؛ لهذا العجز الطارىء الجديد.

* * *

حَطَمَ الدَّهْرُ قِوَاهُ فَانْحَطَمَ وَتَزَّى الدَّاءُ فِيهِ وَالْأَلَمُ
وَدَوَّتْ مِنْ فِيهِ تَعْوِي صَرْخَةٌ تَتَلَوَّى فِيهِ حَتَّى تَحْتَدِمَ
صَرْخَةُ الْجَبَارِ يَشْكُو مُرْغَمًا ذَلَّةَ الشُّكُورَى وَإِهْوَانَ الرَّغَمِ^(١)
يَشْتَكِي الْعِجْزَ وَمَا يُؤْلِمُهُ فِيهِ إِلَّا كَبْحُ نَفْسٍ تَضْطَرُّمُ
يَشْتَكِي الْعِجْزَ الَّذِي أَقْعَدَهُ عَنْ صَرَاعَاتٍ وَهَوْلٍ يُفْتَحِمُ
تَسْمَعُ الْقُوَّةَ فِي صَرْخَتِهِ مِنْ وَرَاءِ الْعِجْزِ تَدْوِي فَتَصِمُ
وَيَهُمُّ الْبَأْسُ فِي أَشْلَانِهِ نَاهِضًا؛ لَكِنَّمَا الْعِجْزُ جَثْمُ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٣

١- الرُّغْم: الإلحاء.

أَيُّ مَعْنَى تَحْتَوِي صِرْحَتُهُ ؟ أَيُّ مَاضٍ فِي ثَنَائِهَا اِزْتَسَمَ
 هُوَ مَاضٍ نَازِلَ الدَّهْرِ بِهِ فِي عِنَادِ شَامِخٍ حَتَّى انْحَطَمَ
 هُوَ مَاضٍ غَامِضٌ تَكْنُفُهُ جَلْجَلَاتٌ، وَهَزِيمٌ؛ وَرُجْمٌ^(١)
 هُوَ مَاضٍ مَارِدٌ مُقْتَحِمٌ لَا يَهَابُ الْمَوْتَ فِيمَا يَعْتَزِمُ
 هُوَ مَاضٍ! أَيُّ مَاضٍ؟ يَا لَهُ مُبْهَمُ التَّعْبِيرِ كَالدَّهْرِ الْأَصَمِّ

* * *

نامت الصفر

أو

«الفاعل»*

لَمَنْ طَرَفَةٌ حَرَسَاءُ صَمَاءُ تُعُولُ أَقْصَىٰ بِهَا النَّوَامُ فِي الْفَجْرِ مِعُولٌ؟^(٢)
لِدَلِكُمُ الصَّخَّارُ يَحْطِمُ صَخْرَهُ وَلَمَّا يَنْزِلُ لِلَّيْلِ فِي الصُّبْحِ مَدْخَلُ
أَكْبَ عَلَى تَحْطِيمِهِ وَاتْتِحَاتِهِ كَرَّاجٍ لَهُ فِي ذَلِكَ الصَّلْدِ مَأْمَلٌ^(٣)
يُطَوِّحُ فِي عُرْضِ الْقَضَاءِ ذِرَاعَهُ وَيَهْوِي عَلَى الصَّمَاءِ كَالْحَطْبِ يَنْزِلُ
وَلَكِنَّهَا تَلْقَاهُ صَمَاءٌ لَمْ تَلْنِ وَقَدْ خُذِلَتْ كَفَّاهُ، وَالصَّخْرُ يَخْذُلُ
يَدُورُ حَوَالَيْهَا لِيُدْرِكَ مَقْتَلًا وَهِيَهَاتَ فِي الصَّلْدِ الْأَصِمَاءُ مَقْتَلُ
وَيَعْمِزُهَا غَمَزَ الْخَبِيرِ وَيَنْتَبِي يَحَاوُلُ مَا أَعْيَاهُ، لَا يَتَحَوَّلُ
وَقَدْ جَاشَ فِي أَعْضَائِهِ كُلِّ نَابِضٍ وَسَالَ دَمٌ فِي صُورَةِ الْمَاءِ يَهْطِلُ!
وَحِينَ تَوَالَتْ طَرَفَةٌ بَعْدَ طَرَفَةٍ تَفْتَتُ تَحْتَ الْعَزْمِ مَا كَانَ يَصْمَلُ^(٤)
فَأْرَخِي ذِرَاعَيْهِ، وَأَسْنَدَ جِسْمِهِ إِلَى مِعُولٍ؛ نَصَاهُ لِلْكَدْحِ مِعُولُ

* * *

* نشرت عام ١٩٢٤

- ١- الفاعل: كلمة متداولة تعني (العامل)
- ٢- تُعُولُ: رفع الصوت بالكاء والصباح.
- ٣- الصَّلْدِ: اللب الأملس الشديد.
- ٤- يَصْمَلُ: ما يكون ضخماً صلباً.

تَسِيلُ جُهُودٌ أَوْ دِمَاءٌ نَقِيَّةٌ لِيُنْصَبَ تَمَثَالٌ ؛ وَيُرْفَعَ مَنَزَلُ
وما نَصَبُ التمثالِ للكادحِ الشَّقِيِّ وليسَ له في ذلكِ القصرِ مَوْنُلُ!
ولكن قُصَارَاهُ شَرَابٌ وَلُقْمَةٌ وَمَأْمُلُهُ في ذلكِ الصَّلْدِ مَأْكُلُ!
فَقَارٌ كَمَثَلِ الصَّخْرِ أَسْوَدَ كَالْحِ وَأَفْرَاخُهُ كَثُرَ؛ وَأَنْشَاهُ مُطْفَلُ^(١)
فإن كَانَ إِكْلِيلٌ فَهَذَا جَبِينُهُ وَإِنْ كَانَ تَمَثَالٌ فَهَذَا الْمَمَثَلُ
ويا رَحْمَةَ الْإِنْسَانِ أَدْعُوكِ فَاحْجَلِي أَمَامَ بَنِي الْإِنْسَانِ إِنْ كَانَ يَخْجَلُ!

* * *

١- أثناه مطفل: لها طفل رضيع.

حلم النيل*

هَازَجَ بِالنَّشِيدِ تَلَوُ النَّشِيدِ وَهُوَ يَمْضِي إِلَى مَدَاهِ الْبَعِيدِ
ذَكَرِيَاتُ الْقُرُونِ قَدْ صَاغَهَا النِّيلُ نَشِيدًا، فَيَا لَهُ مِنْ نَشِيدٍ!
يَنْظُمُ السَّحَرِ وَالْكَهَانَةَ وَالْفَنِّ، وَيَشْدُو بِكُلِّ هَذَا الْقَصِيدِ
مَنْذُ فَجْرِ التَّارِيخِ لَمْ يَتَبَدَّلْ لِحَنِّهِ الْعَذْبُ مِنْ قَدِيمٍ جَدِيدِ

* * *

حَالِمٌ بِالرَّجَاءِ عِنْدَكَ يَا نَيْلُ سَعِيدٌ بِحُلْمِكَ الْمَعْهُودِ
يَنْبُتُ الزَّهْرُ فِي حُطَاكَ بِهِيجًا ذَاكَ حُلْمُ تَأْوِيلِهِ فِي الْوُرُودِ

* * *

* نشرت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٣٨

وداع الشاطئ

من الفردوس إلى الجحيم*

أَحْلُ يا شَطُّ ما تَشَاءُ فَإِنِّي رَغَمَ سَحْرِ الْجَمَالِ وَالْمَوْجِ رَاحِلُ
رَاحِلُ حَشْدُ نَفْسِهِ لَفَتَاتٌ لَيْسَ عَنِ فِتْنَةِ الْجَمَالِ بَغَافِلُ
قَدْ دَعَتْهُ إِلَى الرَّحِيلِ دِيَارٌ فِي صَمِيمِ الْجَحِيمِ تُدْعِي الشَّوَاغِلُ
هِيَ قَبْرُ الْأَمَالِ وَالْفَنِّ وَالْحَبِّ بَ وَقَيْدٌ عَنِ كُلِّ مَا شِاقُ شَاغِلُ
وَهِيَ دَارِي الَّتِي دَرَجْتُ عَلَيْهَا وَإِلَيْهَا الْمَأْبُ مَهْمَا أَحَاوِلُ !
* * *

أَحْلُ يا شَطُّ بِالْجَمَالِ طَلِيقاً مِنْ قُيُودِ الزَّمَانِ نَشْوَانِ وَاهْلُ
أَسْكَرَتْهُ الْأَمْوَجُ وَهِيَ تَرْجِي دَفْعَاتِ الْحَيَاةِ فِي كُلِّ نَازِلُ
فِي رِي نَفْسَهُ خَفِيفاً غَرِيراً قَاهِراً قَادِراً يَجُوزُ الْحَوَائِلُ
دَفْعَاتُ الْحَيَاةِ فِي الْمَوْجِ أَسْنِي مِنْ بَرِيقِ الْأَمَالِ فِي نَفْسِ أَمِلُ
* * *

أَحْلُ يَاشِطُّ بِالْعَرَائِسِ حُوراً سَابِحَاتِ الْمَوْجِ ظَمَانُ نَاهِلُ
كَانَفْتَالِ الْحَيْتَانِ فِي الْبَحْرِ وَثَباً وَانْتِشَاءِ الْغِزْلَانِ وَالشَّطُّ ذَاهِلُ
فِتْنَةٌ تَسْكُبُ الْحَيَاةَ عَلَيْهَا سَحْرَهَا وَالْعَيُونَُ حُورٌ قَوَاتِلُ
* * *

وَإِنْدَفَاعُ الْأَمْوَجِ يُوقِظُ فِي النَّفِّ مَسَّ ظَمَاءٍ مُرْفَرَقَا فِي الدَّخَائِلِ
وَإِنْتِظَاقاً مِنَ التَّرْمِيمِ وَالْعُرِّ فِ وَشَوْقاً إِلَى الْمَبَاهِجِ وَاعِلُ
أَحْلُ يا شَطُّ لَنْ نُطِيقَ انْفِلَاتاً مِنْ رَحِيلِ إِلَى جَحِيمِ الشَّوَاغِلِ

* نشرت في أيلول (سبتمبر) عام ١٩٤٠

* الهادي المقدس *

على ضفاف الخلود وفي شعاب الزمن
والدهر يجبو وليد قد كان هذا الوطن

* * *

يا فجر من ذا رآك تجول تلك السماء
وليس حي سواك تهدي إليه الضياء؟

* * *

رأتك تلك الضفاف رأتك تلك البروز^(١)
رأتك قبل المطاف وأنت طفل غريب

* * *

وشبت والدهر شاب وحنكتك الحياة
والليل بادي الشباب والزهر يقفوا خطاه

* * *

ينساب مثل النعم في عزف ناي طروب
وكانسياب الحلم تضي عليه الغيوب

* * *

خريرة صلوات معطرات النشيد
وموجه أغنيات مرتلات القصيد

* * *

يا نيل كم من شرع يا نيل كم من سفين
أسلمتها للوداع على مدار السنين

* * *

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٤٤
١- البروز: مفردا البر (الشاطن)

يا نيلُ كَمَ من جُموعَ ما جَأتْ بتلك الضفافُ
يا نيلُ كَمَ من زروعِ وذِي وذِي للقطافِ

* * *

وأنيّتْ صنوُ الخلودِ وفي يديك الزّمامِ
وكلّ عامِ تعودُ مُجددًا الأيامِ

* * *

تجرى فتجرى الحياةُ ويُمِرُّعُ الشّاطئانِ
ويستفيقُ الرّعاةُ وتمرّحُ القطعانِ

* * *

ويَنشِطُ العيدانِ الزرزورُ يجمّعُ
لِعشه المعْمورُ بفرخه الوَسنانِ

* * *

أكادُ خلفَ القرونِ أحسُّ ركّزَ الجموعِ
أراهمُ مُهطعينَ في موكبِ للربيعِ

* * *

قد ثَمروا للحصادِ وخلفّوا أمشيرِ
في فرحةِ الأولادِ تسابقوا للكبورِ

* * *

وموكبُ للرواحِ في كلّ يومِ يؤوبِ
يزفه الفلاحِ على مدارِ الغروبِ

* * *

من الحقول المريعة إلى الحمى والديار
تضمُّ فيه الطيعة أبناءها الأبرار

* * *

لُحُونُهُ من صياح ومن رُغَاءِ النَعَمِ (١)
ومن رجيع النَّبَاحِ ومن تُغَاءِ الغنم

* * *

على مدارِ القرون يسيرُ فيه الرُّعَاةُ
خالدون ما بَدَّلُوا في الحياة

* * *

أُحِبُّ فِيكِ الخلودُ يا أيُّهَا الوادي
أُحِبُّ فِيكِ الصمودُ للقاهرِ العَادِي

* * *

تَصِبُّ فِيكِ الوفودُ وأنتِ يقظانُ ساهرُ
تصوغهم من جديدُ كأنما أنتِ ساحرُ

* * *

يا مهبطُ الأسرارِ من الغيوبِ العميقةِ
يا موطنَ الأسحارِ من القرونِ السحيقةِ

* * *

يَأويُ إليكِ الزمانُ خوفِ البلىِ والفناءِ
يَأويُ لِحِصْنِ الأمانِ فيستمدُّ البقاءِ

* * *

ووجهك يا طالما
الْفَتَانُ بلونه يزْدَانُ بَزْرَعِكَ
الْأَسْمَرُ الْأَخْضَرُ

* * *

ترنو له يا أرضُ
العاشقُ العيناى فى فى فتنة
يا أرضُ يا ديناى فى فى آية
الحالِقُ

* * *

يا أرضُ كم طولُ
تَحْلُمِينَ بالزهرِ أحلامَ شاعرِ
السنينِ يا أرضُ ، تلك الأزهَرُ
رُؤَاكِ

* * *

وربحك فى خاطري
المعروفُ يشمُه
أنفِي العرفُ
مألوفٌ ميمز

* * *

يا أرضُ، هذا الصعيدُ مقدسٌ فى
سرى عليه الجدودُ وأخلدوا
ضميرى للقبورِ

* * *

يكادُ فرطُ الحنينِ إليهمُ فى
يردهمُ شاخصينِ إلى خلفِ
شعورى الدهورِ

* * *

يا أرضُ سرُّ دفينِ مُغيبُ فى
يردُّنا مؤتقينِ إليكِ أسرى
ثراكِ هواكِ

* * *

هذا الثرى المنثور في صفحة الوادي
عرفته في الضمير رفات أجدادي

* * *

يا أرض. هذا النشيد من وحيك
فأقضي له بالوجود بسرّك العبقري
القدسي

* * *

مكتبة سوره الأريكة
www.books4all.net

ضجى ليلته من ليالي الربيع*

في الجوّ رائحةٌ تُوسّوسُ في الحنايا والصُدُورَ
نَشوانةٌ خدرتْ يُعاوِذُها التوتُّبُ والفُتُورُ
فَتَهيمُ كالشوقِ المَجْنَحِ في مَتَاهَاتِ الضَّميرِ
وكانَ رائحةَ الحياةِ تَدبُّ في عَبَقِ مُثِيرِ
* * *

وأحسُّ بالنعَماتِ ساريةً تَرَقِّقُ في الدِّماءِ
كَهَتافِ مشتاقٍ تَوَلَّهَ لا يَكفُ عَنِ الدِّعاءِ
الأَرْضُ تَفْتَنُهُ وَيَرْتَوُّ فِي ابْتِهَالِ لِلسَّماءِ!
والصَّمْتُ يَغْمُرُهُ وَفِي الأَحْباءِ وَسوسةُ الغِناءِ!
* * *

والحُبُّ والأشواقُ وَالظَّمأُ المَغْلَغَلُ للحِياهِ
وهُواتِفُ الدُّنيا إلى القَبْلِ المَلِيحَةِ في الشِّفاهِ
وتَرَقِّقُ الحُرَقاتِ في شَعْفِ يَهيمِ إلى مَداهِ^(١)
وتَطلَعُ الصُّوفيُّ في شوقٍ إلى ذاتِ الإلهِ!
* * *

هو ذا الربيعُ وإنه لهُوَ الهواتِفِ والحَنِينِ
أَبداً يَهيجُ إلى عَوالمِ تائِهاتِ لا تَبينُ
ويُهدِّدُ الأحلامَ وَالذِّكراتِ شَتىَ والفُنونِ
فإذا الحِياهِ هوى يَريفُ وَفتنَةٌ وَشَجى دفينِ
* * *

* نشرت في آب (أغسطس) ١٩٤٥

١- الحرقات : نوع من العصافير.

جمال مزين*

أَجَلٌ مِنَ الْحُزْنِ وَالْمَاتَمِ جَمَالِكَ. إِنْ كُنْتَ لَمْ تَعَلِمِي!
وَقَدْ دَارَ حَوْلَ الْجَبِينِ الْخَمَارُ تَشَعَّعٌ^{٥٥} كَاللَّيْلِ بِالْأَنْجَمِ!
كَمَا أَرْسَلَ الصَّبْحُ لآلَاءَهُ بَرِيئاً مِنَ الصَّنِيعِ كَالْعُنْدَمِ!^(١)
وَفِي شَفْتَيْكَ الْجَنَى وَالرَّحِيقُ وَلَكِنْ طَهَّرْتَ فَلَمْ تَأْتِمِي
وَكَفَّكَ فِي الصَّمْتِ حُزْنٌ شَفِيفٌ سِوَى قُبْلَةٍ وَضَوَّصْتَ فِي الْقَمِ!^(٢)
وَفِتْنَةٌ هَذَا الْجَمَالِ الْعَمِيقِ وَطَهَّرَ نَمَاكَ إِلَى مَرَمِ

* * *

هُوَ الْحَلْمُ بَيْنَ صِيفِ الْجَنَانِ يَرِفُ عَلَى تَغْرِكَ الْمُلْهِمِ
وَيَطْرُقُ عَيْنَيْكَ فِي سَبْحَةٍ إِلَى عَالَمِ شَاعِرِي ظَمِي
تَحَجَّجَ بَيْنَ شِعَابِ الْغُيُوبِ وَأَوْمَضَ فِي قَلْبِكَ الْمُفْعَمِ
صَمِيرِي يُحْسِنُكَ أُغْرُودَةً عَلَى شَفْتِي خَاطِرٍ مُبْهِمِ

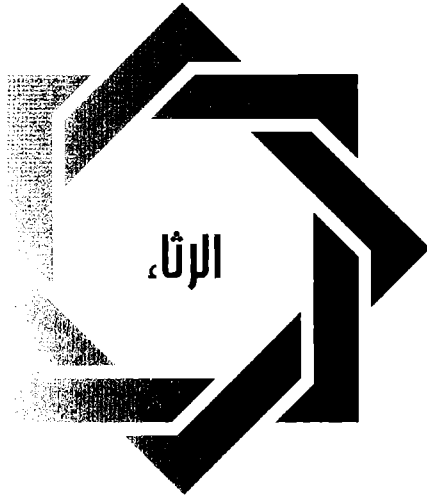
* * *

* نشرت في كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨

١- العندم: صنع تختص به الفتيات.

٢- وضووصت: حسنت ويقال: وضووصت امرأة: حسنت نفاها فم بر منه إلا عيناها، والمراد

أنه حسنة سريعة حفيظة.



ودمّ المختار ما زالَ ندبًا

يستحثُّ الخائعينَ الضُّعفاءَ

وضحايا الأَمْسِ والأَمْسِ نذيرُ اليومِ

يدعو من يجيئونَ الدُّعاءَ

وهي الفلود*

الموتُ مرحلةُ الخلودِ والذِّكْرُ عُمْرٌ لا يَبِيدُ
فإذا انتهى أَجْلُ العَظِيمِ فَذِكْرُهُ أَجْلٌ جَدِيدُ
ماتَ الزعيمُ ولم تزلْ آثارُهُ تُحْيِي الجنودَ
وَمَضَى شهيداً طاهراً يا نَعَمَ ذِيكَ الشهيدُ
هو عَلمُ الشعبِ الجِها دُوايَقِظُ القومَ الرُّقودُ
هو كانَ رَوحاً بيننا يَحْيَا فُيُحْيِي مَنْ يُرِيدُ
هو كانَ كالأمَلِ المَضَى ء وكانَ كالجدِّ السعيدِ
هو قد حَبَا الأشبالَ مِنْ عَزَمَاتِهِ بِأَسِّ الأَسودِ
فإذا مَضَى الأَسدُ المِصو رُ فَخَلَفَهُ أَسَدٌ عَتِيدُ
وإذا حَبَا الرَّأْيُ الرَّشِيدُ فَخَلَفَهُ رَأْيٌ رَشِيدُ
يا سَعْدُ أَدْمَنْتَ الجُهو دُ فَحَسْبُنَا تِلْكَ الجُهو دُ

* * *

نَمَ مَطْمَناً بَعْدَما عَلمَنا مَعنى الوِجودِ
الشعبُ بَعْدَكَ لَم يَعدُ يُشْبِهُ وَعَدُّ أو وَعِيدُ

* نشرت في نيسان (إبريل) ١٩٢٨

الشعبُ لا يرضى القيودُ ولم تُل منه القيودُ
الشعبُ نَصَبَ^{٧٥} مصطفاً كَ وكاتمَ السرِّ الودودُ
وهو الأمينُ على العهدِ فما يُخونُ وما يَحيِدُ
يا أيُّها الخلفُ العَظِيمُ مَ ويا أخا الرأي السديدُ
الشعبُ خَلَفَكَ كُتْلَةً في مَوقِفِ الهولِ الشديِدِ
أَقْدِمِ على الخِصْمِ العَينِ دِ يَحُوطُكَ الجِيشُ العَتيِدُ
مُسْتَلِهِمَا وَحَى الفَقيدِ فَإِنَّهُ وَحَى الخُلُودِ
إِنَّ الحِياةَ لِمَن صَحَا لَيْسَتْ لِعُشاقِ الهِجُودِ

* * *

الذكرى الفالدة لسعد العظيم*

هي هذه الذكرى لثالثِ عامٍ حَثَّتْ رَكَائِبَهَا يَدُ الأَيَامِ؟
هي هذه ذكرى الخُلُودِ وَرَمَزِهِ وشِعَارُهُ الباقِي على الأَعْوَامِ
ذكرى البُطُولَةِ والزَمَانُ يَحْفُهَا بِجَلَالِهِ فَتَجَلُّ فِي الأَفْهَامِ
جَاءَتْ تُحَدِّثُ فِي جَلَالِ رَوْعَةٍ مَحْفُوفَةٌ بِمِرَارَةِ الأَلَامِ
بَيْنَا تُذَكِّرُ بِالحَيَاةِ إِذَا هِيَ تَرْنُو مُحَدِّثَةً بِطَرْفِ دَامٍ^(١)
مَمزُوجَةٌ الأَلْوَانِ تَعَصِفُ تَارَةً وَتَعُودُ هَامِسَةً بِوَحْيِ سَامِ
هي كَالخُلُودِ المَحْضِ غَيْرِ مَحْدِدٍ وَهِيَ اليَقِينُ يُبْضُ بِالأَحْلَامِ
وَهِيَ النَفُوسُ حَيَالُهَا فِي رَوْعَةٍ أَخَاذَةٌ مَسْحُورَةٌ الإِلْهَامِ
مَشْدُوهَةٌ مَا إِنَّ تَفِيقُ وَحَوْلَهَا زُمُرٌ مِنَ الأَشْبَاحِ والإِهَامِ
مَغْمُورَةٌ الأَطْرَافِ شَاعِرَةٌ الحَشَا فِي غَمزَةٍ تَطْغَى وَفِيضِ طَامِ
هي هَذِهِ الذِّكْرَى وَذَاكَ جَلَالُهَا تَحْنِي لِرَوْعَتِهَا أَعَزُّ الهَامِ

* * *

أَمْضَتْ ثَلَاثًا كَالقُرُومِ طَوِيلَةً سُودَ المَفَارِقِ جُلَلْتُ بَقَامٍ^(٢)
عَصَفْتُ بِمَصْرِ الحَادِثَاتِ كَأَنَّهَا كَانَتْ مُهَيَّأَةً عَلَى الأَقْدَامِ

* نشرت في آب (أغسطس) ١٩٣٠

١- بطرف دام: طرف: نظر، دام: من الدم والمراد: نظرة أسي وجزن.

٢- القتام: الغبار الأسود.

وَمَشَتْ بِهَا هُوجُ الرِّيحِ جَرِيئَةً تَجْرِي لَهَايْتَهَا بِغَيْرِ زِمَامِ
 وَعَلَتْ بِؤُوسٍ كَنَّ أَخْفَضَ هَامَةً وَأَذَلَّ مِنْ عَيْرٍ بِكُلِّ مَقَامِ
 هُمْ قَدْ دَعَا دَاعِيَ الغُرُورِ فَاسْرِعُوا وَهُمْ ارْتَضُوا مِنْ دَهْرِهِمْ بِحُطَامِ
 وَدَعَاهُمْ الْوَطْنَ الْكَرِيمُ فَأَعْرَضُوا وَتَسَلَّلُوا لِلْخُصْمِ غَيْرَ كِرَامِ
 هَدَمُوا مِنَ الدُّسْتُورِ رَكْنًا قَائِمًا وَتَعَلَّلُوا بِالزُّورِ وَالْأَوْهَامِ
 وَتَصَيَّدُوا لِلشَّعْبِ كُلِّ مَسْبِيَّةٍ كَيْدَ الْعَدُوِّ وَطَعْنَةَ الْأَخْصَامِ
 لَوْلَا جَلَالُ الذِّكْرِيَّاتِ ذَكَرْتُ مِنْ آثَامِهِمْ مُسْتَبْشَعِ الْآثَامِ!

* * *

يَا سَعْدُ وَالذِّكْرَى تُثِيرُ شَجُونَنَا وَتَهْدِنَا بِالْعَزْمِ وَالْإِقْدَامِ
 وَتُطَلُّ رُوحَكَ فِي جَلَالِ صَامِتٍ يُزْرِي بِكُلِّ إِشَارَةٍ وَكَلَامِ
 يَا سَعْدُ تُولِيكَ الْقُلُوبُ حُشَاشَةَ مِنْهَا تَقُومُ بِوَاجِبِ الْإِكْرَامِ
 وَتَزُفُ أَنْفَاسَ النِّسِيمِ رَقِيقَةً تَسْرِي مَزُودَةً بِكُلِّ سَلَامِ
 يَا سَعْدُ شَخْصُكَ فِي الْقُلُوبِ مُجَسِّمٌ فِي كُلِّ تِمْثَالٍ هُنَاكَ مُقَامِ!
 إِنَّ الَّذِي يَحْيِي مَشَاعِرَ أُمَّةٍ تَحْيِيهِ بِالْأَرْوَاحِ لَا الْأَجْسَامِ

* * *

يَا أَيُّهَا الثَّأْوِي فِي تَذْكَارِهِ وَحَيِّ الْخُلُودِ وَآيَةَ الْإِلْهَامِ
 الْيَوْمَ تُذَكَّرُ وَالْجَلَالُ مُخَيِّمٌ وَالصَّمْتُ يَبْعَثُ شَاجِيَ الْأَنْغَامِ

وتمرُّ أجيالٌ وأنت مُعَيَّبٌ عنا وذكركُ في المشاعرِ تامِ
 إنَّا فَقَدْنَا بافتقاركِ طلعةً وبقيتِ ذكري خُلدَتِ بدوامِ
 في كلِّ نَفْسٍ من سَنَاكَ بقيةً وبكلِّ رُوحٍ منكَ فيضٌ هامِ^(١)
 هذا هو الشعبُ الذي خَلَفْتَهُ وسطَ الطريقِ مُيمماً لأمامِ
 هو لا يزالُ مُجاهداً كعهودِهِ هو لا يزالُ مُؤيداً الأعلامِ
 أمَّا الألى نَكثُوا العهدَ فما رَعُوا إلاَّ ولم يَسْتَمْسِكُوا بِذِمَامِ
 فهمُ البُعَاثُ جليلُهُم وحقيرُهُم وهمُ الذَّنَابُ تَفَجَّعَ في الإِجْرَامِ^(٢)
 يا سعدُ لا تَقْلِقْ لِفَعْلَةٍ خارجِ أنتَ الخبيرُ بهذه الأَقْرَامِ!
 حَمَلَ اللِّوَاءَ وصارَ بعدَكَ مُصْطَفَى يقفُو خُطَاكَ فَكانَ أَخْلَصَ حَامِ
 قد يَذْهَبُ اللِّيثُ الهِصُورُ وإنما تبقى اللبِوثُ عن العرينِ تُحامي

* * *

١- هام: غزير.

٢- البعاث: ضعاف الطير

البطل*

في مثل هذه الغمرات القاسية، التي تعانيتها الأمة المصرية الآن، يمر كثير من الحوادث الجسام دون أن يثير انتباهها؛ لأن الأمة في شغل عنه بما هي فيه؛ في شغل بالنكبة العامة عن النكبات الجزئية.

من ذلك وفاة السيد (العبيد) رئيس جمعية اللواء الأبيض في السودان؛ ذلك الشاب الجريء الذي أَلَفَ جمعيته على إثر إخراج الجيش المصري من السودان سنة ١٩٢٤ وقام يناضل عن صلة شطري الوطن المفدى، ووحده المقدسة؛ في جُرأة عجيبة؛ ورجولة كاملة؛ وبطولة فذة غير عابئة بسجن مُرهق شديد، ولا بتنكيل وحشي قاس بلغ من وحشيته وقسوته أن يسجن الفقيء وهو «سياسي» في سجن رطب في بقعة نائية من السودان تحيط بها الأحرار والمستنقعات، ويطوف بها طائف الفناء الرهيب، وتحوم حولها الحشرات القتالة. ثم لم يكتف الاستعمار بذلك «الاستعمار الذي يمثل المدنية!!!» بل أضاف إليه تشغيل هذا البطل ورفاقه في قطع الأحجار ورصف الشوارع حتى وَهَنَتْ قواهم وأصابته الشهيد الحمى فمات في سجنه تحوطه مظاهر القسوة بل الوحشية، بعد سبع سنوات كاملة لم تُهَنُ فيها نفسه، ولم يخضع للإذلال.

هذا هو (العبيد) الذي يموت دون أن يشعر بموته في مصر أحد. والشباب المصري، الشباب التافه الناعم، الشباب المشغول بالتطرية والزينة والحقارات النفسية الوضيعة، الشباب الذي فقد رجولته ومميزاته؛ ونسي ماضيه ووقفاته. هذا الشباب في شغل بما هو فيه من متاع ضئيل عن الانتباه للبطل الشهيد وذكراه، بل عن الانتباه لكل أمر ذي بال في الحياة!

وهذه القصيدة نفثة من شاب يقضى بها حق الشباب، وهذا ما يستطيع فرد أن يعمل؛ فإذا كان بالشبان الآخرين حياة تعمل شيئاً للذكرى كان بها، وإلا فحسي هذه النفثة الحررى.

* نشرت عام ١٩٣١

سَجَلِي يَا أَرْضُ وَاذْعِي يَا سَمَاءَ مَصْرَعَ الْجِبَارِ بَيْنَ الْعُظْمَاءِ
مَصْرَعُ الْجَشَّامِ مَا إِنْ يَنْشِي أَوْ تُدَكُّ الْأَرْضُ أَوْ تُطْوَى السَّمَاءُ^(١)
يَقِفُ الْهَوْلُ لَدَيْهِ خَاشِعاً وَهُوَ يَلْقَى الْهَوْلَ بِسَامِ الرَّضَاءِ

* * *

نَالَ مِنْهُ الْمَوْتُ مَا لَمْ يَسْتَطِعْ نَيْلَهُ الْعُصَابُ فِي سَبْعِ وِلاءِ
عَذْبُوهُ وَنَفْوَهُ وَمَضُوا فِي فَنُونِ الظُّلْمِ مَا الظُّلْمُ يَشَاءُ!
أَرْسَلُوهُ حَيْثُ وَاوَدِي الْمَوْتِ إِذْ لَا يَرَى الْأَحْيَاءُ أَطِيفَ الرَّجَاءِ
فِي مَبَاءَاتٍ تُدَوِّي بَيْنَهَا جَلَجَلَاتُ الْمَوْتِ فِي هَوْلِ الْوَبَاءِ^(٢)
تَصْفُرُ الرِّيحُ بِهَا مُعَوْلَةً تَنْذُرُ الْأَحْيَاءَ فِيهَا بِالْفَنَاءِ
وَأَرَادُوا وَالْمَنَايَا حَوْلَهُ أَنْ يُذِلُّوا فِيهِ تَلَكِ الْكِبْرِيَاءِ
فَمَضَى يَأْنِفُ فِي سُخْرِيَةِ عَيْشٍ ذُلُّهُ هُوَ وَالْمَوْتُ سَوَاءُ
لَمْ يَقْلُهَا: لَفْظَةً، لَوْ قَالَهَا لَقِيَ التَّعْمَاءَ مِنْهُمْ وَالْوِلَاءَ

* * *

لَيْتَ أَهْلَ الْأَرْضِ يَدْرُونَ بِمَا صَنَعَ الْعُصَابُ بِالنَّفْسِ الْبِرَاءِ
أَتَرَى أَنْعَتْهَا وَحَشِيَّةً فِي ظِلَامِ الْكَهْفِ لَمْ تَدْرِ الضِّيَاءُ؟
أَظْلَمُ الْوَحْشِ إِذَا شَبَّهْتَهُ بِوَحْشِ الْعَرَبِ تَمْتَصُّ الدَّمَاءَ!

١- الجشام: المنقح.

٢- مباءات: الأماكن الموبوءة.

يَفْتِكُ الْوَحْشُ لِحْيَا بَيْنَمَا يَفْتِكُ الْغَرْبِيُّ حُبًّا فِي الثَّرَاءِ!
 يَا شَبَابَ الشَّرْقِ هَذَا مَوْقِفٌ تَقْشَعِرُّ الْأَرْضُ مِنْهُ وَالسَّمَاءُ
 وَدُمُ الْمَخْتَارِ مَا زَالَ نَدِيًّا يَسْتَحِثُّ الْخَائِعِينَ الضُّعْفَاءَ^(١)
 وَضَحَايَا الْأَمْسِ وَالْأَمْسُ نَذِيرٌ إِلَيْهِ — يَوْمٌ يَدْعُو مَنْ يَجِيئُونَ الدُّعَاءَ

* * *

يَا شَبَابَ الشَّرْقِ وَالشَّرْقُ إِذَا لَمْ تَكُونُوا جُنْدَهُ ضَاعَ هَبَاءُ
 لَا يَرُدُّ الْحَقُّ قَوْلَ فَارِغٍ تَذْهَبُ الرِّيحُ بِهِ عَصْفَ الْهَوَاءِ
 إِنَّمَا يُجِدِي جِهَادَ عَارِمٍ وَخِصَامٍ وَنِصَالٍ وَعَنَاءِ
 إِنَّمَا يُجِدِي إِذَا نَبَعْتُهَا كَهَزِيمٍ^{٢٥} الرِّعْدِ تَدْوِي فِي الْفَضَاءِ
 إِنَّمَا يُجِدِي إِذَا مَا أَيْقَنُوا أَنَّنَا كَالْغَرِبِ قَوْمٌ أَقْوِيَاءُ

* * *

يَا شَبَابَ النَّيْلِ مَاذَا؟ وَيَحْكُمُ! أَفَأَنْتُمْ حَيْثُ يُحْيِيكُمْ دُعَاءُ؟
 يَا شَبَاباً نَاعِماً مُسْتَأْنِثاً كَذَوَاتِ الْحِدْرِ فِي ظِلِّ الْحَبَاءِ!^(٢)
 يَا شَبَاباً تَافِهَةً مُحْتَقَرَةً تَأْتِفُ الْأَجْيَالُ مِنْهُ فِي اِزْدِرَاءِ
 يَا شَبَاباً هُمَّهُ لَذَاتُهُ فَهُوَ يَحْيَا بَيْنَ كَأْسٍ وَخَنَاءِ

١- هو الشهيد البطل عمار المختار الزعيم الطرابلسي وقد أعدمه الطليان رميا بالرصاص مع أنه مجاهد مستقل، مخالفين في ذلك كل التقاليد المدنية.

٢- ذوات الحدر: الفتيات الأبيكار .

يا شباباً قُصِرَتْ آمالُه كخَشاشِ الأَرْضِ مَرَمَاهُ العِداءُ
يا شباباً نُكِبَ النَيْلُ بِهِ في الأمانِي والتَّعلاتِ الوِصاءُ
يا شبابَ النَيْلِ هَلْ أبْصَرْتُمُو في فِتي السُودانِ كَيْفَ الشُّهداءِ؟
عُمُرُ الإِيمانِ بِالْحَقِّ لَه مَهجَةٌ حَرَى فِجاداتِ بِالفِداءِ
يا شبابَ النَيْلِ هَذَا مِثْلُ جِلالِ المَوتِ في ظِلِّ الإِباءِ
ما يَقولُ الشُّعْرُ في هَذَا وما حِيلةُ الشُّعْرِ؟ وما طُوقُ الرِثاءِ؟
موقفٌ جَلَّ عنِ الشُّعْرِ فَهَلْ يُكْمِلُ التارِخُ بَدءَ الشُّعراءِ؟

* * *

مكتبة نور الأريكة
www.books4all.net

ذكري سعد *

خَمْسٌ مَضِينَ تَجُنُّكَ الْأَسْتَارُ فيها. وقبرك كعبة ومَنَارُ
 في كلِّ مَطَّلَعٍ وكلِّ نَيْبَةٍ ذكرى تَزَاحِمُ حَوْلَهَا الْأَفْكَارُ
 باقٍ على عَنَتِ الخُطُوبِ وَعَسْفِهَا مجدُّ تَقَاصَرَ دُونَهُ الْأَنْظَارُ
 تَصَرُّمٌ^١ الْأَيَّامِ وَهُوَ مُوَطَّدٌ يعنوا لخصومٍ لديه والأَنْصَارُ
 وكأنَّه عَلِمَ يُنِيفَ على الْوَرَى ترنو إليه وتَخَشَعُ الْأَقْدَارُ
 وَتَضَاعَلِ الْأَشْخَاصُ عَنْهُ وَيَسْتَوِي في ظِلِّهِ الْأَقْرَامُ وَالْجِبَارُ!

* * *

ماذا يُطِيقُ الْكُونُ أَنْ يَنْسَاهُ مِنْ سعدٍ؟ وكلِّ عَظِيمَةٍ تَدُكَّارُ؟
 هَلْ كَانَ إِلَّا فِي الْعِظَائِمِ مَوْنِلاً في يَوْمٍ تَشَخَّصُ عِنْدَهُ الْأَبْصَارُ
 تَدْوِي حَوَالِيهِ الخُطُوبُ وَتَنْثِي كَأَشْمٍ يَعْصِفُ حَوْلَهُ الْإِعْصَارُ
 فَإِذَا مَضَى الْهَوْلُ الْمَرْوَعُ وَانْجَلَّتْ غَمْرَاتُهُ وَتَرَاحَتِ الْأَخْطَارُ
 أَبْصَرَتْ تَحْتَ الْهَوْلِ بَسْمَةٌ هَادِيَةٌ رَاضٍ أَشْمٌ كَأَنَّهُ الْمِقْدَارُ
 رُوحٌ تَجِلُّ عَنِ الْحَيَاةِ وَأَهْلِهَا وَصُرُوفِهَا، وَتَحْفُفُهَا الْأَسْرَارُ
 رُوحُ الْبَطُولَةِ وَالْبَطُولَةُ طَلَسَمٌ كَالسَّحْرِ تَدْهَشُ عِنْدَهُ وَتَحَارُ
 أَفْدَاكِرُ أَنْتَ الْجُمُوعَ وَحَشْدَهَا لَمَّا دَعَا سَعْدُ الْجُمُوعَ فَتَارُوا

* نشرت عام ١٩٣٢

ماذا أبركانَ تَفَجَّرَ أم تُرى موجُ أشمُّ أمُّ؟ أم تيارُ
سِحْرِ البطولةِ أو شِواظِ لَهيبِها يُذَكِّي النَفوسَ فكلُّها مِغوارُ
ذكري تُقدِّسُها البلادُ كريمةً وتصونُ رِوَعةَ مَجديها وتغارُ
هي بعضُ تاريخِ البلادِ فلم تُكنْ تاريخَ فردٍ يَنْطوي ويُشارُ!
ذكري يَحْفُ بِها الجلالُ وتَنْزوي يازائِها الأحقادُ والأوزارُ
ذكري تُطلُّ كأنَّها قُدسيَّةٌ فالكلُّ تحتَ ظلالِها أبرارُ
فلتَعنِ للذكري الجباهُ وتَنحِنِ الهاماتُ ولتَخشَعُ الأبصارُ

* * *

طليعة الضحايا*

سَجَلِي يَا أَرْضَ وارِعِي يَا سَمَاءَ مَصْرَعِ النَّسْرِينِ فِي جَوْفِ الْفَضَاءِ^(١)
 سَجَلِيهِ بِمَدَادِ الْفَخْرِ لَا بَلْ بَفِيضِ مَنْ دِمَاءِ الشُّهَدَاءِ
 مَصْرَعُ الْأَسَادِ فِي آجَامِهَا لَا كَمَا تَلْقَى مَنَائِمَهَا الطُّبَّاءُ!
 سَجَلِيهَا رَوْعَةٌ قَدْ مُزِجَتْ مِنْ أَسَى الْحَزَنِ، وَمِنْ فَيْضِ الْعَزَاءِ
 وَضَحَايَا الْمَجْدِ فِي مَذْبَحِهِ يَلْتَقِي الْيَأْسُ عَلَيْهَا وَالرَّجَاءُ!
 وَهِيَ الْقُرْبَانُ يَفْدِي أُمَّةً إِيهِ مَا أَكْرَمَهُ هَذَا الْفِدَاءُ

* * *

دَوْمًا وَالرَّيْحُ فِي مُعْتَرِكِ صَاحِبِ الْأَنْوَاءِ، مِشْوُومِ الْعَوَاءِ
 وَظِلَامٌ فِي ظِلَامِ مُبْهَمٍ يَخْشَعُ الْهَوْلُ لَدَيْهِ وَالْفَنَاءُ
 طَامِسُ الْآثَارِ مَجْهُولُ الْخُطَا لَا دَلِيلَ، لَا شُعَاعَ؛ لَا ضِيَاءَ
 وَهَمَا فِي جَوْفِهِ تَحْدُوهُمَا هِمَّةٌ قَعَسَاءُ تَأْبَى الْأَنْزَوَاءُ
 يَلْطُمَانِ الرِّيحِ إِمَّا لَطَمَتْ وَيُرُوغَانِ كَأَطْيَافِ الْهَوَاءِ
 أُشْرِبَتْ نَفْسَاهُمَا حُبَّ الْعَلَا وَأَرَادَهَا حَيَاةً فِي السَّمَاءِ
 قَدْ أَرَادَا؛ وَأَرَادَ اللَّهُ مَا كَانَ؛ سُبْحَانَكَ تُمْضِي مَا تَشَاءُ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٢

١- هذا البيت لُتمِعَ في قصيدة سابقة، والنسرين هما حجاج ودوس شهيدا الطيران.

إِيهِ يَا مِصْرُ عِزَاءُ إِنَّمَا أَنْتِ أَوْلَى بِالتَّحِيَّاتِ الْوِضَاءُ
قَدْ بَدَلْتَ الْيَوْمَ مَا تَبَدَّلُهُ أُمَّةٌ شَاءَتْ حَيَاةَ النَّبْلَاءِ
أُمَّةٌ قَدْ أَعْلَنْتْ قِسِمَتَهَا مِنْ صَمِيمِ الْمَجْدِ بَيْنَ الْقُسَمَاءِ!
وَدَمٌّ يُهْرَاقُ فِي تَضْحِيَةٍ سَوْفَ يَسْرِي نَخْوَةً بَيْنَ الدَّمَاءِ

* * *

مكتبة سوره الأريكة
www.books4all.net

موت سوسو*

سوسو هرّ أليف ظريف انطفأت فيه شعلة الحياة المقدسة بين يديه،
وهذه مرثيته، أو مرثية الشعلة الخالية فيه:

لقد همدت في الضلوع الحياة فما يرْجف القلبُ أو يخفقُ
وقد غاب لألأوها في العيون فما ترمقُ الكونَ أو تبرقُ
وقد سكنت نامةً في حشاه فما عاد يففزُ أو يمرقُ
فيا قربها لحظةً في الزمانِ ويا بعد آثارها تنطقُ
وتنقلُ من عالمٍ صاحبٍ إلى عالمٍ صمته مطبقُ
* * *

تقيم الحياة هنا مائماً وما إن تسي جزعاً تفرقُ^(١)
وإن الحياة لمجنونةً بأبنائها الكَلَّ لا تفرقُ
فجيعتها في صغار الفراشِ كموتِ الفتي حادِثٍ مرهقُ
هو الموتُ في كُنْهه واحدٌ ويزهقُ من بعد من يزهقُ
قد اندخرت في صراع الردى فحق لها كل ما تحنقُ!
* * *

* نشرت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٨
١- تي: تضعف.

وَتَرْجُفُ فِي كُلِّ حَيٍّ إِذَا أَصَابَ سِوَاهِ الرَّدَى الْمَرْهَقُ
أَشَعَّتْهَا فِي جَمِيعِ النَّفُوسِ يُرْقِرُهَا مَصْدَرٌ يَأْلَقُ
فَإِنْ مَسَّهُ مَا يَغُصُّ الضِّيَاءَ تَذْبَذَبَ لِأَلَاؤِهَا الْمُشْرِقُ^(١)
فِيَا دَمْعَةً رَفَرَقَتْ فِي الْعَيُونِ لِأَنْبِ الْحَيَاةِ هَمَّتْ تَدْفُقُ
يَعِزُّ عَلَى النَّفْسِ فَقَدْ الْحَيَاةِ فَتَجْزَعُ لِلْمَوْتِ إِذْ يَطْرُقُ

* * *

مكتبة نور الأديبة
www.books4all.net

١- الحياة وحده في جميع الأحياء كمستودع الطاقة بمد فروعها المتفرقة ومبني مسه ما بغض من طاقته تذبذبت جميع الفروع وكذلك يرجف الأحياء لموته.

الزاد الأفيق*

زَوَّدِيَنِي مِّنَ الرَّجَاءِ الْأَصِيلِ مُشْرِقاً فِيكَ فِي الْحَيَاةِ الْجَمِيلِ
 أَنْتَ كَنْزٌ مِنَ الطَّلَاقِ وَالْبِشْرِ وَذُنْبًا مِنَ السَّنَا الْمَعْسُولِ
 خَفَّةُ الطَّيْرِ وَانْطِلَاقُ الْأَمَانِي بَعْضُ مَا فِيكَ وَانْطِلَاقُ السُّيُولِ
 وَهَجُّ يَهْرِ النُّفُوسِ وَيُزَكِّي حَفَقَاتِ الْقُلُوبِ عِنْدَ الْمُتُولِ
 دَخَرْتِكَ الْحَيَاةُ كَنْزَ حَيَاةٍ وَرَصِيداً لِمَالِهَا الْمَبْدُولِ!

* * *

زَوَّدِيَنِي لَكَادَ يَنْفَدُ زَادِي فِي صِرَاعٍ مِّنَ الْحَيَاةِ طَوِيلِ
 كَادَ يَخْبُو الْمَصْبَاحُ إِلَّا بِصِيصاً فَاسْكُجِي الزَيْتَ فِي بَقَايَا الْفَيْلِ
 كُنْتَ كَالْجَذْوَةِ الْمَشْعَّةِ نُوراً وَهِيَ الْيَوْمَ فِي طَرِيقِ الْأَقْوَلِ
 فِيكَ زَادٌ يَقْوَتُنَا وَيَقِينَا عَشْرَاتِ الطَّرِيقِ بَيْنَ التُّلُولِ
 أَنْتِ لَا غَيْرُكَ الْقَدِيرَةُ أَنْ تُزَكِّي حَيَاةً بِخَاطِرِي وَمِيُولِي

* * *

حِينَ أَلْقَاكَ يَغْمُرُ الْبِشْرُ نَفْسِي بِرَجَاءٍ مُّشْعَشَعٍ مَوْضُولِ
 وَأَرَى عَيْبِي الثَّقِيلَ خَفِيفاً وَأَرَى نَاهِضاً بَعْبِي الثَّقِيلِ
 وَكَأَنِّي اسْتَشْعَرْتُ رُوحَ شَبَابِي وَرَجَعْتُ الزَّمَانَ صَعَبَ الْقُفُولِ
 فَأَعِيدِي إِلَيَّ مَاضِي عُمْرِي وَاعْمُرِيهِ بِالْبِشْرِ وَالتَّامِيلِ
 وَأَطْلُعِي فِي قِفَارِ نَفْسِي حَيَاةً وَإِذَا مَا دَجَى عَالَمِي أَوْ مَضِي لِي

* * *

* نشرت في تموز (يوليو) ١٩٤١

نوسه أو شطر من العمر*

نوسه قطة صحبتني اثني عشر عاماً، تحتل مكان الطفل الحبيب، وتشغل فراغه من نفسي وزمني، وتمنحني من الود والثقة والدعابة كفاء ما أمنحها من العطف والعناية والملاعبة، ثم ماتت بين يدي...

أَغْمِضِي عَيْنِيكَ قَدْ آتَى الْأَوَانُ وَدَعَيْتَنِي هُبَّةً لِلشَّجَنِ
وَأَمْسِي دُنْيَاكَ فِي آتِي الزَّمَانِ وَدَعَيْتَنِي لُغْبَةً لِلزَّمَنِ!

* * *

هَذِهِ كَفَى وَقَدْ مَرَّتْ عَلَيْكَ فِي حَنَانٍ وَارْتِيَاعٍ وَوُلُوعٍ
لَمْ تَحْسَبْهَا وَلَمْ تَبْضُ لَدَيْكَ قَلْبِي النَّابِضُ مِنْ بَيْنِ الصُّلُوعِ

* * *

هَذِهِ الْكَفُّ الَّتِي كَمْ دَلَّلْتِكِ وَسَدَّتْكَ الْيَوْمَ أَطْبَاقَ الثَّرَى^(١)
أَيُّ حَالِهَا تُرَى أَحْسَى عَلَيْكَ؟ لِيْتِنِي أُدْرِي. وَمَنْ فِينَا دَرَى؟

* * *

ذَلِكَ الصَّوْتُ الَّذِي تَرْتَقِينَ قَدْ دَعَاكَ الْيَوْمَ مِنْ خَلْفِ الْحِجَابِ
قَدْ دَعَاكَ. إِنَّمَا لَا تَسْمَعِينَ أَسْدِلِ السَّتْرُ وَقَدْ عَمِيَ الْجَوَابُ

* * *

نشرت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٢
١- وسدتك: جعلت تحت رأسك الثرى.

أَنَا يَا «نُوسَةٌ» وَالْعَهْدُ قَرِيبٌ مُوحِشُ النَّفْسِ شَجِيٌّ لِلْمَغِيبِ
مَوْضِعُ الصَّاحِبِ وَالطِّفْلِ الْحَبِيبِ قَدْ خَلَا فِي ذَلِكَ الْقَلْبِ الْغَرِيبِ
* * *

مَوْضِعُ الشَّطْرِ الَّذِي قَدْ عَشْتِ فِيهِ مِنْ حَيَاتِي مَوْضِعًا لِلْحَدَبِ
مَا مَضَى مِنْ دُونِهِ أَوْ مَا يَلِيهِ غَرِبَةٌ تَقْسُو عَلَى مُغْتَرِبِ
* * *

إِنِّي أَبْكَيكِ يَا ظِلَّ الشَّبَابِ إِنِّي أَبْكَيكِ يَا طَيْفَ الْبَنِينِ
رُفْقَةً طَالَتْ عَلَى خَيْرِ اصْطِحَابِ لَكَ عَطْفِي وَلِي الْوُدُّ الْمَكِينِ
* * *

لَمْ يَكُنْ وَدٌّ بَطُونٍ وَطَعَامٍ إِنَّمَا وَدٌّ اصْطِحَابٍ وَوَفَاءٍ
طَالَمَا أَتَرْتِ إِنْ غَبْتُ الصِّيَامَ أَوْ تَلَوْدِينَ بِصَمْتٍ وَأَنْزَوَاءٍ
* * *

فَإِذَا عُدْتُ فَوْتَبٌ وَمُؤَاءٌ نَاطِقٌ بِالشَّوْقِ أَوْ بِالْفَرْحِ
وَالْأَعْيَبِ وَخَمَشٌ وَالتَّوَاءُ وَتَشْنِ نَاطِقٌ بِالْمَرْحِ
* * *

طَالَمَا نَادَيْتِنِي عَذْبَ النَّدَاءِ فِي وَدَاعٍ حِينَ أَمْضِي أَوْ لِقَاءِ
فِي صَبَاحٍ حِينَ أَصْحُو أَوْ مَسَاءِ بُوْثُوقٍ وَاعْتِدَادٍ وَذَكَاءِ!
* * *

طالما أَحَسَسْتُ أَنِّي لِكَ وَحَدِّكَ لَا تَطِيقِينَ شَرِيكاً أَوْ شَبِيهاً
طالما وَطَّأَتْ فِي حَجْرِي مَهْدَكَ فَعَلَّةُ الطَّفَلَةِ فِي حُضْنِ أَبِيها

* * *

كنتِ لي كلكِ في هذي الحياةِ أينَ مَنْ ألقاه فيها لي كُلُّه؟
كُلُّ مَنْ ألقى له فيها هَوَاهُ وله آماله فيها وشغلُهُ!

* * *

قد خلا حُضْنِي وكَفَى وذِرَاعِي قد خلا قَلْبِي مِنْ هَذَا المَتَاعِ
مُنْذُ دَعَا المَوْتَ فأصْغَيْتِ لداعٍ مَنْ دَعَاهُ لَمْ يُعَقِّبْ لِوَدَاعِ

* * *

أنا يا «نوسة» أمْضِي والليالي وخواءِ المَوْتِ يَغْشَى عَالَمِي
رَسْمُكَ الشَّاحِصُ يَبْدُو كالحَيَالِ أَوْ كحُلْمٍ فِي ضميرِ الحَالِمِ

* * *

وخيالاتك في كلِّ مَكَانٍ شاحِصَاتٍ تَتراءى لِلعَيَانِ
تَصْحَبُ العُمُرَ على خَطْوِ الزمانِ هاهنا كنتِ وَقَدْ كَانَا وَكانَ

* * *

هذه أنتِ إلى حُضْنِي أَوَيْتِ هذه أنتِ أمامِي قد رَبَضْتِ
هذه أنتِ على صَدْرِي وَثَبْتِ لهْفَ نَفْسِي! أينَ أنتِ أينَ أنتِ؟

* * *

ها هو الصبحُ فأينَ الوَثْبَاتُ هذه كَفَى فأينَ اللَّمَسَاتُ؟
ها هو الأكلُ فأينَ الهمَّهَمَاتُ؟ أينَ أينَ؟ كلُّ ما قد كانَ فَاتًا!

* * *

أينَ قِطَّاتِكَ في الحِرْزِ الأَمِينِ مَنْ دَنَا مِنْهَا عَلَيْهِ تَثْبِينٌ
غيرَ أَنِّي لِي وَوَحْدِي تَأْمِينٌ وَإِذَا مُسَّتْ فِيَّ تَسْتَجِدِينِ؟

* * *

سَكَتَ الصَّوْتُ وَقَدْ كَانَ غِنَاءً! سَكَتَ الوَثْبُ وَقَدْ كَانَ مَضَاءً
وامتلاءُ البيتِ قد أَمْسَى خَوَاءَ كُلِّ مَنْ فِيهِ قَدْ اسْتَلْقَى عِيَاءَ

* * *

ها هنا كنتِ؟ أمَا هذا ضَلَالٌ؟ وقهاويلُ حَمَارٍ أو خَبَالٌ؟
لم يكنْ شَيْءٌ ولم يَطْرَأْ زَوَالٌ كُلُّ مَا كَانَ خِيَالٌ في خِيَالٍ!

* * *

ضَلَّةٌ للنَّاسِ في آمالِها والمَنَايا رَابِضَاتٌ بالوَصِيدِ
زُمِرَ تَمِضِي إلى أَجَالِها والذي يَحْيَا يُرَجِّي في الخلودِ!

* * *

صدى العاصفة *

لم تكن إلا مرات معدودة جلست فيها إلى فقيد مصر العظيم. ثم
هأنذا أعاني من الفجعة فيه كأنها فجيعتي الخاصة... فيا ويح لأولئك
الذين عاشروه، فأحبوه ووارثناه لهم كيف يعيشون...؟
جَسَفَ الرثاءُ بخاطري المُفجوعِ وَصَمْتُ لا أَفْضِي بِغَيْرِ دُمُوعِي
إِنِّي ذُهَلْتُ عَنِ الْمَصَابِ بِوَقْعِهِ حِيناً، ذُهُولَ الْوَاهِمِ الْمَخْدُوعِ
فَظَلَلْتُ أَنْصِتُ لِلرَّجَاءِ، وَأَتَقَى صَوْتَ الْيَقِينِ الْفَاجِعِ الْمَسْمُوعِ
أَيْمُوتُ؟ كَلَّا! لا يَمُوتُ وَهَذِهِ مَصْرٌ تُرْجَى نَجْمَهُ لِسَطُوعِ
أَيْمُوتُ وَالْأَحْسَدَاتُ تَهْتَفُ بِاسْمِهِ أَتَكُونُ تِلْكَ هُتَافَةَ التَّوْدِيْعِ؟
قُلْ أَيُّهَا النَّاعِي سِوَاهُ؟ فَمَا أَرَى أَنِّي -- وَإِنْ جَاهَدْتَنِي -- بِسَمِيعِ!

* * *

راويلتاه! أإنها الحقيقة جلت عن الإيجاف والترويع؟^(١)
صمت الذي قد كان ألحن حجةً وتحدثت طعناته بنجيع^(٢)
متفجرات بالدماء كأنها كلماته في قوة ونصوع
كلماته اللائي تبضن بقلبه ودمأؤه من ذلك اليبوع

* * *

° نشرت في آذار (مارس) ١٩٤٥

١- الإيجاف: من أوجف الشيء: حرّكه، ووجف القلب: خفق، قال تعالى ﴿قلوب يومئذ واجفة﴾
والمراد خفقان القلب واضطرابه.

٢- الدجيع: دم الجوفز

يا واهب الوادي فربيع حياته ما بال عمرك لم يكن بمرح؟
يا مانع السوادي العزيز بنفسه ما بال عمرك لم يكن بمنيع؟
خطفتك عادية السنون وخلفت وطناً يعالج سكرة المصروع
لخسلاً فكانك ليسي يملأ رحيبه إلا الأسي وتفجع المفجوع
لخسلاً فكانك والبلاد تهيات تخطو إلى أفق رستت وسيع
وتلفتت تصغي لصوتك هادياً في المذلهم ورأيك المسموع
فصمت - يا المهول - صمته وأجم ماضٍ لغير تأوبٍ ورُجوع
واهاً لمصرَ ويا فجعجة أهلها في الرائد المتفرّد الثبوع!

* * *



تَبْعُونَ الْاِسْتِقْلَالَ؟ تَلِكْ طَرِيقُهُ

وَلَقَدْ اَخَذْتُمْ بِالطَّرِيقِ فَيَمُّوا

وَهُوَ الْجِهَادُ حَمِيَّةٌ جَشَامَةٌ

مَا اِنْ تَخَافُ مِنَ الرَّدِّىِ اَوْ تُحْجَمُ

إلى البلاد الشقيقة*

عَهْدٌ عَلَى الْأَيَّامِ أَلَا تُهْزَمُوا فإلنصرُ يَنْبُتُ حَيْثُ يُهْرَقُ الدَّمُ
 فِي حَيْثُ تَعْتَبِطُ الدَّمَاءُ فَأَيَقِنُوا أن سوف تَحْيُوا بِالدَّمَاءِ وَتَعْظُمُوا^(١)
 تَبْغُونَ الاستقلالَ؟ تلكَ طَريقُهُ! ولقد أخذتُم بالطريقِ فَيَمُمُوا
 وهو الجهادُ حَمِيَّةً جِشَامَةً ما إن تخافُ من الرّدى أو تُحجِمُ
 إن الخلودَ لِمَن يَطِيقُ مَيَسَّرَ فليمضِ طلابُ الخلودِ وَيُقَدِّمُوا
 وَطَنٌ يُقَسِّمُ لِلدَّخِيلِ هَدِيَّةً فعلامُ يَحْجِمُ بعدَ هذا مُحْجِمٌ؟
 الشَّرْقُ يَا لِلشَّرْقِ تلكَ دَمَاؤُهُ والغربُ يا للغربِ يُضْرِبُهُ الدَّمُ^(٢)
 الشَّرْقُ وَيَحِ الشَّرْقُ كَيْفَ تَقَحَّمُوا حرمانه الكَبِيرى وَكَيْفَ تَهْجَمُوا
 غَرَّتْهُمُ سِنَةٌ الكَرى فَتَوَهَّمُوا يا للذكاءِ! فكيفَ قد غَرَّتْهُمُوا؟
 سِنَةٌ وَمَرَّتْ وَالنِّيَامُ تَيْقُظُوا فليعلمُوا مَنْ نَحْسُنُ أو لا يَعلَمُوا!
 اليَوْمَ فَالْيَغُوا الدَّمَاءَ وَفِي غَدِ فَليندُمُوا عَها وَلاتِ المَندَمِ^(٣)
 * * *

أبطالَ الاستقلالِ تلكَ تَحِيَّةً مِنْ مِصرَ يبعثُها فَوادٌ مُفْعَمٌ
 إِخواننا فِي الحالِ والعُقْبى مَعاً إِخواننا فِيمَا يَلدُ وَيُولِمْ
 مِصرَ الفِئاةِ وما تَزالُ فِئَةٌ تَهْفُو إِلَيْكُمْ بِالقُلُوبِ وَتَعْظُمُ
 فِي كُلِّ مُطْلَعٍ وَكُلِّ نَيْبَةٍ نارًا من الشَّرْقِ الفِئَةُ سَتِصْترَمُ
 * * *

* نشرت في ١٩٣١ بمناسبة ثورة فلسطين وحوادثها الدموية.

١- تعتبط: من عبثه الموت أي مات شابا صحيحا.

٢- يضربه: يجعله من الضواري .

٣- فليغوا: من ولغ يلعغ: شرب الدماء دون ارتواء. لات الندم: ليستال ساعة ساعة اليوم.

مأساة البداري*

ليس في مصر من لا يذكر هذه المأساة الوحشية التي مثلها مأمور البداري المقتول مع أهالي البداري عامة؛ وسجين البداري خاصة، وذلك الموقف العجيب الذي وافته منها وزارة العهد المظلم البائد، وقد حالت قيود ذلك العهد البغيض دون نشر هذه المقطوعة وسواها.

ما ذلك، العَرَضُ الشَّرِيفُ يُثَلِّمُ؟ وَيَسِيلُ مِنْ حَنْقِ حَوَالِيهِ الدَّمُّ؟
ومن الذي سَامَ النفوسَ مَهَانَةً يَا بِي وَيَأْنِفُهَا الذَّلِيلُ الأَعْجَمُ؟^(١)
من كلِّ ما عَوَزَاءُ تُكْشِفُ جَهْرَةً وَيُهَانُ مِنْهَا مَا بُصَانُ وَيُكْرَمُ
وَكِرَامَةٌ يَشْتَطُ فِي تَحْقِيرِهَا نَذْلٌ حَقِيرُ القَلْبِ لَا يَتَأْتُمُ
في أَيِّمَا بِلَدٍ نَعِيشُ؟ وَأَيُّمَا عَهْدِ يَمُرُّ عَلَى الكِنَانَةِ مُظْلَمُ؟^(٢)
عَهْدٌ نُسَامُ الحَسْفَ فِيهِ وَنُبْتَلَى نَقْمًا إِذَا قُمْنَا نَهْجُجُ وَنَنْقُمُ
وَحَشِيَّةٌ كَشَفَ الزَّمَانَ حَجَابَهَا لَا بَلَّ أَشَدُّ مِنَ الوُحُوشِ وَأَظْلَمُ
الوَحْشِ يَضِلُّ جَانِعًا وَيَعْفُ عَنِ فِتْكَاتِهِ إِذْ مَا يَعِبُّ وَيَطْعَمُ*

يَا أَيُّهَا الرُّفَقَاءُ بِالْحَيَوَانِ لَا تَنْسُوا أَنَا سَيًّا تَنْنُ وَتَأَلَمُ
في مِصْرٍ قَدْ تَلَقَى الكَلَابُ رِعَايَةً بَيْنَا يُحَقِّرُ شَعْبَهَا وَيُحَطِّمُ!
في مِصْرٍ لَا يَلْقَى المَسِيءُ جَزَاءَهُ لَا بَلَّ يُكَافَأُ دُونَهُ وَيُكْرَمُ
في مِصْرٍ مَا لَا يَحْفَظُ التَّارِيخُ مِنْ فُحْشِ يَعِجُّ بِهَا وَفُحْشِ يُكْتَمُ
في مِصْرٍ! لَوْ فِي مِصْرٍ بَعْضُ كِرَامَةٍ غَضِبَتْ وَفَارَ عَلَى جَوَانِبِهَا الدَّمُّ!

مَاذَا يَعْزُزُّ عَلَى الهَوَانِ نَصُونُهُ؟ لَمْ يَبْقَ مِنْ حُرْمَاتِنَا مَا نُكْرَمُ!
الموتُ! يَا لَلْمَوْتِ! أَشْرَفُ شِرْعَةٍ * * * مِمَّا نُسَامُ بِهِ وَمِمَّا نُوَسِّمُ

* نشرت عام ١٩٣٢

١- الذلول الأعجم: الحيوان.

٢- نعت مقطوع مرفوع في موضع الدم.

صوت الوطنية *

مناسبة موافقة وزارة وبرلمان صدقي على مشروع خزان جبل الأولياء.

ضجَّت الدنيا فماذا تَرْتَقِبُ مِصرُ من أهوالها حتى تَثِبُ؟
ضجَّت الدنيا من الهولِ الذي ترك الدنيا جميعاً تَضْطَرِبُ
فَارَ ماءَ النيلِ أو صَارَ إلى حُمَمٍ أو نِقْمَةٍ مِنْهُ تُصَبُّ
وأرى مِصرَ تُعاني سَكْرَةً وإذا تَصْحَوْتُ تَتَجَبَّبُ؟
مِصر. يا مِصرُ. وما يُجدي البكا غِضْبَةً يا مِصرُ كَاللَّيْثِ وَثَبُ
غِضْبَةً يا مِصرُ. أو. لا. فادْرُجِي في قيودِ الذلِّ وارْضِي بِالْحَرْبِ
* * *

أفهدِي مِصرُ أم ماذا أرى؟ أمةٌ أُخرى وشعبٌ مُنْقَلَبُ
أم تُرى الأيامُ دارتْ دورةً فإذا الأَسَدُ شِياهُ تُحْتَلَبُ؟
ما عَهْدُنَا مِصرَ تُمِطِي ظَهْرَها كَذُلُولِ النُّوقِ مَنْ شَاءَ رَكِبُ!
المَطَايا حينَ تَخْشَى حَنَفَها تُعْطِبُ السَّائِقِ من دونِ العَطْبِ!
* * *

مِصرُ لَمَّا غَضِبَتْ غَضِبَتْها لَمَ يَرُوعُها الغُربُ لما أنْ غَضِبَ
أرسلَتْها صِحَّةً داوِيةً كهزيمِ الرعدِ جِياشِ اللَّجْبِ^(١)

* نشرت عام ١٩٣٢

١- جيش الحب: مرتفع الضحيج.

أَنْصَتَ الْغَرْبُ لَهَا وَاسْتَمَعَتْ أُذُنَ الْقَسَامِ مِنْ خَلِيفِ الْحُجُبِ
وَاحْسَ الظُّلْمِ مِنْهَا رِغْدَةً تَمْشِي فِيهِ كَالرُّغْبِ يَدُبُ
لَمْ تَرُعْنَا هَجْمَةً مِنْهُ عَلَى رُسُلِ الْحِسْقِ غَشَّوَمَا يَحْتَطِبُ
سَالَتْ الْأَنْفُسُ فِيهَا فَارْتَوَتْ تَرْبَةً الْمَجِيدِ بِسِمَا بَعْسِ الْجَدَبِ
وَوَعَاهَا الدَّهْرُ فِي آثَارِهِ جَذْوَةً حَمْرَاءَ فِي رَأْسِ الْحَقَبِ

* * *

هَذِهِ يَا مِصْرُ ذِكْرِي فَادْكُرِي مَا تَوَلَّيْتِي وَادَّأَيْتِي خَمِيرَ الدَّأَبِ
أَرْجِعِي الْكَرَّةَ لَا هَيَابَةَ وَأَغْلِي بِالْمَسْرُومِ أَشْتَاتَ النَّوْبِ

* * *

المهرجان*

مَا هُتَافٌ تَمَّ فِي كُلِّ مَكَانٍ مَا دُعَاءٌ تَمَّ فِي كُلِّ لِسَانٍ؟
 مَا نَشِيدٌ تَسْكُبُ الدُّنْيَا بِهِ أَعَذِبَ الْأَلْحَانَ فِي سَمْعِ الزَّمَانِ؟
 مَا شَعُورٌ فَاصٌّ كَالْوَحْيِ هَفَاً فَهَفَا الشَّعْرُ عَلَى كُلِّ جَنَانِ؟
 مَا ابْتِهَاجٌ وَسُرُورٌ وَرِضَا وَانْطِلَاقٌ فِي التَّمَنِّيِّ وَالْأَمَانِ؟
 مَهْرَجَانُ الْعَرْشِ وَالشَّعْبِ مَعاً عَاشَ فَارُوقٌ، وَدَامَ الْمَهْرَجَانُ

* * *

قَالَ لِي الدَّهْرُ - وَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنِ خَفَايَاهُ فَأَفْشَى وَأَبَانَ:
 لَيْسَ كَالْيَوْمِ جَمَالاً وَسَنِيَّ مِنْذُ مَا كَانَ زَمَانٌ وَمَكَانٌ
 لَيْسَ كَالْيَوْمِ ابْتِهَاجاً وَمُنَى مِنْذُ مَا كَانَ ابْتِدَاعٌ وَافْتِنَانٌ
 غَيْرُ يَوْمِينَ وَإِنِّي حَافِظٌ فِي سِجْلِي كُلِّ مَا كَانَ وَبَانَ
 يَوْمٌ مِيلَادٍ وَفِي يَوْمٍ ارْتَقَى عَرْشَهُ السَّامِي فَأَعْلَاهُ وَزَانَ
 ثُمَّ هَذَا الْيَوْمُ يَوْمُ الْمَهْرَجَانِ عَاشَ فَارُوقٌ وَدَامَ الْمَهْرَجَانُ!
 أَنْتَ يَا فَارُوقُ خَيْرٌ خَالِصٌ بَيْتَمَا الْخَيْرُ مَشُوبٌ فِي الزَّمَانِ
 مِنْ ضَمِيرِ الشَّعْبِ مَنْ يَقْظَنَهُ مِنْ مَنْأَهُ مِنْ أَغَانِيهِ الْحَسَانِ
 صَاغَكَ اللَّهُ سَنَاءً وَسَنِيَّ صَانَكَ اللَّهُ وَأَعْطَاكَ الْأَمَانَ!!
 صَانَكَ اللَّهُ. فَإِنَّا أُمَّةٌ تَقْدِرُ الْمُحْسِنَ فِي غَيْرِ امْتِنَانِ
 كُلُّ يَوْمٍ أَنْتَ فِيهِ مَهْرَجَانِ عَاشَ فَارُوقٌ، وَدَامَ الْمَهْرَجَانُ!!

* * *

أنت في مصر قوياً كامنةً منذ كانت مصرُ شعباً ذا كيانٍ
يُسَلِّمُ الجبلُ إلى تابعه هذه القوة تذكرو وتُصانُ
والليالي مُرهصاتٌ والدُّنا تَرْقُبُ الميلاَدَ آنا بعدَ أن^(١)
ثُمَّ شَبَّ الشَّعْبُ في هَضْمَتِهِ ناضِحَ الفِكرَةِ مشبُوبَ الجَنَانِ
فإذا فاروقُ في طَلَعَتِهِ قَتَفُ البشري على كلِّ لسانٍ
ثم كان اليومُ يومَ المَهرجَانِ عاش فاروقُ، ودام المَهرجَانُ!

* * *

أنت صنوُ الشعبِ في تاريخه كنتَ منه في الأمانِ يومَ كان
قد تَوَافَى مَوْلِدُ النهضةِ والمولِدُ الضَّاحِي، فوافت بُشْرِيَانُ^(٢)
حِكْمَةٌ هَذَا التَّوَافِي عَجَبٌ شَاءَهَا اللهُ فجاءتْ في الأوانِ
ثم وافي اليومُ، يومُ المَهرجَانِ عاش فاروقُ، ودام المَهرجَانُ

* * *

يا صديقَ الشعبِ قَدْ هَضَمْتَهُ في سباقِ الكونِ يظْفَرُ بالرهانِ
وله مِنْكَ شَبَابٌ طَامِحٌ يبعثُ الجِراءَةَ في قلبِ الجَبَانِ
كلُّ قلبٍ حينَ تدعُوها تَفُّ: إيه لييك، إلى شَطِّ الأمانِ
إيه لييك، وفيه نَشْوَةٌ وله مِنْ وَجْهِكَ السَّمْحِ ضَمَانِ

١- مرهصات: من أرهص الشيء: أثبته وأسهه.

٢- توافي جاءا بعضهما مع بعض.

إِيهِ لِيكَ، وَقَدْ طَهَّرَهُ حُبُّكَ السَّامِيَّ وَرَوَّاهُ الْحَنَانُ
كُلُّ قَلْبٍ خَافِقٌ بِالْمَهْرَجَانِ عَاشَ فَارُوقُ، وَدَامَ الْمَهْرَجَانُ

* * *

شَعَّعَ النَّغْمَةَ فِي قَيْثَارَتِي وَحِيكَ الْعَذْبُ فَجَوَّدَتْ الْبِيَانُ
وَجَرَى الشُّعْرُ فِي نَكْهَتِهِ مِنْ مَعَانِيكَ شَذَى عَرَفَ الْجِنَانُ
فَأَنَا الشَّادِي فِي رُوحِي هَوَى عَبْقَرِيُّ الْوَحْيِ ذَاكِي الْاِفْتِنَانُ
وَأَنَا الشَّاعِرُ آفَاقِي سَمَتَ فَسَمَا مِنِّي بِيَانٌ وَمَعَانُ
وَأَنَا الْغَرِيدُ يَوْمَ الْمَهْرَجَانِ عَاشَ فَارُوقُ، وَدَامَ الْمَهْرَجَانُ

* * *



أأنا إنا نأنا نأنا

فأنا رنا أأنا لنا

وأنا رنا رنا فطوبنا

لنا فنا أأنا

سنا قأنا

هبل.. هبل *

هَبْلٌ ... هَبْلُ رَمُزِ السَّخَافَةِ وَالذَّجَلِ
مَنْ بَعْدَ مَا انْدَثَرَتْ عَلَى أَيْدِي الْأَبَاةِ
عَادَتْ إِلَيْنَا الْيَوْمَ فِي تَوْبِ الطُّغَاةِ
تَتَشَقُّ الْبِحُورِ تَحْرِقُهُ أَسَاطِيرُ النَّفَاقِ
مَنْ قِيدَتْ بِالْأَسْرِ فِي قَيْدِ الْخَنَا وَالْأَرْتَاقِ^(١)
وَتَنْ يَقُودُ جُمُوعَهُمْ ... يَا لِلْخَجَلِ
* * *

هَبْلٌ ... هَبْلُ
رَمُزِ السَّخَافَةِ وَالْجَهَالَةِ وَالذَّجَلِ
لَا تَسْأَلُنْ يَا صَاحِبِي تِلْكَ الْجُمُوعِ
لِمَنْ التَّعَبُّدُ وَالْمَثُوبَةُ وَالْخُضُوعُ^(٣)
دَعَهَا فَمَا هِيَ غَيْرُ خَرْفَانٍ ... الْقَطِيعِ
مَعْبُودُهَا صَنَمٌ يَرَاهُ ... الْعَمُّ سَامٌ
وَتَكْفَلُ الدُّوَلَارُ كِي يُضْفِي عَلَيْهِ الْاحْتِرَامُ
وَسَعَى الْقَطِيعُ غِبَاوَةً ... يَا لِلْبَطَلِ
* * *

* من مجموعة شعرية قيلت بعد ثورة تموز (يوليو) عام ١٩٥٢م صدرت في عمان تحت عنوان (لحن الكفاح)، ونقلها أحمد عبد اللطيف الجدع، وحسني أدهم جرار في كتابهما (شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث) ٤/٤١ هبل: صنم كان بالكعبة، وهو رمز لكل طاغية. ١- الخنا: الفحش في الكلام.

هُبِلٌ ... هُبِلٌ

رَمَزُ الْخِيَانَةِ وَالْجَهَالَةِ وَالسَّخَافَةِ وَالذَّجَلِ
هُنَّافَةٌ التَّهْرِيجِ مَا مَلُّوا النَّشَاءَ
زَعَمُوا لَهُ مَا لَيْسَ... عِنْدَ الْأَنْبِيَاءِ
مَلِكٌ تَجَلَّبَبَ بِالضِّيَاءِ وَجَاءَ مِنْ كَيْدِ السَّمَاءِ
هُوَ فَاتِحٌ... هُوَ عَبَقُوتِي مُلْهَمٌ
هُوَ مُرْسَلٌ... هُوَ عَالِمٌ وَمُعَلِّمٌ
وَمِنَ الْجَهَالَةِ مَا قَتَلَ
* * *

هُبِلٌ ... هُبِلٌ

رَمَزُ الْخِيَانَةِ وَالْعَمَالَةِ وَالذَّجَلِ
صَيَّغَتْ لَهُ الْأَمْجَادُ زَائِقَةً فَصَدَّقَهَا الْعَجِي
وَاسْتَكْرَرَ الْكَذِبَ الصُّرَاحَ وَرَدَّهُ الْحُرُّ الْأَبِي
لَكِنَّمَا الْأَحْرَارُ فِي هَذَا الزَّمَانِ هُمُ الْقَلِيلُ
فَلْيَدْخُلُوا السَّجْنَ الرَّهِيْبَ وَيَصْبِرُوا الصَّبْرَ الْجَمِيلَ
وَلْيَشْهَدُوا أَوْسَى رَوَايَةً... فَلَكَ طَاغِيَةٌ نَهَائِيَّةٌ
وَلِكُلِّ مَخْلُوقٍ أَجَلٌ... هُبِلٌ... هُبِلٌ هُبِلٌ... هُبِلٌ
* * *

أخي*

أخي أنتَ حُرٌّ وراءَ السُّدودِ أخي أنتَ حُرٌّ بتلكَ القيودِ
إذا كُنتَ باللهِ مُستعصماً فماذا يضرُّكَ كيدُ العييدِ

* * *

أخي سَتبِيدُ^{٢٦} جيوشِ الظَّلامِ ويُشْرِقُ في الكَوْنِ فجرٌ جديدِ
فأطلقْ لِروحِكَ إشراقَهَا تَرى الفَجْرَ يرمُقنا من بعيدِ

* * *

أخي قد أصابَكَ سهمٌ ذليلِ وَعَدراً رَمَاكَ ذراعٌ كليلِ
سَتُبْتَرُ يوماً فَصَبْرٌ جميلِ ولم يَدَمْ بعدُ عرينُ الأسودِ

* * *

أخي قد سَرَتْ من يَدِيكَ الدِّماءُ أَبَتْ أن تُشَلَّ بِقَيْدِ الإماءِ
سَتَرْفَعُ قُربانها... لِلسَّماءِ مُخَضَّبةٌ بوسامِ الخلودِ

* * *

أخي هل تُراكَ سَمِئَتِ الكِفاحِ وَأَلْقَيْتَ عن كاهِنِكَ السَّلاحِ
فَمَنْ لِلصَّحايا يواسي... الجِراحِ ويرفَعُ رايتها من جديدِ

* * *

* الكفاح الإسلامي الأردني - العدد ٢٩ - الصادر في ١٢/٢٨/١٣٧٦ هـ الموافق ١٩٥٧/٧/٢٦

أخِي هل سمعتَ أنينَ التُّرابِ تَدُكُ حِصَاهُ جِيوشُ الخِرَابِ
تُمزِّقُ أحشَاءَهُ بِالخِرَابِ وَتَضْفَعُهُ وَهُوَ صَلْبٌ عِنْدِ

* * *

أخِي إِنِّي اليَوْمَ صَلْبُ المِرَاسِ أَدُكُ صُخُورَ الجِبَالِ الرِّوَاسِ
غَدًا سَأُشِيخُ بِفَاسِ الخِلاصِ رُؤُوسِ الأَفَاعِي إلى أنْ تَيَسِدَ

* * *

أخِي إِنْ ذَرَفَتَ عَلَيَّ الدَّمُوعَ وَبَلَّلْتَ قَبْرِي بِهَا فِي خُشُوعِ
فَأَوْقِدْ لَهُمْ مِنْ رُفَاتِي الشُّمُوعَ وَسَيِّرُوا بِهَا نَحْوَ مَجْدِ تَلِيدِ

* * *

أخِي إِنْ نَمَتَ نَلَقَ أَحِبَابِنَا فَرَوَضَاتُ رَبِّي أُعِدَّتْ لَنَا
وَأَطْيَارُهَا رَفَرَفَتْ حَوْلَنَا فَطُوبَى لَنَا فِي دِيَارِ الخُلُودِ

* * *

أخِي إِنِّي مَا سَمِمْتُ الكِفَاحَ وَلَا أَنَا أَلْقَيْتُ عَنِي السَّلَاحَ
وَإِنْ طَوَّقْتَنِي جِيوشُ الظَّلَامِ فَإِنِّي عَلَى ثِقَةٍ... بِالصَّبَاحِ

* * *

وَإِنِّي عَلَى ثِقَةٍ مِنْ طَرِيقِي إِلَى اللَّهِ رَبِّ السَّنَا والشَّرُوقِ
فَإِنْ عَافَنِي السُّوقُ أَوْ عَقَّنِي فَإِنِّي أَمِينٌ لِعَهْدِي الوَثِيقِ

* * *

أَخِي أَخَذُوكَ عَلَى إِثْرِنَا وَفَوْجٍ عَلَى إِثْرِ فَوْجٍ جَدِيدٍ
فَإِنِ أَنَا مُتُّ فَإِنِّي شَهِيدٌ وَأَنْتَ سَتَمُضِي بِنَصْرِ جَدِيدٍ

قَدْ اخْتَارَنَا اللَّهُ فِي دَعْوَتِهِ وَإِنَّا سَنَمُضِي عَلَى سُنَّتِهِ
فَمِنَّا الَّذِينَ قَضَوْا نَحْبَهُمْ وَمِنَّا الْحَفِيظُ عَلَى ذِمَّتِهِ

أَخِي فَاْمُضِ لَا تَلْتَفِتْ لِلوَرَاءِ طَرِيقُكَ قَدْ خَضَبْتَهُ الدِّمَاءُ
وَلَا تَلْتَفِتْ هَهُنَا أَوْ هُنَاكَ وَلَا تَتَطَلَّعْ لِغَيْرِ السَّمَاءِ

فَلَسْنَا بِطَيْرٍ مَهِيضٍ الْجَنَاحِ وَلَنْ نُسْتَدَكَ وَلَنْ نُسْتَبَاحِ
وَإِنِّي لِأَسْمَعُ صَوْتَ الدِّمَاءِ قَوِيًّا يُنَادِي الْكِفَاحَ الْكِفَاحَ

سَأَنْتَارُ لَكِنْ لِرَبِّ وَدِينٍ وَأَمُضِي عَلَى سُنَّتِي فِي يَقِينٍ
فِيمَا إِلَى النَّصْرِ فَوْقَ الْأَنْبَامِ وَإِنَّمَا إِلَى اللَّهِ فِي الْخَالِدِينَ

ترجمة سيد قطب

ولد سيد قطب لأسرة شريفة في مجتمع قروي (صعيدي) في يوم ١٠/٩/١٩٠٦م بقرية موشا بمحافظة أسيوط، وهو الابن الأول لأمه بعد أخت تكبره بثلاث سنوات وأخ من أبيه غير شقيق يكبره بجيل كامل. وكانت أمه تعامله معاملة خاصة وتزوده بالنضوج والوعي حتى يحقق لها أملها في أن يكون متعلماً مثل أحواله

كما كان أبوه راشداً عاقلاً وعضواً في لجنة الحزب الوطني وعميداً لعائلته التي كانت ظاهرة الامتياز في القرية، واتصف بالوقار وحياء القلب، يضاف إلى ذلك أنه كان دينياً في سلوكه.

ولما كتب سيد قطب إهداء عن أبيه في كتابه (مشاهد القيامة في القرآن) قال: «لقد طبعت في وأنا طفل صغير مخافة اليوم الآخر، ولم تعظني أو تزجرني، ولكنك كنت تعيش أمامي، واليوم الآخر ذكره في ضميرك وعلى لسانك.. وإن صورتك المطبوعة في مُخيلتي ونحن نفرغ كل مساء من طعام العشاء، فقرأ الفاتحة وتوجه بها إلى روح أبيك في الدار الآخرة، ونحن أطفالك الصغار نتمتم مثلك بآيات منها متفرقات قبل أن نجيد حفظها كاملات».

وعندما خرج إلى المدرسة ظهرت صفة جديدة إلى جانب الثقة بالذات من أمه والمشاعر النبيلة من أبيه وكانت الإرادة القوية، ومن شواهدا حفظه القرآن الكريم كاملاً بدافع من نفسه في سن العاشرة؛

لأنه تعود ألا يفاخره أبناء الكتاتيب بعد إشاعة بأن المدرسة لم تعد تهتم بتحفيظ القرآن.

وفي فورة الإحساس والثقة بالنفس كان لظروف النضال السياسي والاجتماعي الممهدة لثورة ١٩١٩ أثر في تشبعه بحب الوطن، كما تأثر من الثورة بالإحساس بالاستقلال وحرية الإرادة، وكانت دارهم ندوة للرأي، شارك سيد قطب فيها بقراءة جريدة الحزب الوطني، ثم انتهى به الأمر إلى كتابة الخطب والأشعار وإلقائها على الناس في المساجد والمساجد.

الاستقرار في القاهرة

ذهب سيد قطب إلى القاهرة في سن الرابعة عشرة وضمن له القدر الإقامة عند أسرة واعية وجهته إلى التعليم وهي أسرة خاله الذي يعمل بالتدريس والصحافة، وكان لدى الفتى حرص شديد على التعلم

إلا أنه في القاهرة واجه عقبات محصته تمحيصًا شديدًا جعلته يخرج من الحياة برؤية محددة قضى نخبه -فيما بعد- من أجلها.

والتحق سيد قطب أولاً بإحدى مدارس المعلمين الأولية -مدرسة عبد العزيز- ولم يكده ينتهي من الدراسة بها حتى بلغت أحوال الأسرة درجة من السوء جعلته يتحمل المسؤولية قبل أوانه، وتحولت مهمته إلى إنقاذ الأسرة من الضياع بدلاً من استعادة الثروة وإعادة المجد.

واضطر إلى العمل مدرساً ابتدائياً حتى يستعين بمرتبه في استكمال دراسته العليا من غير رعاية من أحد اللهم إلا نفسه وموروثاته القديمة. وكان هذا التغير سبباً في الاحتكاك المباشر بالمجتمع الذي كان لا بد له من أسلوب تعامل يختلف عن أسلوب القرويين وتجربتهم.

فالمجتمع الجديد الذي عاش فيه انقلبت فيه موازين الحياة في المدينة السليمة، وبدت في القاهرة سوءات الاحتلال الأجنبي ومفاسد السياسة؛ حيث سادت عوامل التمزق الطبقي والصراع الحزبي وغدت المنفعة وما يتبعها من الرياء والنفاق والمحسوبية هي الروح التي تسري، ويصف عبد الرحمن الرافعي هذا المجتمع بأنه: «مجتمع اُمّارت فيه الثقافة العربية أمام الثقافة الغربية التي تؤمن بالغرب حتّى بلغت في بعض الأحيان حد التطرف في الإيمان بالغرب وبمبادئه إيماناً مطلقاً». فكيف يواجهها هذا الشاب الناشئ المحافظ الطموح؟

كانت صلته بهذا المجتمع صلة تعليم، ثم أصبح الآن مشاركاً فيه، وعليه أن يختار ما بين السكون والعزلة، وبالتالي عدم إكمال تعليمه أو الحركة والنشاط، واختار سيد قطب المواجهة مع ما ينبت معها من عناصر الإصرار والتحدي وعدم الرضا بهذا الواقع المؤلم.

ارتحال فكري

واختار سيد قطب حزب الوفد ليستأنس بقيادته في المواجهة، وكان يضم وقتذاك عباس محمود العقاد وزملاءه من كتاب الوفد، وارتفعت الصلة بينه وبين العقاد إلى درجة عالية من الإعجاب لما في أسلوب العقاد من قوة التفكير ودقة التغيير والروح الجديدة الناتجة عن الاتصال بالأدب الغربي.

ثم بلغ سيد قطب نهاية الشوط وتخرج في دار العلوم ١٩٣٣ وعين موظفًا - كما أمل وأملت أمه معه - غير أن مرتبه كان ستة جنيهات ولم يرجع بذلك للأسرة ما فقدته من مركز ومال؛ فهو مدرس مغمور لا يكاد يكفي مرتبه إلى جانب ما تدره عليه مقالاته الصحفية القيام بأعباء الأسرة بالكامل.

وهذه الظروف التي حرمتها من نعيم أسلافه منحته موهبة أدبية إلا أن الأساتذة من الأدياء - كما يصفهم - كانوا: «لم يروا إلا أنفسهم وأشخاصهم فلم يعد لديهم وقت للمريدين والتلاميذ، ولم تكن في أرواحهم نسمة تسع المريدين والتلاميذ» كل هذا أدى إلى اضطرابه وإحساسه بالضيق إلى درجة - وصفها الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه «مذكرات سائح من الشرق» انقطعت عندها كل صلة بينه وبين نشأته الأولى وتبحرت ثقافته الدينية الضئيلة وعقيدته الإسلامية» ولكن دون أن يندفع إلى الإلحاد، وكان دور العقاد حاسماً في ذلك.

وانتقل سيد قطب إلى وزارة المعارف في مطلع الأربعينيات، ثم عمل مفتشاً بالتعليم الابتدائي في عام ١٩٤٤ وبعدها عاد إلى الوزارة مرة أخرى، وفي تلك الفترة كانت خطواته في النقد الأدبي قد اتسعت وتميزت وظهر له كتابان هما: «كتب وشخصيات»، «والنقد الأدبي - أصوله ومناهجه».

وبعد ميدان النقد سلك سيد قطب مسلكاً آخر بعيداً: بكتابه «التصوير الفني في القرآن» الذي لاقى مقابلة طيبة من الأوساط الأدبية والعلمية فكتب: «مشاهد القيامة في القرآن» و«المنطق بين التوراة والقرآن» و«النماذج الإنسانية في القرآن»، و«المنطق الوجداني في القرآن»، و«أساليب العرض الفني في القرآن»، ولكن لم يظهر منها شيء.

وأوقعته دراسة النص القرآني على غذاء روحي لنفسه التي لم تنزل متطلعة إلى الروح. وهذا المجال الروحي شده إلى كتابة الدراسات القرآنية فكتب مقالاً بعنوان «العدالة الاجتماعية بمنظور إسلامي» في عام ١٩٤٤.

الرحلة إلى أمريكا

وجد سيد قطب ضالته في الدراسات الاجتماعية والقرآنية التي اتجه إليها بعد فترة الضياع الفكري والصراع النفسي بين التيارات الثقافية الغربية، ويصف قطب هذه الحالة بأنها اعترت معظم أبناء الوطن نتيجة للغزو الأوروبي المطلق.

ولكن المرور بها مكنه من رفض النظريات الاجتماعية الغربية، بل إنه رفض أن يستمد التصور الإسلامي المتكامل عن الألوهية والكون والحياة والإنسان من ابن سينا وابن رشد والفارابي وغيرهم لأن فلسفتهم - في رأيه - ظلال للفلسفة الإغريقية.

فكان من المنتظر حين يوم ١١/٣/١٩٤٨ في بعثة علمية من وزارة المعارف للتخصص في التربية وأصول المناهج ألا تبهره الحضارة الأمريكية المادية ووجدها خلوا من أي مذهب أو قيم جديدة، وفي مجلة الرسالة كتب سيد قطب مقالا في عام ١٩٥١ بعنوان: «أمريكا التي رأيت» يصف فيها هذا البلد بأنه: «شعب يبلغ في عالم العلم والعمل قمة النمو والارتقاء، بينما هو في عالم الشعور والسلوك بدائي لم يفارق مدارج البشرية الأولى، بل أقل من بدائي في بعض نواحي الشعور والسلوك».

المصلح والأديب

امتلك سيد قطب موهبة أدبية قامت على أساس نظري وإصرار قوي على تميمتها بالبحث الدائم والتحصيل المستمر حتى مكنته من التعبير عن ذاته وعن عقيدته يقول: «إن السر العجيب - في قوة التعبير

وحيويته - ليس في بريق الكلمات وموسيقى العبارات، وإنما هو كامن في قوة الإيمان بمدلول الكلمات وما وراء المدلول، وإن في ذلك التصميم الحاسم على تحويل الكلمة المكتوبة إلى حركة حية، المعنى المفهوم إلى واقع ملموس».

وكان سيد قطب موسوعيًا يكتب في مجالات عديدة إلا أن الجانب الاجتماعي استأثر بنصيب وافر من جملة كتاباته، وشغلته المسألة الاجتماعية حتى أصبحت في نظره واجبًا إسلاميًا تفرضه المسؤولية الإسلامية والإنسانية، وهذا يفسر قلة إنتاجه في القصة التي لم يكثر فيها بسبب انشغاله بالدراسات النقدية ومن بعدها بالدراسات والبحوث الإسلامية.

وطوال مسيرته ضرب سيد قطب مثل الأديب الذي غرس فيه الطموح والاعتداد بالنفس، وتسليح بقوة الإرادة والصبر والعمل الدائب؛ كي يحقق ذاته وأمله، اتصل بالعقاد ليستفيد منه في وعي واتزان، ولم تفتته الحضارة الغربية من إدراك ما فيها من خير وشر، بل منحتة فرصة ليقارن بينها وبين حضارة الفكر الإسلامي، وجمع بينه وبين حزب الوفد حب مصر ومشاعر الوطنية، وجمع بينه وبين العمل الإسلامي حب الشريعة وتحقيق العدالة الاجتماعية وبناء مجتمع إسلامي متكامل. واستطاع بكلمته الصادقة أن يؤثر في كثير من الرجال والشباب التفوا حوله رغم كل العقبات والأخطار التي أحاطت بهم، وأصبح من الأدباء القلائل الذين قدموا حياتهم في سبيل الدعوة التي آمنوا بها.

العودة والرحيل

عاد سيد قطب من أمريكا في ٢٣ أغسطس ١٩٥٠ ليعمل بمكتب وزير المعارف إلا أنه تم نقله أكثر من مرة حتى قدم استقالته في ١٨ أكتوبر ١٩٥٢، ومنذ عودته بدأ يؤكد توجهه الإسلامي.

خاض تجربة العمل الإسلامي السياسي إلى أن استشهد فجر الإثنين ١٣ جمادى الأولى ١٣٨٦ هـ الموافق ٢٩ أغسطس ١٩٦٦.

كتب سيد قطب

١ - مهمة الشاعر في الحياة، وشعر الجيل الحاضر. (نقد).

٢ - الشاطئ المجهول (شعر)

٣ - نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر (نقد).

٤ - التصوير الفني في القرآن (نقد).

| | | |
|----|-------|----------------------------------|
| 5 | | مقدمة د. حسن حنفي |
| 13 | | مقدمة المؤلف |
| 23 | | التمرد |
| 25 | | عُزْلَةٌ فِي ثَوْرَةٍ!!! |
| 31 | | زَفْرَاتُ جَامِحَةٍ مَكْبُوحَةٍ |
| 33 | | عَاشِقُ الْمُحَالِ |
| 35 | | حُلْمٌ قَدِيمٌ |
| 37 | | بَعْدَ الْأَوَانِ |
| 39 | | الشكوى |
| 41 | | سَعَادَةُ الشُّعْرَاءِ |
| 44 | | سُخْرِيَةُ الْأَقْدَارِ |
| 45 | | الصَّدِيقُ الْمَفْقُودُ! |
| 48 | | خَرَابٌ! |
| 49 | | خَرِيفُ الْحَيَاةِ |
| 51 | | النَّفْسُ الضَّائِعَةُ |
| 53 | | الغَدُّ الْمَجْهُولُ |
| 55 | | غَرِيبٌ..! |
| 56 | | مَرَّ يَوْمٌ |
| 57 | | إِلَى الثَّلَاثِينَ |
| 59 | | حُطَا الزَّمَنِ الْوَتَّابِ |
| 61 | | نَهَايَةُ الْمَطَّافِ |
| 63 | | الحنين |
| 65 | | عَهْدُ الصَّغْرِ |
| 67 | | جَوْلَةٌ فِي أَعْمَاقِ الْمَاضِي |
| 70 | | الْمَاضِي |
| 72 | | رِثَاءُ عَهْدٍ |

- 74.....عَهْدٌ ذَاهِبٌ؟!
- 76.....السعادةُ حديثُ الأَشقياء
- 77.....وَحْيِ الرِّيفِ
- 79.....ليلات في الريف
- 81.....العودةُ إلى الريف
- 83.....الليلاتُ المَبْعُوثة
- 85.....رِيحَاتِي الأولى أو الحِرْمَان
- 87.....عِبَادَةٌ جَدِيدَةٌ؟!
- 88.....تَسِيحٌ...!
- 89.....في السماء
- 90.....بينَ عَهْدَيْنِ
- 92.....نَدَاءُ الحَرِيفِ
- 95.....هُتافُ رُوح
- 97.....دُعَاءُ الغريب
- 99.....ابتسامة
- 101.....التأملي
- 103.....بَسْمَةٌ بَعْدَ العُبُوسِ أو حَيَاةٌ بَعْدَ مَوْتٍ*
- 105.....هَدَاتٌ يَا قَلْبُ؟!
- 106.....الدنيا
- 106.....عودة الحياة
- 108.....البعث
- 110.....الشُعَاعُ الحَابِي
- 112.....في الصحراء
- 115.....بين الظلال
- 117.....الإنسانُ الأخير
- 120.....إلى الشاطئِ المجهول
- 122.....السرُّ أو الشاعرُ في وادي الموتى

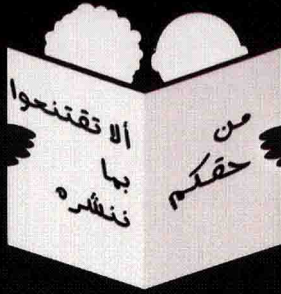
| | |
|-----|--|
| 127 | التجارب |
| 130 | خبيفة نفسي |
| 132 | الخطيئة |
| 133 | القطع |
| 136 | على القمة |
| 138 | مصراع قصيدة |
| 139 | وَجُودٌ طَرِيفَةٌ |
| 140 | إلى الظلام |
| 143 | في مفرق الطريق |
| 145 | أقدامٌ في الرمال |
| 147 | خُدعة الخلود |
| 149 | الغزل |
| 150 | لَيْلَةٌ!؟ |
| 151 | نَظْرَةٌ مُوَحِّشَةٌ |
| 153 | طيف!! |
| 155 | صوت!؟ |
| 156 | هي أنت |
| 158 | أحبك |
| 161 | عَيْنَانِ |
| 162 | حَدِّثْنِي |
| 165 | بيانو وقلب |
| 166 | الظائمة |
| 169 | رَسُولُ الْحَيَاةِ |
| 170 | سرُّ انتصار الحياة |
| 171 | المُعْجِزَةُ أَوْ السَّهْمُ الْأَخِيرُ |
| 173 | اللحن الحزين |
| 147 | الغيرة |

| | |
|-----|---------------------|
| 177 | مَصْرَعُ حُبِّ! |
| 178 | ليلة الشك |
| 179 | اليقين |
| 180 | الجنة الضائعة |
| 181 | الحنين والدموع |
| 182 | اللغز |
| 183 | قُبلة |
| 184 | داعي الحياة |
| 185 | تحية الحياة |
| 186 | الخطر |
| 188 | يَقْظَة |
| 189 | رُقِيَّةُ الحُبِّ |
| 191 | الحياة الغالية |
| 192 | الكون الجديد |
| 193 | حُبُّ الشُّكُورِ |
| 195 | الانتظارُ الخالد |
| 196 | الحُبُّ المَكْرُوه! |
| 198 | نَكْسَة! |
| 200 | علي أطلال الحُب |
| 202 | صَدَى قُبلة |
| 204 | غِنِيٍّ ... !؟ |
| 206 | وحي جديد |
| 208 | أكذوبة أسوان |
| 209 | حُلْمُ الحَيَاةِ |
| 211 | الكأسُ المَسْمُومَة |
| 212 | وَجِيَّ لِقَاءِ |
| 213 | حُلْمُ الفَجْرِ |

| | | |
|-----|-------|-----------------------------------|
| 214 | | أَنْتَهَيْنَا |
| 217 | | الوصف |
| 218 | | وردة ذابلة |
| 218 | | العود |
| 220 | | بريشة الشعر أو صورة صادقة |
| 222 | | هدأة الليل |
| 224 | | الصُّبْحُ يَتَنَفَسُ |
| 226 | | عبث الجمال |
| 228 | | يوم خريف |
| 230 | | الجبار العاجز |
| 232 | | نَاحَتْ الصُّخْرُ أَوْ «الفاعل» |
| 234 | | حُلْمُ النَّيْلِ |
| 235 | | وداع الشاطئ |
| 235 | | من الفردوس إلى الجحيم |
| 236 | | الوادي المقدس |
| 241 | | في ليلة من ليالي الربيع |
| 242 | | جَمَالٌ حَزِينٌ |
| 243 | | الرثاء |
| 244 | | وَحَى الخُلُودِ |
| 246 | | الذكرى الخالدة لسعد العظيم |
| 249 | | البطل |
| 253 | | ذكرى سعد |
| 255 | | طليعة الضحايا |
| 257 | | موت سوسو |
| 259 | | الزَّادُ الأَخِيرُ |
| 260 | | نُوسَةٌ أَوْ شَطْرٌ مِنَ العُمُرِ |
| 264 | | صَدَى الفَاجِئَةِ |

| | | |
|-----|-------|---------------------|
| 267 | | الوطنيات |
| 269 | | إلى البلاد الشقيقة |
| 270 | | مأساة البدارى |
| 271 | | صوت الوطنية |
| 273 | | المهْرَجَان |
| 277 | | وختاماً مع الخالدين |
| 279 | | هُبْلٌ.. هُبْلٌ |
| 281 | | أخي |
| 285 | | ترجمة سيد قطب |

مكتبة سواد الأريكة
www.books4all.net



ولولا الصدمة الحضارية التي تلقاها من بعثته إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1950 لما كتب (خصائص التصور الإسلامي ومقوماته) رداً على (الإنسان ذلك المجهول) لألكس كاريل، وهو ما تطور بعد ذلك في (مقدمة في علم الاستغراب). ويتم استئناف (في ضلال القرآن) آخر ما وصل إليه علم التفسير من تطور في (الموقف من الواقع) أو نظرية التفسير، الجبهة الثالثة من مشروع (التراث والتجديد) بجمهته الأولى موقفنا من التراث القديم، وجبهته الثانية (موقفنا من التراث الغربي).

واليوم يرد - مركز الناقد الثقافي- الاعتبار لسيد قطب شاعراً عسى أن يُرد إليه نفس الاعتبار ناقداً ثم مفكراً ثم سياسياً وتنتهي أسطورة (معالم على الطريق). فنفسية السجين استثناء في حياة الشاعر الرومانسي، والناقد الأدبي، والمفكر الحر.

د. حسن حنفي

إنما قسوة التاريخ وظلم الشاعر والناقد والمفكر هو رده إلى مرحلة واحدة بعد 1954 ونسيان ربع قرن من الإبداع الشعري والنقدي والفكري ورده إلى كتاب واحد (معالم على الطريق) الذي هو حرقه سجين مظلوم ومعذب بريء. وقد نسيت جماعته أيضاً المراحل الثلاث الأولى، ولم تتذكر إلا المرحلة الرابعة، باستثناء المخلصين له الذين تعلموا على يديه، وعرفوه مفكراً واثراً ووطنياً باسم الإسلام. ولولا دخوله السجن في 1954 وتعيذه لما كُفّر المجتمع في (معالم على الطريق)، ولولا سفرى إلى فرنسا وعودتي بعد عشر سنوات وعيشي في جو طبيعي لما كتبت (من العقيدة إلى الثورة)، ولا (من النقل إلى الإبداع)، ولا (من النص إلى الواقع)، ولا (من الفناء إلى البقاء)، ولا (من النقل إلى العقل).

